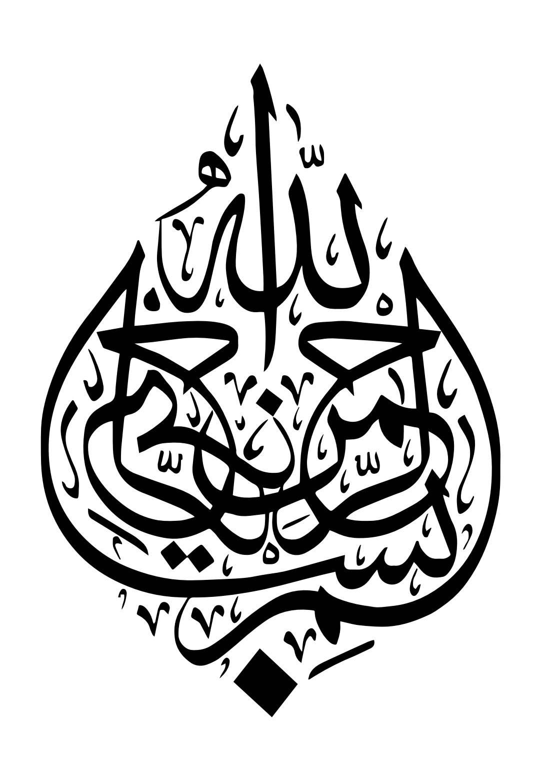


رقم الايداع في دار الكتب والوثائق – وزارة الثقافة العراقية رقم الإيداع ٣٤١١ – لسنة ٢٠١٨

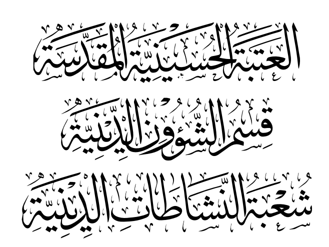
مصدر الفهرسة :	IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda
رقم تصنيفLC :	BP37.4 .M57 2018
المؤلف الشخصي :	المقداد، محمد الرصافي، ١٩٥٣- . مؤلف.
العنـــــوان :	النمرقة الوسطى : الامام علي بن ابي طالب عليه السلام /
بيان المسؤولية :	تأليف محمد الرصافي المقداد.
بيانات الطبع :	الطبعة الأولى.
بيانات النشر :	العراق، كربلاء : العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الدينية، شعبة النشاطات الدينية، ٢٠١٨ / ١٤٤٠ للهجرة.
الوصف المادي :	٣٨٤ صفحة ؛ ٢٤ سم.
سلسلة النشر :	(العتبة الحسينية المقدسة ؛ ٥٢٨).
سلسلة النشر :	(قسم الشؤون الدينية، شعبة النشاطات الدينية ؛).
تبصرة ببليوجرافية:	لائحة المصادر (الصفحات ٣٣٧-٣٧٩).
موضوع شخصي :	علي بن ابي طالب (عليه السلام)، الامام الاول، ٢٣ قبل الهجرة-٤٠ للهجرة – سيرة.
موضوع شخصي :	علي بن ابي طالب (عليه السلام)، الامام الاول، ٢٣ قبل الهجرة-٤٠ للهجرة – فضائل.
موضوع شخصي :	احاديث الشيعة الامامية – القرن ١٥ للهجرة.
اسم هيئة اضافي :	العتبة الحسينية المقدسة. قسم الشؤون الدينية. شعبة النشاطات الدينية. جهة مصدرة.

تمت الفهرسة قبل النشر في شعبة الفهرسة



تأليف

محمد الرصافي المقداد



طبع برعاية

العتبة الحسينية المقدسة



العراق: كربلاء المقدسة – العتبة الحسينية المقدسة

عن عمار بن ياسر قال سمعت النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم

يقول لعليٍّ عليه السلام:

«يا علي، إنَّ الله عزَّ وجلَّ قد زينك بزينة، لم يتزين العباد بزينة أحبّ إليه منها: الزهد في الدنيا، فجعلك لا تنال من الدنيا شيئاً، ولا تنال الدنيا منك شيئاً، ووهب لك حبَّ المساكين، ورضوا بك إماماً، ورضيت بهم أتباعاً، فطوبى لمن أحبك وصدق فيك، وويل لمن أبغضك وكذب عليك، فأمَّا الذين أحبوك وصدقوا فيك، فهم جيرانك في دارك، ورفقاؤك في قصرك، وأمَّا الذين أبغضوك وكذبوا عليك، فحق على الله أنْ يوقفهم موقف الكذابين يوم القيامة».

(أسد الغابة لابن الأثير ج٣ ص٥٩٧)



١٤٣٩

تقديم

رجل اقترن اسمه باسم النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حقيقة، ولم يقترن به وهماً ولا زيفاً، ولا جاء من جاء بعد تلك الحقبة الزمنية المهمّة، فألصـــقه به أدعياء الباطل ومؤسسو الفتن، كفله صغيراً، وربّاه، وعلّمه، وآخاه، وقرّبه، وأشركه في أمره، وزوّجه أحبَّ الناس اليه، ولازم شخصه منزل الوحي، إلى أنِ انتقل صاحبه إلى الرفيق الأعلى، وهو عنه راضٍ، قرير العين به.

ومقابل ذلك الاهتمام والحنو والدنو، لم يدّخر له الرجل جهداً، فقابل الجميل بالجميل، فاتّبع، وصـدّق، وأطاع، وآزر، وحامى، وجاهد، ونصـر، وبذل في سـبيل الله تعالى ورسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ما لم يبذله أحد غيره، ولو اجتمعوا على أنْ يضاهوا بعضاً من جهده وعطائه، لما أمكن لهم ذلك.

ارتبط مثاله بأهم الأحداث، التي رافقت نمو شـجرة الإسـلام المحمّدي، وانصـهر جهده وعرقه ومعاناته، في وعاء القرب من الله تعالى، فلم يمضِ من الدنيا، حتى ترك عليها بصماته واضحة جليّة للمبصرين، فكان عمليّاً، الصورة المشرقة للإسلام، والمثال

الذي لا يضاهى للإنسان الكامل، بعد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله و سلَّم.. إنَّه عبد الله، عليٌّ بن أبي طالب، سـيف الله المسـلول، الصـدّيق الأكبر، والفاروق الحقيقي، حيدرة الكرار، وبطل غزوات الإسـلام المغوار، إمام الأُمَّة، ومسـتحفظ الرسـالة، ذلك الذي هلك فيه رجلان.. رجل تحير فيه، فزاغ عن كنه معرفته، ولم يتحمل أنْ يرى بعينيه طاقة، لم يحسـبها من طاقة البشـر فألّهه، ورجل بهت مقامه، وأنكر حقه في قيادة الأُمَّة وإمامتها، فوضعه دون موضعه الذي خصّه الله تعالى به.

عليٌّ عليه السـلام.. ذلك الإنسـان الذي لم يسـعه عالمه، فانتشـر في بقية العوالم، يملأها هداية وعلماً وإنسـانية، اخترق الزمن، فلم يعد يخصـه زمان واحد من الأزمنة، ولو ثنيت له وسـادة الحكم، ووجد لعلومه التي كان يختزنها حملة، لشـمل الإنسـانية من فيض معارفه التي تلقاها من سيده وأُستاذه، ما ينتشلها من عوالم الظلم والجهالة، ولئن بخل زمانه بالصـاحب والموالي، إلَّا قليل ممّن أعار جمجمته للحق، فإنَّ له في كلِّ زمان رجالاً عرفوا ولايته، وأقروا بخصاله، فآبوا إلى شـخصـه، وآووا إلى عرينه، مؤمنين بأنَّ اللطف الإلهي، قد بسط صراطه، وقام سرادقه، على اتباعه وموالاته.

عليٌّ في نظر من يريد التشـبيه، ويرغب في الأمثال، كالوردة الفواحة، التي ملأ أريجها وعطرها المكان، متاح تنشّـقها لكلِّ الأنفس التي تعشـق الطيب وتسـعى إليه، وتقدر الجمال وتميل له، ولهما مقام بين جوانحها، ومن لم يستطع أنْ يستنشق عبق عليٍّ عليه السلام، ولا أنْ يرى مكانه الذي لا يحتاج إلى تأويل، فالعلة في نفسه، التي قصرت

عن إدراك الحقائق. . عليٌّ عليه السلام كنسمة الصبح الندية، لا تأتي إلَّا لمن تعرض لها وطلبها.

لذلك لم يكن غريباً، أنْ تنهال على عليٍّ عليه السلام صيحات الإكبار والإعجاب، ولا كان مفاجئاً أنْ يقابل شخصه بالحبِّ والودِّ، فأحبَّه المؤمن، واتخذه ملاذاً بعد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فكان له ولياً ومولى، وأعجب به المسيحي إلى حدِّ الاحترام والتقدير، عبّر عنهما كثيرون ومنهم الأديب (جورج جرداق) في كتابه القيم (الإمام عليٌّ صوت العدالة الإنسانية)، والقس بولس سلامة، بقصائد شعرية بديعة، وهذان المفكران أنموذجان أردت أنْ أقدمهما للقارئ الكريم، لكي أستفز عقله وقلبه، إذ لا معنى للتدين الحق، إذا لم نقصد بابه ونستمسك به ثقلاً مهمّاً، أوصى النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالتمسك به إلى جانب كتابه العزيز.

كما لم يكن غريباً أيضاً أنْ يبغضه المنافقون، والانتهازيون، وجماعات الطابور الخامس، التي بنت جحورها تحت تلة الخداع والغدر والدهاء، وكان من عهد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إليه قوله: «**والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إنَّه لعهد النبيِّ الأُمِّيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إليّ، أنْ لا يحبني إلَّا مؤمن، ولا يبغضني إلَّا منافق**».

وبين الحب والبغض، ظهر عليٌّ لمن يبصر، أداة تمييز بين هؤلاء وهؤلاء، بين خط ولاية الله تعالى، وخط ولاية الشيطان الرجيم، طريقان لا ثالث لهما. قد تجد أحباء عليٍّ

عليه السلام، في كلِّ الملل والنحل القديمة والحديثة، حتى اليساريون الذين لا يؤمنون بالدين أصلاً، يكنّون لعليٍّ عليه السلام احتراماً وتقديراً، لسبب أنَّه أحبَّ المستضعفين، وآواهم إلى قلبه الكبير، وعاش بينهم كأحدهم، وقضى حوائجهم، ولم يترددوا في الاستدلال بأبي ذر الغفاري، على أساس أنَّه رجل الاشتراكية الأوّل، فعظموه في نفوسهم ومقالاتهم، وما أبو ذر رضي الله تعالى عنه، إلَّا تلميذ من تلاميذ مدرسة عليٍّ عليه السلام.

من السهل عليك أيُّها القارئ أنْ تنتمي إلى أيِّ أحد، ومن اليسير أنْ تقول إنَّك تحبّ إنساناً ما، لكنَّك لا تستطيع أنْ تقول إنَّك تحبّ علياً أو تنتمي إليه، وأنت تقتات من خوان ومائدة معاوية، وتدخل دار أبي سفيان بحثاً عن الأمن والإسلام، لأنَّ حبَّ عليٍّ عليه السلام، والانتماء إلى خطه لا يلتقيان مع حبِّ الدنيا وأصحابها، وولاء عليٍّ عليه السلام، لا يتفق مع ولاء من عاداه وحاربه، كائناً من كان، فالقلب الذي لم يفترش مقام العبودية الحقة لله تعالى، لا يستطيع أنْ يأتلّف علياً ويسع حبّه، ومن هنا قلّ محبو عليٍّ وأتباعه، وندر العاملون بسيرته، والسالكون نهجه، فالناس كما قال عليٌّ عليه السلام لصاحبه أبي ذر الغفاري: «**يا أبا ذر لا تستوحش في طريق الهدى لقلّة سالكيه، فإنَّ الناس قد اجتمعوا على مائدة شبعها قصير وجوعها طويل**».

عليٌّ طلّق الدنيا ثلاثاً لا رجعة فيها، فهل طلقناها نحن؟ وعليٌّ وطَّن نفسه كلَّ يوم على الرحيل، واستعد للموت استعداد الواثق الذي قال: «**لو كشف لي الغطاء ما**

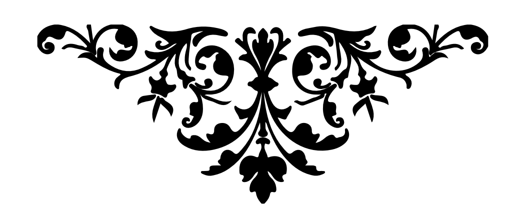
ازددت يقيناً»، فهل وطّنا أنفسنا للرحيل، وطيبناها للموت كما كان من شأن عليٍّ؟

طريق عليٍّ عليه السلام، هو صراط الله تعالى المستقيم، الذي ارتضاه للعالمين طريق هداية واحد، وهو النهج الذي سلكه أهل بيته من بعده، إذا كنت ترغب حقاً في أنْ تكون من المهتدين، فما عليك إلَّا أنْ تبحث عن ذلك المسلك، وتنخرط فيه بكلِّ ذرة من كيانك، فإنْ فعلت ذلك، فإنَّك ستمضي ما بقي من عمرك في كنف ولاية عليٍّ عليه السلام وولاية الله تعالى.ولكي تعرف بعض الذي يختزله عليٌّ عليه السلام، أو تتذكر بعض ما أنساه عصر مظلمة عليٍّ عليه السلام، تعال معي إلى هذه المقامات التي بدأت في كتابتها، حباً وعشقاً وموالاة لعليٍّ عليه السلام، أنقلها لك مجردة من كلِّ تهويل، خالية من كلِّ زينة، كما أراد نشرها الرسول الأعظم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بين المسلمين، فإنْ رأى فيها أحد عكس ما قلته وأملته بلاغته، فليعلم أنَّ نفسه الأمارة بالسوء، هي التي حالت بينه وبين حقيقة عليٍّ عليه السلام، أو أنَّ شيطاناً استوطن داخلها، يريد أنْ يحول بينها وبين حبِّ عليٍّ عليه السلام، فليجهد المرء نفسه لطرده، وليقاوم من أجل أنْ يكون قلبه وعاءً لعليٍّ عليه السلام، لأنَّ علياً لا يمكن أنْ يكون سوى نسخة عملية للإسلام، معبّرة عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وامتداداً له سيرة وسلوكاً ومقاماً دون النبوة.. عليٌّ هو الفطرة الصافية التي لم تدنسها الجاهلية بأدناسها، وهو الإيمان كلُّه، سنامه وأمير أهله.

تحيرت في الاسم الذي أردته عنواناً لكتابي هذا، لما أردت طباعته، لكنَّني سرعان

ما اهتديت إلى إطلاق عنوان، نسبه الإمام عليٌّ إلى نفسه وإلى أهل بيته، عثرت عليه في جملة خطبه وحكمه، التي جمعها الرضـــي في كتاب نهج البلاغة، قال أمير المؤمنين وقائد الغر المحجلين: «**نحن النمرقة الوسـطى، بها يلحق التالي، وإليها يرجع الغالي**»(١).والنمرقة هي الوسـادة التي يستند عليها المتكئ، فلا راحة له بدونها، وقد صـوَّر نفسـه وأهل بيته أئمة الهدى بالوســادة، لاســتناد المســلمين إليها، فيما احتاجوا إليه، من أُمور دينهم ودنياهم، وهو ما أثبته لهم حفاظ السـيرة والتاريخ، وعرّفها بالوسـطى، لما فيها من تعبير عن وســطيتهم، تطابقاً مع قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾(٢).مُحَمَّدُ الرُّصَاْفِيُّ الْمِقْدَاْدُ/ تونس

وليد الكعبة



إنَّ كلَّ من لم يطّلع على شخصية عليٍّ عليه السلام، من وجهة صحيحة أو محايدة، تأخذه المفاجأة والا ستغراب من العنوان، و يتساءل عن العلاقة بين أبي الحسن عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام، والكعبة المشرفة؟ وكيف يمكن أنْ نجمع في التشبيه بين بيت، يختلف عن بقية البيوت، من حيث السببية والعلّية والمقام، وبين رجل اختلف فيه الناس اختلافاً شديداً، وتباين الأمر بينهم، ما بين مفرط في حبه، ومبغض إلى حدٍّ إنزاله دون منزلته، وبهت مقامه، كما أخبر بذلك النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؟[٣]

أُولى الخصائص التي تميز بها أمير المؤمنين عليه السلام، بحيث لم تكن لأحد غيره على الإطلاق منذ وجدت الكعبة، هي ولادته المباركة في داخلها، تلك الولادة التي حرص أعداء عليٍّ عليه السلام ومبغضوه، على إعفائها من أُمَّهات كتبهم، لأنَّها مثلت إشارة كبرى، ورمزاً مؤكداً على القيمة المهمة التي يختزنها وليد الكعبة، بحيث ربط الله

ســبحانه وتعالى ولادة وليّه ببيته، الذي جعله قبلة وقياماً للناس، كأنَّما يريد أنْ ينبهنا إلى شــيء مهم، متعلق بوليد كعبته، وهو أنَّ الشــرف في ولادة عليٍّ عليه الســلام في جوف الكعبة، ليس لعليٍّ عليه الســلام، وإنَّما هو للكعبة المشــرفة، التي زادها تشــريفاً وفخراً، ولو أنطقها الله تعالى، لافتخرت وتشرفت بذلك الفضل العظيم.

في شــهر الله الحرام رجب، وفي ليلة الجمعة الثالثة عشــرة من ســنة ٣٠ من عام الفيل، وفي داخل بيته الحرام، كانت ولادة عليٍّ عليه السلام، في حدث انفرد به وحده، فلم يشــاركه فيه أحد من العالمين.عن يزيد بن قعنب قال: كنت جالســاً مع العباس بن عبد المطلب (رض) بإزاء بيت الله الحرام، إذ أقبلت فاطمة بنت أســـد أُمٌّ أمير المؤمنين عليه السلام، وكانت حاملاً به، وقد أخذها الطلق فقالت: يا رب إنِّي مؤمنة بك، وبما جاء من عندك من رســـل وكتب، وإنِّي مصـــدقة بكلام جدّي إبراهيم الخليل، وأنَّه بنى البيت العتيق، فبحق الذي بنى هذا البيت، والمولود الذي في بطني، إلَّا يسّـــرت عليَّ ولادتي، فرأيت البيت قد انشــق عن ظهره، ودخلت فاطمة بنت أســد فيه، وغابت عن أبصـــارنا، وعاد الجدار إلى حاله، وأردنا أنْ نفتح قفل الباب فلم ينفتح، فعلمنا أنَّ ذلك من أمر الله تعالى، ثمَّ خرجت في اليوم الرابع، وعلى يدها أمير المؤمنين عليٌّ بن أبي طالب عليه السـلام.(٤)ولئن حاول من حاول التعمية على خصـوصـية ولادة عليٍّ عليه الســـلام داخل الكعبة، لانحراف عن شــخصــه، فإنَّنا يجب علينا إحقاقاً لحق عليٍّ عليه الســـلام، أنْ نقف أمام هذا الشـــرف، الذي لم يحزه أحد غيره، والروايات التي تحدثت

بشيء من التفصيل، جاءت من الحفّاظ الذين صنفوا ضمن المعارضة، لأنظمة الحكم التي استبدّت وطغت، وحكمت رقاب المسلمين بالهوى واتباع مسالك الشيطان، فتركت كتاباهم، لأنَّها جاءت متعارضة مع المنهج الذي خطه أولئك الظلمة.ولد إذن عليٌّ عليه السلام في داخل الكعبة المشرفة، في اليوم الثالث عشر من شهر رجب، قبل البعثة باثنتي عشرة سنة، وقد صرّح بذلك ابن صباغ المالكي، صاحب الفصول المهمة، والمسعودي صاحب مروج الذهب، والحلبي صاحب السيرة الحلبية، وقال الشيخ المفيد في الإرشاد: ولم يولد قبله ولا بعده مولود في بيت الله سواه، إكراماً من الله جلَّ اسمه له بذلك، إجلالاً لمحله في التعظيم.(٥)وذكر الألوسي في شرح عينية عبد الباقي قوله: وكون الأمير كرم الله وجهه ولد في البيت، أمر مشهور في الدنيا، وذكر في كتب الفريقين السنة والشيعة.(٦)يقول السيد الحميري:

ولدته في حرم الإله وأمنه — والبيت حيث فناؤه والمسجد

بيضاء طاهرة الثياب كريمة — طابت وطاب وليدها والمولد

في ليلة غابت نحوس نجومها — وبدت مع القمر المنير الأسعد

ما لفّ في خرق القوابل مثله — إلَّا ابن آمنة النبيّ محمد

ونقل الحلبي عن الزمخشري قال: إنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم تولّى تسميته علياً، وتغذيته أياماً من ريقه المبارك، فعن فاطمة بنت أسد أُمِّ عليٍّ عليه السلام أنَّها قالت: لما ولدته سماه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم علياً، وبصق في فيه، وألقمه

لسانه، فما زال يمصه حتى نام...[٧]ازدادت تلك البقعة الشريفة طهارة وتشريفاً، بأن ازدانت بمولد سيد الوصيين عليه السلام، ففي داخلها وضعت السيدة فاطمة بنت أسد وليدها المبارك، الذي سماه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم علياً، تيمناً باسم الله تعالى (العلي والأعلى)، واسم عليٍّ كاسم محمد، لم يدرجا في تسميات العصر الجاهلي، ولا كانا معهودين في القبائل العربية قبل ذلك الوقت، وهو ما يرجح أنْ يكون النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قد تلقى في ذلك إشارة، أو أمراً بتسميته على ذلك النحو.

وما الحديث القدسي الذي أخرجه الحمويني الشافعي، وعدد من الحفاظ، إلَّا دليل يقوّي فرضية التسمية التي ذكرناها:

...قال: «**يا محمّد إنِّي قد اطلعت إلى الأرض اطلاعة، فاخترتك منها، واشتققت لك اسماً من أسمائي، فأنا المحمود وأنت محمّد، ثمَّ اطلعت ثانية فاخترت منها علياً، واشتققت له اسماً من أسمائي، فأنا الأعلى وهو علي**»[٨].

وقد خاطب النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام، عندما زوجها علياً بقوله: «**أما ترضين أنَّ الله اطلع على أهل الأرض فاختار رجلين، أحدهما أبوك والآخر بعلك؟**»[٩].

ولقد شبّه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم علياً بالكعبة فقال: «**يا عليُّ أنت كالكعبة تؤتى ولا تأتي**»[١٠].باعتباره أوضح الأمثلة التي تنطبق على إمام الأُمَّة بعده، فالناس من أجل تحصيل التوبة والإنابة، وغفران الذنوب، محتاجون إلى الذهاب إلى

الكعبة، التي تمثل رمز الحج إلى الله تعالى، والوفادة إلى حرمه، وقد فعل ذلك عمر بن الخطاب، كلَّما استشكل عليه أمر من حكم ونحوه، فكان يبادر في كلِّ مرّة إلى عليٍّ عليه السلام، حيث يستجلي منه ما أشكل عليه، واحتار هو وبطانته دونه، ولم يجد له حلاً، وما تزال كلمات إقراره واعترافه بفضل عليٍّ عليه السلام تتردد إلى اليوم، بين المصادر التي تحدثت عن سيرة الرجلين.

كذلك الأُمَّة الإسلامية محتاجة من أجل بقاء دينها غضاً طرياً، وتحصيل هدايتها، إلى الإمام المبين الذي أحصى الله تعالى فيه كلَّ شيء، وهو عليٌّ عليه السلام، قال تعالى: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾[(١١)].

شبّه عليٍّ عليه السلام بالكعبة بقي متواصلاً، وعلاقته بها استمرت يكتنفها الودّ والمحبة، فقد وجدت الكعبة في عليٍّ عليه السلام، المطهر لها من أصنام الرجس في مناسبتين، الأُولى قبل الهجرة:

أخرج الحاكم في مستدركه عن عليٍّ عليه السلام قال: «**انطلق بي رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، حتى أتى بي الكعبة، فقال لي: اجلس فجلست إلى جنب الكعبة، فصعد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بمنكبي ثمَّ قال لي: انهض فنهضت، فلمّا رأى ضعفي تحته، قال لي اجلس، فنزلت وجلست، ثمّ قال لي: يا عليّ اصعد على منكبي، فصعدت على منكبيه ثمّ نهض بي، فلمّا نهض بي، خيل لي لو شئت نلت أُفق السماء، فصعدت فوق الكعبة، وتنحى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقال لي: ألق صنمهم الأكبر، صنم قريش، وكان من**

نحاس، موتّداً بأوتاد من حديد إلى الأرض، فقال لي: عالجه، وهو يقول لي: إيه إيه، جاء الحق وزهق الباطل إنَّ الباطل كان زهوقاً. فلم أزل أُعالجه حتى استمكنت منه، فقال: اقذفه، فقذفته فتكسر، وترديت من فوق الكعبة».

وقد علق الحاكم النيسابوري على الحديث قائلاً: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه (يعني البخاري ومسلّم على شرطيهما)[١٢].

وحريٌّ بمن ولد داخل الكعبة المشرفة، أنْ يكون المطهر لها من أصنام المشركين، فيكون عليٌّ عليه السلام هو الذي زان الكعبة بمولده فيها، وليس العكس، ولو كانت هذه المنقبة لغيره، لطبّل لها الأتباع وهللوا طول دهرهم، ولكن أنى للعقلاء أنْ يعلموا، وقد حجبت عنهم سياسات الحكام فضائل كثيرة لعليٍّ، لو وصلتهم لما اختلف فيه اثنان

وكان تطهير المسجد الحرام والكعبة المشرفة من الأصنام على يديه، في المرّة الثانية أثناء فتح مكة.

وعندما انثال عليه الناس، ورجع الثائبون إلى رشدهم بخصوص الخلافة، وجدوه في بيته، منشغلاً عن الفتن التي أحدثوها، منقطعاً إلى الله تعالى، فأرادوا جرّه إلى بيعة في بيته، تكون شبيهة ببيعة سقيفة بني ساعدة فرفض، لأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قد علمه، أنَّ الأُمور العامة التي تهم الإسلام والمسلمين، لا يمكنها أنْ تبرم إلَّا في المكان المناسب لها، على مرأى ومسمع من عامة المسلمين، وهو المسجد الذي أُسس على التقوى، ويذكر مرتاده دائماً أنَّه في بيت الله تعالى، فلا يجانب الحق.

ومن الغد أقبل عليٌّ عليه السلام إلى المسجد، فوجد الناس قد سبقوه إليه، متحمسين راغبين في مبايعته، بيعة صحيحة شرعية، أبطلت ما قبلها من تلاعب على الحكومة الإسلامية.حياة عليٍّ عليه السلام استمرت على وتيرة واحدة من القرب إلى الله، فلم يكن ليقدم على شيء إلَّا بعد عرضه على ميزانه الدقيق: «**ما أقدمت على شيء إلَّا ورأيت الله قبله وفيه وبعده**».

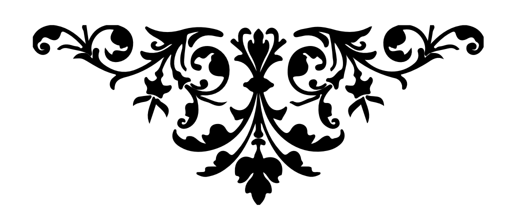
كملت أيام عليٍّ عليه السلام من الدنيا بمسك الختام، ولم تنقطع عن بيت الله، لأنَّه رائده الأوّل بعد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله و سلَّم، فسالت دماؤه الزكية، في محراب مسجد الكوفة، فجر التاسع عشر من شهر رمضان، من ضربة غادرة، وكانت شهادته ليلة الحادي والعشرين من شهر مضان سنة ٤٠ هجرية، فلم يزد على قوله: «**فزت ورب الكعبة**».

وقد كان يسائل قاتله، كلَّما لقيه قائلاً: أما آن أنْ تخضب هذه من هذه؟ مشيراً إلى لحيته وهامته الشريفتين، فيتعجب ابن ملجم المرادي من قول الإمام عليٍّ، ومع ذلك الإخبار الغيبي الذي تزود به عليٌّ من النبيِّ صلَّى الله عليه وآله و سلَّم[١٣]، لم يكن عليٌّ ليمنع عن الرجل عطاءه من بيت المال، وفي هذا الموقف قمة التقوى، ومنتهى التسليم لله تعالى، و غاية خلق الصالحين من أهل العصمة.ودفن ليلاً، بعد التعمية على جواسيس بني أُميّة، حذراً من المساس بقبره، والتمثيل بجسده الطاهر، كما فعل بجسد عمِّه حمزة في أُحد، وتمت عملية الدفن بسريّة تامة، في البقعة الطاهرة من النجف، حيث

مرقد عدد من أنبياء الله، منهم آدم ونوح عليهما السلام، وبقي قبره الشريف مجهولاً عند الناس، إلى أنْ زال مُلك بني أُمية، عندها أبان الإمام جعفر بن محمد، الملقب بالصادق عليه وعلى آبائه السلام عن قبر جده عليه السلام.

انظر إلى مظلومية عليٍّ عليه السلام، يغتصب حقه، ويتطاول عليه من كانوا تحت لوائه وإمرته، ويذهب أذناب هؤلاء بعيداً، فترقى منابر المساجد للنيل منه، وسبه والوقيعة فيه وفي أهل بيته أكثر من ثمانين عاماً، ويأتي زمان يتهم شيعة عليٍّ بسب الصحابة، كذباً وافتراءً، من طرف أُناس يطلبون الرضا لمن أسس سبَّ عليٍّ عليه السلام، وهو معاوية ابن آكلة الأكباد، على أساس أنَّه صحابي جليل، هكذا انحرف الفهم عند المسلمين، واختلطت عليهم الأُمور، فجمعت أوعية عقولهم المتناقضات، واعتمدوها عقيدة يتقربون بها إلى الله، لكنَّها لم تزدهم عنه سوى بعداً وانحرافاً. فسلام على وليد الكعبة وشبيهها، وشهيد بيت الله ومحرابه، يوم ولد، ويوم غدر به، ويوم استشهد، ويوم يبعث حياً، رجل الأعراف الأول، ذاباً فلول النفاق والشرك عن حوض نبيه الأكرم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، حاملاً لواءه، لواء الحمد الذي لم يفارقه في حياته، يوم يراه أولياؤه أين يحبون ويفرحون، ويراه مبغضوه أين يكرهون ويحزنون، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

أول الناس إسلاماً



ما فتئ عليٌّ عليه السلام يتعرض شخصه للدسِّ والتشويه، وقلب الحقائق فيما تعلق بخصائصه وسيرته، فلم يسلم من الطعن والتشكيك والتكذيب شيء منهما، سوى نزر يســير تركه المبطلون، لأنَّه لا يترتب عليه حســب رأيهم، خطر ظهور حقيقة عليٍّ عليه السلام، وانكشاف خيوط التحريف والمؤامرة للأُمَّة.

النزر الذي سلم من الأيدي الآثمة، وقع تأويله تأويلا منحرفا، لا يتفق مع معانيه المقصودة من النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

وردّ خصائص سيد العرب عليه السلام، عمل دأبت عليه عصابات النفاق، منذ تأســست حتى يوم الناس هذا، الغرابة هنا ليســت في تكذيب الأحاديث، التي بيّن فيها النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ما امتاز به عليٌّ عليه السلام على غيره، بل تكمن في إنكار حتى المسلَّمات التاريخية التي لا تقبل الطعن.

في هذه المقامة، نستعرض الخاصية التي حازها عليٌّ عليه السلام دون بقية الأُمَّة، وتتعلق بسبقه إلى دين الله تعالى، والإيمان بنبيه الخاتم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وهذه

الخاصية لم تسلم هي الأُخرى من إرجاف الجهلة والمنافقين.

عن أبي أيوب قال: قال رسـول الله صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم: «**لقد صلّت الملائكة عليَّ وعلى عليٍّ سبع سنين، لأنّا كنّا نصلي وليس معنا أحد يصلي غيرنا**»(١٤).

عليٌّ عليه السلام الذي استجاب لله ورسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وهو في سنٍّ يناهز العشر سنوات، لم يعجب المناوئين له أنْ يسبق أصحابهم، فحاولوا تقديمهم عليه، بدعوى أنَّه أوّل من أسلم من الصبيان.

وهل كانت دعوة النبيِّ صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم موجهة إلى الصـبيان، حتى يدّعي مدّعٍ هذه الفرية؟

وهل كان هناك صـبيان آخرون توجّه إليهم النبيُّ صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم بدعوته في أوّل الدعوة، غير عليٍّ عليه السـلام فأسـلموا، حتى يمكن للمصـنّفين أنْ يدرجوا علياً ضمنهم، فيقدمونه على ذلك الأساس؟

ولكي ينطلي تصـنيف هؤلاء على المسـلمين، زادوا فألحقوا زيد بن حارثة في الموالي، وقالوا بأنَّه أول من أسـلم منهم، وأوّل من أسـلم من النسـاء خديجة عليها السلام، ليفسحوا المجال لمنقبة وهميّة لصاحبهم، بعيدة كلَّ البعد زمناً وواقعاً.

نقل الحلبي عن ابن صـلاح قوله: والأروع أنْ يقال أوّل من أسـلم من الرجال الأحرار غير الموالي أبو بكر، ومن الصـبيان عليٌّ، ومن النسـاء خديجة، ومن الموالي زيد

بن حارثة. وهو المشهور عند أهل السنة[١٥].

أما بقية من أسلموا قبل الشيخين- ولم يقرؤوا لهم حساباً- فهم من المؤمنين الصادقين، أمثال أبي ذر الغفاري، وجعفر بن أبي طالب، وفاطمة بنت أسد وغيرهم، قبل أنْ يبادر أصحاب هؤلاء، إلى إعلان إسلامهم، والذي يؤكد صحة دعوانا، ما نقله الحفاظ عن ترتيب، مرَّ من بين أيدٍ أبت غير البهتان والتلفيق، ولم تتفطن لذلك.

هذا من حيث الترتيب الشخصي، أمَّا من حيث البعد الزمني، الفاصل بين إسلام السابقين الأوائل، وبين أبي بكر، فيعدّ بالشهور والسنوات.

وما جاء من تصنيف لمراحل الدعوة في الكتاب العزيز، يؤكد ذلك البعد، حيث إنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لم يكن مأموراً بغير دعوة عشيرته، لقوله تعالى: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾[١٦].

و استمر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، في دعوة بني عبد المطلب، وبني هاشم مدَّة كافية، لتترك مسافة زمنية يصعب إهمالها والتغافل عنها.

وما قيل من علاقة صحبة بين النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وأبي بكر، كانت عامل سبقه لدين الله، لم تثبت لفارق السن بينهما، مضافاً إلى فارق القبيلة والمقام، ومن حاول إلصاق صحبة الرجل للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، لم ينتبه إلى أنَّ العلاقات في ذلك المجتمع، هي محكومة بالقرابة، والمرتبة القبلية، والحرفة التي يتعاطاها،

وكلُّ تلك العناصر غير متوفرة، ممّا يوجب بها تقارب وصحبة.

حتى الصحبة التي حصلت في هجرة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، لم تكن مبنية على أساس من الصحبة القديمة الموهومة، لأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، لما بلغه موعد الهجرة كان في بيته، ولم يتصل بأحد من المسلمين، ولا يمكنه فعل ذلك لأنَّه تحت رقابة المشركين، والوحيد الذي له علم بتوقيت خروج النبيِّ صلَّى الله عليه وآله و سلَّم من بيته، هو عليٌّ عليه السلام، وما قيل من ذهاب النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى بيت أبي بكر لا يصح، لأنَّ بيت أبي بكر أغلب أفراده كانوا مشركين، ولم يكن مأموراً بالذهاب إليه، ولا حكمة في ذلك البتة، كما لم يترتب لقاء لأيِّ شخص من أجل الهجرة، والصدفة وحدها هي التي وضعت أبا بكر في طريق النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، الذي طلب مرافقته، وهذا الوجه الذي عمل المحرّفون على إخفائه عن المسلمين. كان عليٌّ عليه السلام السابق إلى دين الله، وبقي منفرداً في سبقه، مدّة من الزمن جعلت أمر المقايسة عبثياً، ومحاولة لتعمية الواقع، الذي أظهر علياً سابقاً إلى الإسلام، ومتقدماً على غيره بثلاث، أو خمس، أو سبع سنوات، فقد أخرج الحاكم بسنده الذي استدركه على الشيخين البخاري ومسلم، ولم يخرجاه (لأسباب مذهبية وعصبية) عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أوّل هذه الأُمَّة وروداً على الحوض، أولهم إسلاماً، عليُّ بن أبي طالب عليه السلام**» (١٧).

عن عفيف الكندي قال: كنت امرئاً تاجراً، فقدمت للحج، وأتيت العباس بن

عبد المطلب، لأبتاع منه بعض التجارة، وكان العباس صــديقاً، وكان يختلف إلى اليمن يشــتري العطر، ويبيعه أيام الموســم، فبينما أنا عند العباس بمكة في المســجد، إذا رجل مجتمع، خرج من خباء قريب منه، فنظر إلى الشــمس فلمّا رآها مالت، توضــأ فأســبغ الوضوء، ثمَّ قام يصلِّي إلى الكعبة، ثمَّ خرج غلام قارب البلوغ فتوضأ، ثمَّ قام إلى جنبه يصـــلِّي، ثمَّ جاءت امرأة من ذلك الخباء، فقامت خلفهما، ثمَّ ركع الرجل وركع الغلام وركعت المرأة، ثمَّ خرَّ الرجل ســـاجداً، وخرَّ الغلام، وخرَّت المرأة، فقلت ويحك يا عباس ما هذا الدين؟ فقال: هذا دين محمّد بن عبد الله أخي، يزعم أنَّ الله بعثه رسولاً، وهذا ابن أخي عليٌّ بن أبي طالب، وهذه امرأته خديجة(١٨).

سبقُ عليٍّ عليه السلام إلى كلِّ المكارم، بدءاً من دين الله تعالى، ومروراً بأخلاق وعلوم النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، لا يختلف فيه عاقلان، ولا يردُّ خصائص بطل الإسلام والعالم بكلِّ تفاصيله، وسيف الله تعالى المسلول، الذي صنع النصر في مواطن، قلَّ فيها الناصر، سوى معاند، لم يصب من الدين غير قشور، لا تسمن ولا تغني من جوع.وشتان بين أنْ يدخل الإنسان إلى دين الله تعالى، نقيّ السريرة على الفطرة، وبعد رعاية وعناية من أفضل خلق الله، خاتم الأنبياء والمرسلين صلَّى الله عليه وآله، وبين من أبلى جسده وعقله وروحه، في جاهلية لم تعرف النور، قد أثقلت الآثام كاهله، وسوّدت الجرائم صــفحة عمره ﴿... قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ...﴾(١٩).

إنَّ المتأمل لسـيرة عليٍّ عليه السـلام، خلال الفترة المكية، يقف على حقيقة هذا الفتى، الذي آمن بربِّه فزاده هدى، وما قدّمه لله تعالى من كفاح مرير، لا يمكن حجبه بأيِّ حال من الأحوال، لقد كان عليٌّ عليه السـلام بحق السـاعد الذي لا يكلّ، والروحية التي لا تملّ، عمل في كلِّ الظروف، واجتهد في حالات العسر، كما في حالات اليسر، وكان بحق الدّرع الذي هابه طوال تلك الفترة، كبار المشركين وصغارهم، ولولا عليٌّ عليه السلام وأبوه أبو طالب سيد مكة، لما تحقق للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله و سلَّم الركن الشديد، الذي كان يأوي إليه.

وتجلّى أداؤه، وظهرت خدمته التي لا تقدّر بقيمة، في ما أخبر به عن نفسه قائلاً : **«انطلقت مع ر سول الله صلَّى الله عليه وآله و سلَّم، حتى أتينا الكعبة، فصعد على منكبي، فلمّا رأى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ضعفي، قال لي: اجلس. فجلست، فنزل النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسـلَّم وجلس لي، وقال لي: اصـعد على منكبي، فصـعدت على منكبيه، فنهض بي»**، فقال عليٌّ : **«إنَّه يخيل إليَّ أنِّي لو شئت لنلت أُفق السماء، فصعدت على الكعبة، وعليها تمثال من صـفر أو نحاس، فجعلت أعالجه لأزيله يميناً وشـمالاً وقداماً، ومن بين يديه ومن خلفه، حتى ا ستمكنت منه، فقال نبيُّ الله صلَّى الله عليه وآله و سلَّم اقذفه، فقذفت به فكسرته كما تكسر القوارير، ثمَّ نزلت فانطلقت أنا ورسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نستبق، حتى توارينا بالبيوت، خشية أنْ يلقانا أحد»**[٢٠].

ومن أجلى مصـاديق دور عليٍّ عليه السـلام خلال الفترة المكية، والذي حاول

أعداؤه حجبه عن المسلمين، تصغيراً منهم لشانه، ما رواه أبو ذر من إسلامه، والذي يعدّ نموذجاً راقياً للوعي والإدراك والمسؤولية، في فترة حرجة وعصيبة من الإ سلام، لم يوجد لها غيره: عُدَّ أبو ذر من الموحدين لله، قبل أنْ يبلغه نبأ ظهور النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فمكث بين عشيرته على فطرته ومعرفته التي وصل إليها، إلى اليوم الذي مرَّ عليه رجل من قومه، أخبره بأنَّ رجلاً من مكة بعث، بما أعلنه أبو ذر من عقيدة توحيدية مخالفة لقومه، فأرسل أخاه أنيساً يستطلع له الخبر، عاد أنيس إليه بما دفعه إلى الالتحاق بمكة، وإذا بشاب أقبل ليطوف بالبيت، فمرَّ به وقال:

«**من الرجل؟**» فقال: من غفار، فقال: «**قم إلى منزلك**». فقام معه، وانطلق به إلى منزله، ولم يسأل أحدهما صاحبه شيئاً، وفي الصباح خرج أبو ذر يطلب حاجته، وبقي طوال اليوم، يترقب أخبار الرجل الذي جاء من أجله، فلم يستفد شيئاً، وكره أنْ يسأل أحداً عنه، فمرّ به عليٌّ فقال له: «**أما آنَ للرجل أنْ يعرف منزله؟**» انطلق به فبات ليلته، ولم يسأل أحدهما الآخر شيئاً، وفي اليوم الثالث سأل أبو ذر علياً، عن الرجل الذي خرج يدعو إلى الله سبحانه، فأخذ عليه العهد ليكتمنّ أمره، فقال له عليٌّ:

«**إنِّي ذاهب إليه فاتبع أثري، فإنِّي إنْ رأيت ما أخاف عليك، اعتللت بالقيام، كأنِّي أُريد أنْ أُريق الماء، وإنْ لم أرَ أحداً فاتبع أثري، حتى تدخل حيث أدخل**»، ففعل ما أشار به عليٌّ، ودخل في أثره على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فأخبره خبره، وسمع قول رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وأسلم، ثمَّ قال يا رسول الله ما تأمرني؟ فقال النبيُّ صلَّى الله

عليه وآله وسـلَّم: «**آمرك أنْ ترجع إلى قومك، حتى يبلغك أمري**»، فقال أبو ذر: والذي نفسي بيده لا أرجع، حتى أصرخ بالإسلام في المسجد[٢١].وكما يعرفه الجميع، فإنَّ أبا ذر تحدّى قريشاً في عقر دارها، وصرخ بالشهادتين لثلاثة أيام...

ويبقى عليٌّ عليه السلام الأول بعد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في كلِّ شيء، لا يمكن لأحد أنْ يسبقه إلى فضيلة، ولا أنْ يجاريه في خاصية، ولا يدافعه عن رفعة منزلة، ولا يدانيه في طهر، علماً هادياً، ومثال خير للعالمين بادياً، لا يستقر حبّه إلَّا في قلوب المؤمنين، فاستفت قلبك أيُّها القارئ:

إنْ كنت مؤمناً، فستجد حبَّ عليٍّ عليه السلام في فؤادك حتماً، مستقراً في أعماقه ولاءً وطاعة واتباعاً.

من دخله كان آمناً

انطلقت مسيرة الدولة الإسلامية الفتيّة، بعد هجرة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، من مكة إلى المدينة، ومنذ البداية اتّجه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، إلى تركيز مسجده الذي أسسه على التقوى، وجعل بيته وبيت عليٍّ وفاطمة عليهما السلام قبلة المسجد، كما كان شأن النبيِّ موسى وأخيه هارون عليهما السلام، عندما خاطبهما المولى سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٢٢].

فكان اتجاه القبلة لأبواب بيوت الصفوة، ميزة اختصوا بها دون غيرهم، وإشارة لطيفة وواضحة، إلى أنَّ تلك البيوت ليست ككلِّ البيوت، وجعلها قبلة، علامة توجه القاصدين إليهم، ودلالة على أنَّ بيوتهم التي باركها الله سبحانه وتعالى، هي ملاذ كلِّ من يروم اتباع صراط الله المستقيم، وسبيله القويم، وملجأ كلِّ متحيّر، يبحث عن الطريق إليه.

قال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ

وَالْآصَالِ (*) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (*) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٢٣] وبنى من بنى من الصحابة بيوتهم، في بقية الاتجاهات، ومنها أشرعوا أبوابهم المطلة على المسجد، وقد تمَّ كلُّ ذلك دون استشارة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، واستمر الأمر على تلك الحال، مدّة لم تتجاوز الثلاث سنوات

في تلك الأثناء، كان لعليٍّ عليه السلام طريقان إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، طريق بالنهار شارك فيه بقية الناس، وامتاز عليهم فيه بإقدامه على السؤال والاستفسار، في مقابل تهيّب أغلبهم من ذلك، بسبب أنَّ علياً عليه السلام كان على درجة كبيرة من الوعي والفهم، وكان وعاءً متميزاً عن غيره، لقبول العلم والتفاعل معه، فحفظ ما لم يتسنَ لغيره إدراكه وفهمه، والناس على درجات متفاوتة في الفهم والإدراك، وطريق آخر بالليل، اختص به دون غيره، فلم يشاركه فيه أحد[٢٣].

وسماح النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لعليٍّ بالتردد عليه، آناء الليل وأطراف النهار، لم يكن إلَّا إعداداً له لمرحلة ما بعد النبوّة، وللدلالة على مقام عليٍّ عليه السلام عند الله وعند رسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقد تجلى هذا المقام في كامل سيرته العطرة، الملآى تضحية وفداءً، رغم كلِّ أعمال التحريف والتخريب التي افتعلها أعداؤه عند تدوينها في كتب الحديث والسيرة والتاريخ، للتشويش على مآثره، والعمل على طمس أياديه على الإسلام والمسلمين، فلم يسلم من رصيده سوى النزر اليسير، بجهود

علماء أبرار، حافظوا عليه بشقّ الأنفس.

أمّا ما خلص من تلك الآثار، فيكفي للدلالة على قيمة هذا الرجل الفذ، الذي صدق ما عاهد الله عليه.

ولعلّ مقالة ابن عباس التي نقلها ابن الأثير، تكفي مؤونة الاستدلال على مخزون علم عليٍّ، ذلك المقدار الذي تلقاه من أخيه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، فقد قال ابن عباس: لقد أُعطي عليٌّ تسعة أعشار العلم، وأيم الله لقد شاركهم في العشر العاشر(٢٤).

كان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم - في تلك الفترة - يأتي إلى بيت عليٍّ وفاطمة عليهما السلام، فينادي للصلاة، وذلك بعدما نزلت الآية: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾(٢٥).

عن أبي الحمراء قال: حفظت من رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ثمانية أشهر بالمدينة، ليس من مرّة يخرج إلى صلاة الغداة، إلّا أتى إلى باب عليٍّ، فوضع يده على جنبتي الباب، ثمّ قال: «**الصلاة** ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾»(٢٦).

وعن ابن عباس قال: شهدنا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم تسعة أشهر، يأتي كلَّ يوم باب عليٍّ بن أبي طالب، عند وقت كلِّ صلاة، فيقول: «**السلام عليكم**

ورحمة الله وبركاته أهل البيت، ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ **الصلاة رحمكم الله»**. كلَّ يوم خمس مرات [٢٧].

والظاهر أنَّ المراد من فعل النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مع صفوة أهل بيته عليهم السلام، ليس المقصد منه إيقاظ عليٍّ وفاطمة عليهما السلام من النوم لأداء الصلاة، لأنَّ المتتبع لسيرة هؤلاء الأطهار، يقف على حقيقة أنَّهم بالليل قليلاً ما يهجعون، وبالأسحار هم يستغفرون، فهما معاً تربية وتأسيساً، من أفضل المخلوقات، وأقربهم إلى الله تعالى، وأرواحهم جميعاً تكاد تنطلق إلى بارئها شوقاً إليه، لولا الآجال التي قضاها لهم، فوق ما تضمنته رواية ابن عباس، من شمولها للصلوات الخمس، بل لتنبيه الحاضرين، والأجيال التي سوف تتناقل الإجراء الذي قام به، أنَّ هؤلاء المصطفين الأخيار، هم ذخيرة البارئ تعالى في الأُمَّة، وملاذها بعد نبيّها صلَّى الله عليه وآله.

مرّت إشارة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى البيت، الذي كان ينادي عند بابه للصلاة، دون فهمٍ من غالبية المسلمين، إلَّا من قلة قليلة، ممّن عرف حق عليٍّ عليه السلام، واتبعه بعد وفاة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وكان من الضروري أنْ يستعيض عن تلك الإشارة بتوضيح أكبر، كان يتحين له فرصة التبليغ والبيان، بين ملأ من صدور وغرة وقلوب مليئة بغضاً، لم تتردد في إظهار مكنوناتها، كلَّما بدر من عليٍّ عليه السلام عمل لم يستسيغوه.

وإعداد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لمن يقوم مقامه على رأس قيادة أُمَّته،

عمل ضروري، تحتمه المرحلة التي تلت حياته الشريفة، نظراً للفراغ الهائل الذي سيتركه رحيله، ولا يمكن أنْ يملأه أحد، إلَّا إذا كانت إمكانياته قريبة من تلك التي اختص بها النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وله من المؤهلات والعلوم ما يمكنه من دفع كلِّ شبهة، ورفع كلِّ إشـــكال، ودحض كلِّ مقالة مخالفة لروح الدين وجوهره، وكان عليٌّ عليه الســـلام، هو الرجل المؤهل لأداء ذلك الدور، ولم يكن اختيار النبيِّ له، لمجرد كونه ابن عمِّه، أو أخاً له بالمؤاخاة، أو زوجاً لابنته فاطمة الزهراء، ســـيدة نســـاء العالمين عليها السلام، بل لأنَّ الا ستعدادات التي عرفها النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فيه، لم تتوفر بكامل خصـــائصـــها في غيره، ممّا دفع بالوحي إلى التأكيد على مكانته في كلِّ مرّة.ومع إعداده صـــلَّى الله عليه وآله وســـلَّم لذلك الرجل الفذ، كان من حين لآخر يدلّل عليه تلميحاً، ويشـير إليه توضـيحاً، وينادي باسمه تصـريحاً، مبيّناً خصـاله ومقامه، وبقدر ما كانت إفادات النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم وآله شافية وافية، لمن ألقى السمع وهو شهيد، بقدر ما كانت ثقيلة على أسماع الكثيرين، ممّن كان طمع السـلطة والحكم يراود عقولهم، ويمنّون أنفسهم الظفر بهما، فلم يكن يعجبهم صدور أيِّ شيء من ذلك القبيل، يكون بعيداً عنهم، وفي غير مرمى آمالهم.

في هذه المرّة، أقدم النبيُّ صـــلَّى الله عليه وآله وســـلَّم على فعل شـــيء لم يكن منتظراً، ونزل كالصاعقة على رؤوس الطامعين، والمستشرفين للسلطة والحكم بغير وجه حق، ممّا أثار حفيظة ذلك الطابور، فأقام الدنيا تذمراً واحتجاجاً، وقد دلّت ردّة فعلهم،

على الفهم الذي حصل لديهم من خلال ذلك الأمر، وهو حصر الزعامة والرئاسة والقيادة والوجاهة في النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وعليٍّ عليه السلام، وطي الصفحة عمّا دونهما.

وقد يذهب البعض، إلى أنَّ الحادثة لا تعدو أنْ تكون عملاً رمزياً بسيطاً، لا يتعدى معناه الظاهر، وهو طهارة المسجد، لكنَّه في واقع الأمر، دليل مهم آخر، يضاف إلى خانة أهلية عليٍّ عليه السلام، وسمو مقامه على بقية الصحابة.لم تحدد كلُّ الروايات، أمر رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بسدِّ الأبواب المشرعة على المسجد، واستثناء بابه وباب عليٍّ عليه السلام، ما عدا روايتين، استشف منهما أنَّ التوقيت في الفترة التي أعقبت بناء المسجد، فحسم مسألة الأبواب منذ البداية، حتى لا يتفاقم أمرها.

ووجود حمزة عمِّ النبيِّ في تلك الروايات، يؤكد على أنَّ الأمر كان في أول استقرار النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في المدينة، وبعد بناء مسجده المبارك.

فكان الأمر بسدِّ الأبواب المشرعة على المسجد كلِّها، باستثناء باب النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وباب عليٍّ عليه السلام، دلالة أكثر وضوحاً، وإشارة لا تقبل التأويل، إلى أنَّ صاحب الباب الذي بقي مع باب النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم- واستثني دون غيره من الأبواب- هو من سيكون له الدور والمكانة والقيادة والسلطة، بعد وفاته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.وأحاديث سدِّ الأبواب، لم تمر دون تحريف، فقد علم أعداء الإمامة الإلهية، أنَّ تركها تمرّ سالمة، سيؤدي إلى الوقوف على أحقية الإمام

عليٍّ عليه السـلام في قيادة الأُمَّة، للمنزلة التي اختصّ بها حقيقة دون غيره، ممّن عاصره من الصحابة، فاختلقوا روايات تقول بخلاف السّدِّ الحقيقي، ونحن إذ نستعرض روايات الحادثة الصـحيحة، نرى لزاماً علينا، أنْ نعرّج من جهة أُخرى على الروايات المفتعلة، لنزداد يقيناً بأنَّ كلَّ بناء باطل، لا بُدَّ أنْ يكون بنيانه على شفا جرف هار.

عن عليٍّ عليه السـلام قال: «**لما أمر رسـول الله صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم بسـدِّ الأبواب التي في المسـجد، خرج حمزة يجرّ قطيفة حمراء، وعيناه تذرفان يبكي، فقال صـلَّى الله عليه وآله وسلَّم: ما أنا أخرجتك، وما أنا أسكنته، ولكنَّ الله أسكنه**»(٢٨).

ووجود حمزة بن عبد المطلب رضـوان الله تعالى عليه وقت الحادثة، دلَّ على أنَّها وقعت قبل شـهادته في أُحد، وقد يكون أمر النبيِّ صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم بسـدِّ الأبواب، قد وقع بعد زمن يسير من إتمام بناء المسجد، ودخول عدد من الصحابة إليه، وهم على جنابة بحثاً عن الماء، مروراً منه وليس لهم طريق غيره، عمل غير مقبول، وتنجيس معنوي لبيت الله الأول، الذي أُسـس على التقوى، فاقتضـت إرادة البارئ تعالى، تطهير المسجد من تلك الأدناس الظاهرية، فأخرج من ليس فيه خاصية الطهارة الدائمة، وبمعنى آخر أخرجهم جميعاً، واسـتثنى علياً عليه السـلام، لأنَّه من أهل بيت النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

ولعلَّ في الحديث الذي رواه ابن عباس، دليلاً على هذا المعنى، وترجيحاً للسـبب الذي دعا إلى القيام بسدِّ الأبواب المشرعة على المسجد(٢٩).

إنَّ الذين أشرعوا أبوابهم على المسجد، كانوا من كبار القوم، وأعيان الصحابة، لذلك لم يعجبهم أمر إغلاق أبوابهم المفتوحة على المسجد، لاستعمالها طريقاً إليه، فتكلم منهم من تكلم، اعتراضاً على أمر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وامتعاضاً واستنكاراً منه، ممّا حدا بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى زيادة توضيح موقفه، رحمة منه وسماحة ولطفاً.

عن زيد بن أرقم قال: كان لنفر من أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، أبواب شارعة في المسجد، قال: فقال: يوماً «**سدّوا هذه الأبواب إلّا باب عليٍّ**». قال: فتكلم في ذلك الناس. قال: فقام رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، فحمد الله تعالى وأثنى عليه، ثمّ قال: «**أمَا بعد فإنِّي أمرت بسدِّ هذه الأبواب إلَّا باب عليٍّ، وقال فيه قائلكم، وإنِّي والله ما سددت شيئاً ولا فتحته، ولكنِّي أُمرت بشيء فاتّبعته**»(٣٠).

عن عبد الله بن عباس قال: لما أخرج أهل المسجد وترك علياً، قال الناس في ذلك، فبلغ النبيَّ فقال: «**ما أنا أخرجتكم من قبل نفسي، ولا أنا تركته، ولكنَّ الله أخرجكم وتركه، إنَّما أنا عبد مأمور، ما أُمرت به فعلت، إن أتبع إلَّا ما يوحى إليّ**» (٣١).

وكعادة المتسترين على المعتدين على مقام النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، لم يذكر الرواة ولا الحفاظ أسماء هؤلاء الذين اعترضوا على أمر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بسدِّ أبوابهم، واستعاضوا عن ذلك بـ(قال الناس في ذلك) أي طعن هؤلاء في الأمر وتكلموا فيه، ولم يسلِّموا أمرهم إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وفي ذلك ما

فيه من فساد في الدين.

قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾.

والتنمّر على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، والطعن على عليٍّ عليه السلام، عادة درجت بين الصحابة، حتى لا تكاد تجد موقفاً، إلَّا ولهم فيه مقام مذموم.وفي الروايتين الأُولى التي نقلت عن زيد بن أرقم، والثانية التي نقلت عن ابن عباس، إشارة إلى اسمين من أسماء المعترضين على سدِّ الأبواب، وقد جاء استرجاعهما تلطيفاً من الراوي، لخطورة الاعتراض الصادر منهما، وكان حري بهما الامتثال للأمر منذ الوهلة الأُولى.

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾(٣٣).

عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لعليٍّ عليه السلام: «**إنَّ موسى سأل ربَّه أنْ يطهر مسجده لهارون وذريته، وإنِّي سألت الله أنْ يطهر لك ولذريتك من بعدك**». ثمّ أرسل إلى أبي بكر: «**أنْ سدَّ بابك**». فاسترجع وقال: سمعاً وطاعةً، فسدَّ بابه، ثمَّ أرسل إلى عمر كذلك، ثمَّ صعد المنبر فقال: «**ما أنا سددت أبوابكم، ولا فتحت باب عليٍّ، ولكنَّ الله سدَّ أبوابكم، وفتح باب عليٍّ**»(٣٤).

الاحتجاج الذي صدر عن الصحابة المعنيين بغلق أبوابهم، لم يكن مدفوعاً

بحاجتهم إلى تلك الأبواب، للمرور منها إلى المسجد، بل كان نابعاً عن عدم رضاهم ببقاء باب عليٍّ عليه السلام مفتوحاً، ولو أمر النبيُّ بسدِّ الأبواب كافة، بما في ذلك باب عليٍّ عليه السلام، لما صدر منهم أيُّ ردِّ فعل ولا احتجاج على ذلك.

إذن فالمشكلة عند هؤلاء، هي بقاء باب عليٍّ عليه السلام مفتوحاً، وما سيترتب عليه من أفضلية ظاهرة جلية، لا تحتاج إلى تأويل، يذهب بالقصد من غلق ما دون باب عليٍّ عليه السلام.

أمَّا جعل بيت وباب عليٍّ عليه السلام قبلة، فإنَّ فيهما دلالةً على مقصد المسلمين الذي يجب أنْ يتجهوا إليه، باعتباره المرجعية المعدّة من النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم للأُمَّة، وصمام الأمان من الضلالة والانحراف، وسفينة النجاة التي لا ينجو من تخلف عنها من طوفان التحريف.وبعد التجاهل والإقصاء، جاء زمن حكم عليٍّ عليه السلام، فتسلَّمه بعد إصرار المسلمين على اختياره، في حال يرثى لها من تعطيل الأحكام، والمحاباة والاستئثار ببيت مال المسلمين، دون بقية المسلمين، وحصر خراج البلاد المفتوحة في يد حفنة من طلقاء بني أُمية.

وبعودة الدرّ إلى معدنه، بدأ المسلمون يتحسسون شخصية عليٍّ عليه السلام ومكانته وخصائصه، وفي المقابل كان أمير المؤمنين يقيم الدليل، ويظهر الحجة تلو الأُخرى، على أحقيته في الإمامة بعد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وفي هذا الإطار أخرج أحمد في مسنده: عن عبد الله بن الرقيم الكناني قال: خرجنا إلى المدينة زمن

الجمل، فلقينا سعد بن مالك (أبو سعيد الخدري) بها، فقال: أمر رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بسدِّ الأبواب الشارعة في المسجد، وترك باب عليٍّ[٣٥].

أخرج الحفاظ أحاديث سدِّ الأبواب بطرق عديدة عن: الإمام عليٍ عليه السلام وزيد بن أرقم وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس والبراء بن عازب وعمر بن الخطاب وسعد بن مالك (أبو سعيد الخدري) وسعد بن أبي وقاص وجابر بن سمرة وأبو حازم الأشجعي وأنس بن مالك وبريدة الأسلمي.

تعددت طرق سدِّ أبواب الصحابة المشرعة على المسجد، باستثناء باب عليٍّ عليه السلام، قطعت طريق الريبة والشك في وقوع الحادثة، على من أراد أنْ يطعن بصحة طريق من طرقه، زد على ذلك قطع كلٌّ من ابن حجر والقسطلاني بصحتها، فقد قال: إنَّ كلَّ طريق منها صالح للاحتجاج، فضلاً عن مجموعها[٣٦].

ومقابل هذه الطرق المتعددة، جاء المفتونون برواية معارضة، فيها أمر بسدِّ الأبواب ما عدا باب أبي بكر؟

و يرجح أنْ يكون لزمن بني أُمية علاقة بوضع هذه الروايات ونحوها، سعياً محموماً لإبطال آثار عليٍّ عليه السلام، وإرباك الأُمَّة وتشويش وجهتها، كما صرّح به غير واحد من المؤرخين والعلماء، الذين لم يكن همهم غير إظهار الحقيقة.فقد أخرج ابن أبي الحديد: أنَّ معاوية وبعدما استتب له أمر السلطة والحكم، كتب إلى عماله: أنْ برئت الذمّة ممّن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته، فقامت الخطباء في كلِّ كورة

وعلى كلِّ منبر يلعنون عليّاً، ويبرؤون منه، ويقعون فيه وفي أهل بيته..

وكتب معاوية إلى عمّاله في جميع الآفاق: ألّا يجيزوا لأحد من شيعة عليٍّ وأهل بيته شهادة، وكتب إليهم: أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته، والذين يروون فضائله ومناقبه، فأدنوا مجالسهم وقرّبوهم وأكرموهم. ففعلوا ذلك حتّى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه، لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلات..

ثمَّ كتب إلى عمّاله: إنّ الحديث في عثمان قد كثُر وفشا في كلِّ مصر وفي كلِّ وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأوّلين، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلَّا وتأتوني بمناقض له في الصحابة، فإنّ هذا أحبُّ إليّ وأقرُّ لعيني، وأدحض لحجّة أبي تراب وشيعته، وأشدُّ عليهم من مناقب عثمان وفضله، فقرئت كتبه على الناس، فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجدّ الناس في رواية ما يجري هذا المجرى، حتّى أشادوا بذكر ذلك على المنابر(٣٧).

ومن خلال ما جاء في هذا النص التاريخي، نرى أنَّ افتعال الفضائل، ونسبتها إلى عدد من الصحابة، خصوصاً الخلفاء الثلاثة الأوائل، كان قد حصل زمن معاوية، وإنَّ الطامة في هذا الخصوص كانت من تأسيسه.

نماذج المفتريات الأُموية كثيرة جداً، لكنني في هذا الباب سأختصر ما تعلق بها في هذا الباب:

عن عائشة: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم أمر بسدِّ الأبواب إلَّا باب أبي بكر [٣٨]

عن عائشة قالت: قال النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم في مرضه: صبوا عليَّ سبع قرب من سبع آبار شتى، حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم. قالت: فأقعدناه في مخضب لحفصة، فصببنا عليه الماء صباً أو شننا عليه شناً، (الشك من قبل محمّد بن إسحق)، فوجد راحة، فخرج فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، واستغفر للشهداء من أصحاب أُحد ودعا لهم، ثمّ قال: أمَّا بعد فإنَّ الأنصار عيبتي التي أويت إليها، فأكرموا كريمهم، وتجاوزوا عن مسيئهم إلَّا في حدّ، ألا إنَّ عبداً من عباد الله قد خير بين الدنيا وبين ما عند الله، فاختار ما عند الله. فبكى أبو بكر، وظنّ أنَّه ينعى نفسه، فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم على رسلك يا أبا بكر، سدّوا هذه الأبواب الشوارع إلى المسجد إلَّا باب أبي بكر، فإنِّي لا أعلم امرئاً أفضل عندي يداً في الصحبة من أبي بكر[٣٩].

عن أبي سعيد الخدري قال: خطب النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم فقال: إنَّ الله خيَّر عبداً بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عند الله. فبكى أبو بكر، فقلت في نفسي: ما يبكي هذا الشيخ، إنْ يكن الله خيّر عبداً بين الدنيا، وبين ما عنده فاختار ما عند الله، فكان رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم هو العبد، وكان أبو بكر أعلمنا، قال: يا أبا بكر لا تبك، إنَّ أمنّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً من أُمَّتي لاتخذت أبا بكر، ولكنَّ أُخوّة الإسلام ومودّته، لا يبقين في المسجد باب إلَّا سدَّ، إلّا باب أبي بكر[٤٠].

نحن وإنْ كنّا في غنى عن تدنيس ورقاتنا بهذه التفاهات، فإنَّه من الضـــروري الإشـــارة إليها بإيجاز، كي لا يتشـــبث جاهل بوهن، لا يســـتوي توهّمه به مع الحقائق الدامغة، التي تقول:

إنَّ مؤاخاة النبيِّ صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم لعليٍّ عليه السلام، وحده دون غيره من الصـــحابة، في مكة والمدينة لا تترك مجالاً لأُخوّة النبيِّ صـــلَّى الله عليه وآله وســـلَّم المزعومة، وخلَّته الموهومة لابن أبي قحافة، ولو كانت هناك أفضـــلية حقيقية للرجل، لقدّمه على عليٍّ عليه الســـلام وآخاه، ولو كانت هناك إمكانية ليكون خليله لأمكنه منها، لأنَّ النبيَّ صـــلَّى الله عليه وآله وســـلَّم حبيب الرحمان، وخليله إبراهيم عليه السـلام، فلا مانع يحول دون تحقق الخلّة، لو كانت نية النبيِّ صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم فعلاً في أنْ يكون الرجل خليله، لكنَّ واقع عدم التكافؤ بين النبيِّ صـــلَّى الله عليه وآله وسلَّم وصاحبه، وحماقة الوضّاعين لمرويات، يشتمّ منها القارئ رائحة الكذب الرديء، أصبحت ظاهرة زمن وضع الروايات، وكلُّ إناء بما فيه يرشح.

أمَّا المال المزعوم نفقة منه، فإنَّ الرجل كان معدوداً من فقراء أهل مكة، والنبيُّ صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم إنْ لم يكن موسـراً، فإنَّ زوجته خديجة كانت كذلك، وقد مكّنته من مالها، يفعل به ما يريد، وقد رفض أنْ يستلم الرواحل في هجرته من صاحبه إلَّا بثمنها. أمَّا اليد التي هي على النبيِّ صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم في الصـحبة، فلسـت أدري ما قدمت للنبيِّ صـــلَّى الله عليه وآله وســـلَّم؟ ولماذا لم تظهر في مواطن، كان النبيُّ

صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في أمسِّ الحاجة إلى يد أُخرى غير يد عليٍّ، تعينهما في البأس والشـــدة؟ فترى هؤلاء الغوغاء يؤثرون الأيدي الفارغة، على الأيدي التي أبلت بلاءً، لو اجتمع له الإنس والجن على أنْ يضاهوه، لما قدروا أنْ يأتوا بمثله.

وما يسترعي الانتباه في الرواية الأُولى المنسوبة إلى عائشة، توقيت وقوعها، وهو أواخر أيام حياة النبيِّ صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم، في مرضـه الذي مات فيه، وبطريقة أدق، لم يمهله المرض أكثر من عشرة أيام على أقصى تقدير، وأبو بكر كان ضمن جيش أُسامة بن زيد، من المفترض أنْ يكون خارج المدينة، وهو ما لم يتسنى اخفاؤه عند وفاة النبيِّ صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم، حيث جاء من بيته في السـنح، فتكون الرواية من بين الروايات التي اختلقها أتباع السقيفة، ليجدوا لصاحبهم فضيلة، تداري عنهم عشرات الأدلة الوافية، والبراهين الشـافية في أحقية عليٍّ عليه السـلام، في قيادة الأُمَّة الإسـلامية بعد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

أمَّا الراحة التي وجدها النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وتحدثت عنها الرواية، فلا أقل من الخفّة التي وجدها في الرواية الأُخرى، وقد جاء صـــلَّى الله عليه وآله وســـلَّم يهادى بين رجلين، أحدهما العباس(٤١) وأما الرجل الثاني الذي سكتت عنه عائشة، ولم تذكر اسمه فهو عليٌّ عليه السـلام، تجاهلته وهو الأشـهر من نار على علم، رغم علمها بمكانته، حسداً منها وبغضاً له.

وفي خاتمة الردِّ على الروايتين نقول: إنَّه ليس هناك ســـبب، ولا مبرر يدعو إلى

استثناء باب ابن أبي قحافة من عملية سدّ الأبواب، ولو كانت الرواية قد وقعت حقيقة، لما أغفلها أصحاب السقيفة، ولجعلوها حجة بالغة على أحقية صاحبهم في السلطة، إذ ليس هناك أوضح من صاحب باب بيت، استثناه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مع بابه. ولم يكن قصد الوحي، من ترك باب عليٍّ عليه السلام مفتوحاً، إشارة إلى طهارة أصحابه فقط، تأكيداً على ذلك، كما أفصح عنه الحديث: «**يا عليُّ لا يحلُّ لأحد أنْ يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك**»[٤٢].

بل كان المراد منه، أنَّه الباب الذي لا بُدَّ للمسلم من أنْ يأتي إليه، رغبة فيما بداخله من أحكام دين وعناصر هداية، فمن لم يأتِ باب عليٍّ بعد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقد أتى البيت النبوي من ظهره، ومن جاءه بتلك الطريقة الخاطئة لم يصب منه شيئاً.

قال تعالى: ﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[٤٣].

لقد أصفقت الأُمَّة إلَّا الشاذ، أنَّ علياً أعلم الناس بالدين بعد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فلم يشكك في تلك الثابتة غير المنافقين، الذين لا يعجبهم أنْ يظهر شيء لعليٍّ عليه السلام، يزيد في تأجيج نيران أحقادهم، ويسهم في تحريك ضغائنهم عليه.

هذا وقد اعترف عدد من الصحابة بأعلمية عليٍّ عليه السلام، فهذه عائشة قالت: عليٌّ أعلم الناس بالسنة[٤٤].

وسـئل ابن عباس عن علم ابن عمِّه عليٍّ عليه السـلام فقال: والله لقد أُعطي عليٌّ بن أبي طالب تسعة أعشار العلم، وأيم الله لقد شارككم في العشر العاشر[٤٥].

ولم يؤثر عن أحد من أصحاب النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنَّه قال: «**سلوني**» غير عليٍّ عليه السلام[٤٦].

وكان يمثل المرجعية الحقيقية، عند مغتصبي الحكومة الإسـلامية وجيل الصـحابة، وقد طفحت كتب التاريخ والأعلام، بإقرار عمر بن الخطاب، عند كلِّ معضـلة لا يحلّها إلَّا عليٌّ عليه السلام، فكم من مرة قال: (لولا عليٌّ لهلك عمر) و(لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن) و(لولاك لافتضحنا)[٤٧].

علم عليٍّ عليه السـلام وفقهه وقضـاؤه، لا يردّه رادّ، عرف شـخص عليٍّ عليه السلام وأفضاله على الأُمَّة الإسلامية، كما لا يشك فيه شاك، في قلبه قدر من الإيمان، يدفع به ضـلال الأفاكين، فكم من مرّة تحيّر الناس في مسـألة، واعترفوا بعجزهم عن حلِّ قضـية، لم يجدوا لها غير عليٍّ عليه السـلام، لفكِّ رموزها، وحلِّ غامض باطنها، والروايات في هذا المجال، أكثر من أنْ تعد، فلا نحتاج إلى الإطالة في هذه الخصـوصـية التي اختص بها عليٌّ عليه السلام.

عن ابن عباس قال النبيُّ صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم: «**أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها، فمن أراد العلم فليأتي الباب**». وقال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أنا دار الحكمة وعليٌّ بابها**»[٤٨].

ويتفق الحديثان مع ما روي عن النبيِّ صـــلَّى الله عليه وآله وســـلَّم من بيان وتوضيح، بشأن عليٍّ عليه السلام وينسجمان تماماً من حيث المعنى، مع ما سبق من قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقد قال لفاطمة الزهراء عليها السلام، وهو يحدثها عن عليٍّ عليه السلام: «**إنَّه أقدم أُمَّتي سلماً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً**»(٤٩).

وقوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أعلم أُمَّتي من بعدي عليُّ بن أبي طالب**»(٥٠).

ولو جمعنا الفضائل التي مرَّت لعليٍّ عليه السلام من بين براثن أعدائه، والفضائل المفتعلة لأولياء أولئك الأعداء، لكفينا مؤونة البحث والتدقيق، لأنَّ خصـــائص الإمام عليٍّ عليه السلام، واضحة كالشمس، متفقة مع سيرته العطرة، كفلقة قمر في ليلة داجية، مقابل زبد كاذب لغيره، يذهب جفاء كلَّما هبَّت عليه رياح الحقيقة.

فدائي النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم



الفداء عمل يقدم عليه الإنسان، تعبيراً منه على ما يختلج في صدره من محبة تجاه المفدّى، وهو تضحية قلَّما يقدم على القيام بها كلُّ الناس، والفدائيون مقارنة بعدد البشر قليلون، وأقلّهم عدداً أولئك الذين يشرون أنفسهم ابتغاء مرضاة الله تعالى، ويتاجرون معه تجارة لن تبور.

وفدائيّنا الذي سنتحدث عنه في هذه الحلقة، يمتاز عن بقية الفدائيين، بكونه إعداداً تربية وتعليماً، من خاتم الأنبياء والمرسلين صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، منذ أنْ فتح عينيه في دار الدنيا، وبدأ يدرك من حوله، مال فؤاده للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فصار لا يطيق فراقه، ولقد تحدث عليٌّ عليه السلام عن تلك الفترة من حياته الشريفة، وما يهمنا من مقالته في هذا المقام قوله: «... **ولقد كنت اتبعه اتباع الفصيل أثر أُمِّه، يرفع لي في كلِّ يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالاقتداء به...**»[٥١].

اقترن شخصه واسمه وأصله ونسله ومطمحه بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، حتى لم يعد هناك ما يفرق بينهما، محمّد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من عليٍّ عليه

السلام، وعليٌّ عليه السلام من محمّد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وفي غياب أحدهما، يستشعر الثاني بالغربة والفقد، فلا يهدأ له بال حتى يلاقي نصفه الثاني، وما إطلاق الوحي عليهما بالنفس الواحدة، إلَّا توصيف دقيق لتلك العلاقة.

سار عليٌّ عليه السلام على منهاج الفداء، منذ أنِ استجابت فطرته لنداء النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فكان هو وأبوه شيبة الحمد أبو طالب عليهما السلام، الدرع الذي تكسرت عليه محاولات قريش، إلحاق الأذى بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

ومنذ أنْ حاصر المشركون النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في شعب مكة، كان من شدّة حرص أبي طالب عليه السلام، أنْ يقيم النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في كلّ ليلة، ليضجعه مكان عليٍّ عليه السلام، ويضع علياً عليه السلام في فراش النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، تحسباً من أنْ تلحقه أيدي الغدر(٥٢).

عظمة عمل أبي طالب عليه السلام، تكمن في أنَّه لم يرَ رؤيا، كالتي رآها جده إبراهيم الخليل عليه السلام، تأمره بذبح ابنه إسماعيل عليه السلام، وإنَّما قام بفداء النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من تلقاء نفسه، تعبيراً عن إحساس فياض بالحبِّ للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فاق حبه لابنه عليٍّ عليه السلام، فآثر موت ابنه على موت ابن أخيه، يقيناً منه أنَّ ابن أخيه أهمُّ من ابنه، وأحبّ إليه منه، فهل بعد هذا الفداء شك في إيمان أبي طالب عليه السلام؟ ولو لم يكن أبو طالب عليه السلام مؤمناً بما جاء به النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، لما أقدم على قام به من احتياط ضماناً لسلامته.

وما إن التحق أبو طالب عليه السلام بالرفيق الأعلى راضياً مرضياً، وبه فقد النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم به السند والمحامي والذابّ والمدافع، حتى بدأت أيدي المشركين من قريش تنال منه، وتحاول جاهدة الوصول إليه.

اجتمع زعماء مشركي قريش بدار الندوة، ليروا رأيهم في النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقد انزاحت عنهم العقبة الكؤود التي كانت تحول دونهم ومأربهم، في التخلص من النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقال العاص بن وائل (والد عمرو) وأُمية بن خلف: نبني له بنياناً نستودعه فيه، فلا يخلص إليه أحد، ولا يزال في رفق من العيش، حتى يذوق طعم المنون. فقال قائل: بئس ما رأيتم لئن صنعتم ذلك ليسمعن الحميم والمولى الحليف، ثمَّ ليأتين المواسم والأشهر الحرم بالأمن، فلينزعن من أيديكم.

فقال عتبة وأبو سفيان: نرحل بعيراً صعباً، ونوثق محمداً عليه، ثمَّ نقمع البعير بأطراف الرماح، فيقطعه إرباً إرباً. فقال صاحب رأيهم: أرأيتم إنْ خلص به البعير سالماً إلى بعض الأفاريق، فيأخذ بقلوبهم بسحره وبيانه، فصبا القوم إليه، واستجابت القبائل له، فيسيرون إليكم بالكتائب والمقانب، فلتهلكن كما هلكت أياد.

فقال أبو جهل: لكنِّي أرى لكم رأياً سديداً، وهو أنْ تعمدوا إلى قبائلكم العشر، فتنتدبوا من كلِّ قبيلة رجلاً نجداً، ثمَّ تسلحوه حساماً عضباً، حتى إذا غسق الليل، ائتوا ابن أبي كبشة فاقتلوه، فيذهب دمه في قبائل قريش، فلا يستطيع بنو هاشم وبنو عبد المطلب مناهضة قريش، فيرضون بالديّة، فقال صاحب رأيهم: أصبت يا أبا

الحكم، هذا هو الرأي، فلا تعدلوا به رأياً، وكمّوا في ذلك أفواهكم. فسبقهم الوحي بما كان من كيدهم، وهو قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾(٥٣).

واستقر قرارهم على أنْ ينتخبوا له من كلِّ قبيلة أشدَّ فتيانها، فيهجموا عليه في داره فيقتلونه جميعاً، فيتفرق بذلك دمه في القبائل، فلا يستطيع بنو هاشم فعل شيء بعد ذلك، سوى القبول بدية القتل.

أخبر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم علياً عليه السلام، بما نزل عليه من وحي وأمر بالهجرة، وأعلمه باقتراب موعد الهجرة إلى يثرب، ثمَّ أمره بالمبيت على فراشه، إيهاماً للناظر المتجسّس أنَّه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقال له عليٌّ عليه السلام: «**أو تسلَّم يا رسول الله؟**» قال: «**نعم**»، فتبسم عليٌّ عليه السلام ضاحكاً، وأهوى على الأرض ساجداً، شاكراً لما بشّره صلَّى الله عليه وآله وسلَّم به.

ولما جاء موعد الرحيل، أقبل النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على عليٍّ عليه السلام، فضمّه إليه وبكى، فبكى عليٌّ عليه السلام لفراق أخيه وابن عمِّه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم(٥٤).

روى الثعلبي في تفسيره: فأوحى الله تعالى إلى جبرائيل وميكائيل، إنِّي آخيت بينكما، وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر، فأيّكما يؤثر صاحبه بالحياة؟ فاختار

كلاهما الحياة، فأوحى الله تعالى إليهما: أفلا كنتما مثل عليٍّ بن أبي طالب؟ آخيت بينه وبين محمّد، فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة، اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه، فنزلا، فكان جبرائيل عند رأسه، وميكائيل عند رجليه، وجبرائيل ينادي بخ بخ، من مثلك يا عليٌّ، يباهي الله تبارك وتعالى بك الملائكة(٥٥).

وما إنْ أرخى الليل سدوله، حتى أحاط ببيت النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عشرة من الفتية الأشداء، ينتظرون فرصة مواتية للهجوم على البيت، وتنفيذ الجريمة النكراء بقتل النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وجاء خبر ما عزم المشركون على اقترافه بحق النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فأخبر علياً عليه السلام، وأعلمه بأنَّه قد عزم على الخروج تلك الليلة إلى غار ثور، وأوصاه بعدد من الوصايا، ثمَّ أمره بالمبيت على فراشه، والتلحّف ببردته الخضراء، للتمويه على المحاصرين للبيت، ثمَّ خرج صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وهو يتلو في وجوههم: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾، فلم يبصروه، إلى أنْ توارى بعيداً عنهم.

كان اتفاق الفتية ومن حرّضهم على اقتراف جريمتهم، أنْ يهجموا جميعاً على البيت، في الهزيع الأخير من الليل، في غفلة من سكانه وجيرانه المحيطين به، ولما حلَّ الموعد المتفق عليه، هجم المشركون على بيت النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، هجمة رجل واحد، مؤملين تحقيق غايتهم، فانبرى لهم عليٌّ عليه السلام، من فراش النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، بعد أنْ أزاح بردته جانباً، شاهراً سيفه في وجوههم،

فارتدوا على أعقابهم خوفاً من بطشـــه، فهم أترابه، وأعرف الناس بمن يقف أمامهم، فصـــاحوا به: (إليك عنا يا عليُّ، إنَّنا لم نأتك أنت) طارت عقولهم من هول المفاجأة، فلم يملكوا أنفسهم أنْ سألوه: (أين ابن عمِّك؟) فأجابهم: (لا أعلم أين هو).

ارتدّ الفتية إلى خارج البيت، بعد ما تأكدوا أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لم يكن هناك، وسقطت حسابات أبي جهل وأصحابه في الماء، فكادوا كيداً وكاد الله تعالى كيداً، وكانت الغلبة لله تعالى وأوليائه.وبنظرة بسيطة، يتبين لنا أنَّ الدور الذي أوكله الله ورسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى عليٍّ عليه السلام ليلة الهجرة، هو من الأهمية بما كان، فلو لم يكن هناك عليٌّ عليه السلام، لصعب على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ا ستكمال عنا صر هجرته، ولقد أ شاد المولى سبحانه وتعالى بموقف عليٍّ عليه السلام، وانضـباطه وامتثاله لأمر النبيِّ صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم، وتضـحيته بنفسـه من أجله، وإنجاح خطته، فأنزل على نبيه الآية: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾، وقد ذكر عدد من المفسرين نزولها في عليٍّ، ليلة مبيته فدائياً على فراش النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم(٥٦).

عليٌّ عليه السـلام وإنْ لم يرافق النبيَّ صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم في هجرته، فقد أثنى الله ســبحانه وتعالى عليه، ثناءً لم يتهيأ لغيره، وبات ليلته محاطاً بنخبة من الفتية الأشداء، متحفزاً متنمراً في ذات الله، محفوفاً بحفظه تعالى ورعايته وكنفه، بينما لم يصب مرافق النبيِّ صـــلَّى الله عليه وآله وســـلَّم من صـــحبته له في الغار غير اللوم والتقريع،

وأثبتت الآية خروجه من السكينة، التي أنزلها المولى على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم تثبيتاً له، ولو أنَّ الرجل شرى نفسه ابتغاء مرضاة الله، كما فعل قبل ذلك عليٌّ عليه السلام، لشملته السكينة في الغار، تماماً كما شملت النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم والمؤمنين، الذين صمدوا معه واستماتوا في حنين: ﴿... وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (*) ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا... ﴾(٥٧).

قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾(٥٨).

والعجيب أنَّ عميان القلوب بحبِّ صاحب الغار، لم يلتفتوا إلى ما تضمنته الآية من دليل واضح كالشمس، في أنَّه ليس فيها ما يستشف فضيلة للرجل، بل فيها نَهي له من الحزن (الخوف) على نفسه، ثمَّ استثناء له من السكينة التي نزلت على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فلم يصب من مكثه في الغار شيئاً، مضافاً إلى أنَّه لم يستطع أنْ يقنع النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالدخول إلى المدينة، لما وصلا إلى مشارفها، وبقي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ينتظر موافاة أخيه وابن عمِّه عليِّ بن أبي طالب عليه السلام، وابنته فاطمة الزهراء عليها السلام، أصحاب الفضل والمكانة الحقيقيين.

تضارب روايات هجرة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، تدفعنا إلى القول

ببطلانها، لظهور الأكاذيب فيها، فلا تكاد رواية تتفق مع أُخرى في التفاصيل، ممّا دلَّ على اختلاق مضامينها، البعيدة عن إطار الهجرة المباركة.

فالنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لا يمكنه أنْ يأتي إلى بيت ابن أبي قحافة، وأغلب سكانه من المشركين، وفيهم من هو حرب لله ورسوله صلَّى الله عليه وآله، لسببين:

إنَّ النبيَّ نفسه لم يكن عالماً بالتوقيت النهائي لخروجه.

سرية الأمر تفرض على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الخروج مباشرة إلى حيث يقصد، دون الذهاب هنا أو هناك، أخذاً بالأسباب وضماناً لعدم الانكشاف.

أمَّا ما نقل من أنَّ أسماء بنت أبي بكر كانت تأتيهما بالطعام، فمحض افتراء عارٍ من الحقيقة التي تقول، إنَّ أسماء لم تكن موجودة في مكة في ذلك الوقت، وإنَّما كانت من المهاجرات إلى الحبشة في الهجرة الأُولى، رافقت زوجها الزبير بن العوام.

وإذا سلَّمنا فرضاً بوجودها في بيت أبيها في مكة عند هجرة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فإنَّنا سوف لا نقنع ولا أيِّ عاقل معنا، بسلامة عملية نقل الطعام في ظلمة الليل، بواسطة امرأة، عادة ما تكون هدفاً سهلاً لوحوش البرية، وقطاع الطرق المتربصين بالمارّة، مضافاً إلى بُعد المسافة بين مكة وغار ثور، وسط حالة من الاستنفار التي كان عليها مشركو قريش، ولو صح لابن أبي قحافة فضيلة، أو تقديم من النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، لكان بيته هو أيضاً محلَّ رقابة، فتكون المرأة إنْ صحَّ

خروجها، دليلاً للأعداء على مكان اختفاء النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

إنَّ الذي حدا بنا إلى الخوض في مســألة هجرة مرافق النبيِّ صــلَّى الله عليه وآله وســلَّم، هو عامل التهويل والكذب، الذين كانا الســمة المميزة لتفاصــيل تلك الرفقة، والتي أُريد منها إيجاد مقام، يرفع الرجل إلى حيث أراده دهاة بني أُميّة، والعملية كلُّها تغطية، وتقليل من شــأن مبيت عليٍّ عليه الســلام، فدائياً على فراش النبيِّ صــلَّى الله عليه وآله وســلَّم، لذلك ارتأيت التعريج على المســألة باختصــار، لبيان بعض النقاط المهمة، التي أسـقطت من حسـابات الكذابين والوضـاعين، ففضـحهم الله من حيث لا يتوقعون.

فداء عليٍّ عليه الســلام للنبيِّ صــلَّى الله عليه وآله وســلَّم، اســتمر طوال حياته الشريفة، فأُحد وحنين ستظلان كلاهما شاهدتين، على أنَّ عليّاً عليه السلام ألقى بنفسه في غمراتهما، واستمات في الدفاع عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، بعد فرار أغلب الصحابة عنه، ولو لم يكن عليٌّ عليه السلام هناك لحصل له مكروه.

مقابل تساقط رموز الكذب والبهتان، بقي عليٌّ عليه السلام عالياً، لم تفلح النيل منه حملات الأعداء، في كلِّ عصــر ومصــر، وقدر عليٍّ عليه الســلام أن يكون محبوه وشيعته قلة من المستضعفين، وقدره أيضاً أنْ تبقى خصائصه خافية عن بصائر البقية، تتجلّى وتختفي، بحسب اصطباغ القلوب بصبغ الإيمان أو النفاق.

أخو النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم



الأُخوّة هي رابطة دموية مهمة في البناء الاجتماعي والأُسري، وصلة من القرابة لا تفوقها إلَّا الأُمومة والأُبوّة، غير أنَّ الأُخوّة التي نقصدها في هذا المقام، هي الأُخوّة في الله تعالى، والتي أسسها النبيُّ الأعظم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، بأمر من الله تعالى، لتكون الرابطة الأمتن بين المسلمين، وهي لعمري أشدّ وثوقاً من رابطة الدم، وأبعد أثراً من رحم ذي القربى، لأنَّها رابطة في الله تعالى، انبنت على أساس قيمه العليا، التي نزل بها الوحي، وتأسست على تقوى الخالق ومحبته.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[٥٩].

ما إن استقر مقام النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالمدينة، حتى قام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، وأكد على قيمة الأُخوّة في الدين، وحثّ على تكوين رابطة الأُخوّة، وتأصيلها في المجتمع وتعهدها، وأمر أصحابه أنْ يتآخوا بينهم، قائلاً: «**تآخوا أخوين أخوين**» في إشارة منه، إلى أنَّ دعوته للمؤاخاة، ليس في معناها الشرعي، لأنَّ الأمر واضح فيها، وإنَّما القصد منها الأُخوّة في معناها السلوكي والتربوي، ولم ينفضّ

اجتماعه في ذلك اليوم المشهود، إلَّا وقد تآخى المسلَّمون اثنين اثنين، فآخى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على سبيل المثال، بينه وبين عليٍّ عليه السلام، آخى بين حمزة وزيد بن حارثة، وبين أبي بكر وخارجة الخزرجي، وبين عمر وعتبان بن مالك الخزرجي، وبين أبي عبيدة و سعد بن معاذ، وبين الزبير وعبد الله بن مسعود، وبين عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان، وبين طلحة وكعب بن مالك، وبين أبي ذر والمنذر بن عمر الخزرجي..(٦٠).

وذكر أصحاب السير، أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان قد آخى فيما بين المهاجرين في مكة، تأصيلاً لرابطة الأُخوّة الإسلامية، وما تنطوي عليه، من التكافل، والترابط، والتآزر، والتعاون، والمواساة.ذكر ذلك الحلبي في سيرته فقال: والمعروف المشهور، أنَّ المؤاخاة إنَّما وقعت مرتين، مرّة بين المهاجرين قبل الهجرة، ومرّة بين المهاجرين والأنصار بعد الهجرة(٦١).

وكان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، في كلتا المؤاخاتين، قد احتفظ بعليٍّ عليه السلام لنفسه أخاً وحيداً.عن ابن عمر قال: آخى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بين أصحابه، فجاء عليٌّ تدمع عيناه، فقال: «**يا رسول الله آخيت بين أصحابك، ولم تؤاخِ بيني وبين أحد؟**»، فقال له رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: «**أنت أخي في الدنيا والآخرة**»(٦٢). ولما آخى النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم بين أصحابه قال لعليٍّ عليه السلام: «**أنت أخي**»(٦٣).

إفادة من إفادات حديث المنزلة

عندما أعلن النبيُّ صــلَّى الله عليه وآله وســلَّم، أمام الملأ من أهل المدينة، وقبل تجهّزه لغزوة تبوك في خصوص عليٍّ عليه السلام قائلاً: «**أمَا ترضى أنْ تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلَّا أنَّه لا نبيَّ بعدي**»[٦٤].

كان يضمّن في حديثه من بين تلك المنازل أُخوّته لعليٍّ عليه السلام، وخلافته في الأُمَّة بعده.

ولو أحلنا الحديث على كتاب الله، كما أمرنا بذلك رســول الله صــلَّى الله عليه وآله وســلَّم، لوجدناه مطابقاً لما جاء به التنزيل من ناحية، ومتضــمناً لمنزلة هارون من موسى عليهما السلام، وهي أُخوّهما، من ناحية أُخرى.

قال تعالى: ﴿ ... هَارُونَ أَخِي (*) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (*) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾[٦٥].

عن الإمام الصــادق عليه الســلام قال: «**من اســتفاد أخاً في الله فقد اســتفاد بيتاً في الجنة**»[٦٦].

ذكر السيد محسن الأمين في كتابه أعيان الشيعة، بخصوص المؤاخاة فقال: وإنكار ابن تيمية المؤاخاة بين المهاجرين، لا سيما مؤاخاة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله و سلَّم لعليٍّ عليه السلام، متعللاً بأنَّ المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، إنَّما جعلت لإرفاق بعضهم ببعض، ولتأليف قلوبهم، فلا معنى لمؤاخاة مهاجريٍّ لمهاجري، لا يلتفت إليه، لأنَّه كما

قال الحافظ ابن حجر: ردّ للنص بالقياس، ولأنَّه كما يطلب الإرفاق بين المهاجرين والأنصار، والأنصار بعضهم مع بعض، وتأليف قلوب بعضهم ببعض، يطلب ذلك من المهاجرين أنفسهم، وفي ذلك يقول الصفي الحلي:

أنت سرّ النبيِّ والصنو وابن الـــــــعم والصــهر والأخ المســتجاد
لـ..........و رأى مثلك النبيُّ لآخا ـه وإلَّا فـ.......أخطأ الانـ....تقاد

وقال أبو تمام:

أخــــــوه إذا عدّ الفخار وصهره فما مــــــــثله أخ ولا مثله صهر

ثمَّ آخى رسـول الله صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم بين المهاجرين بعد الهجرة، ثمَّ بين عموم المسلمين من المهاجرين والأنصار، فقد تكون بين مهاجريٍّ ومهاجري، وأنصاريٍّ وأنصـــاري، ومهاجريٍّ وأنصـــاري، وأخذ بيد عليٍّ كما في الســـيرة الحلبية فقال: «**هذا أخي**» فكان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وعليٌّ اخوين (٦٧).وأعجب عجبك، من الذين عموا وصـــمّوا عن هذه الحقيقة الواضـــحة، وعوض الإذعان لها والتســـليم لمقتضـــى حالها، راحوا يتقربون إلى الله تعالى ورســـوله بالأوهام حيناً، وبالأكاذيب حيناً آخر، فانسلخوا من حقيقة مقام الإمام عليٍّ عليه السلام، والتحقوا بأوهام صنعها لهم طلقاء الدين، وخصـــماء النبيِّ صـــلَّى الله عليه وآله وســـلَّم من بني أُميّة، ومن كان على شـــاكلتهم في عصـــور التجني على الدين، والتقرب من الدنيا والشـيطان، بالكذب على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

ومن أجل إقصــاء عليٍّ عليه الســلام عن مقامه من النبيِّ صــلَّى الله عليه وآله وســلَّم، جاءت عصــابة البغي بمقامات الوهم والاختلاق، منها ما ربطه المتقولون باحتمال لو، ومنها زينه شياطين الإنس من تلفيق، لا يرقى إلى مقام الإثبات، ورواية: لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، هي من ســياق التجني على مقام الإمام عليٍّ عليه السلام، وشخصه المقدس.

إذ لا يخفى على كلِّ عاقل أنَّ الاحتمال لا يرقى إلى الصــيرورة، ولو كان النبيُّ متخذاً أبا بكر خليلاً لاتخذه أخاً في المؤاخاتين، ولما قدم عليه علياً عليه الســلام، كما يستفاد من خلال ما ورد علينا من أخبار أنَّ النبيَّ صــلَّى الله عليه وآله وســلَّم، حبيب الرحمن وليس خليله، لأنَّ خليله إبراهيم عليه الســلام، ولست مغالياً إذا ما أفصحت عن حقيقة، أنَّ علياً عليه الســلام قد كان مع قرابته القريبة بالنبيِّ صــلَّى الله عليه وآله وســلَّم، ابن عمٍّ من شــجرة واحدة، وأخاً في الدين بالمؤاخاة التي وقعت في مكة قبل الهجرة، وصــهراً متميزاً عن غيره بأُمِّ أبيها، ســيدة نســاء العالمين فاطمة الزهراء عليها الســلام، ومؤازراً في الســلم كما في الحرب، وأخاً في المؤاخاة الثانية، التي وقعت بعد الهجرة في المدينة، تأكيداً للمؤاخاة الأُولى وتعميقاً لها، وتأكيداً للمسلمين على أهميتها، وخليلاً حقيقياً، بعيداً عن احتمال وقوع الخلَّة من عدمها. والمتتبع لســيرة الإمام عليٍّ عليه الســلام، يقف على أنَّ ارتباط هذين العظيمين ببعضــهما، قد فاق كلَّ المقامات، فهو على سبيل المثال، قد اختص دون غيره ممَّن عاصــره، بطريقين إلى النبيِّ صــلَّى الله

عليه وآله وســـلَّم، طريق بالنهار مع الناس، وقد دلَّت الأخبار والآثار، على أنَّه كان الأقرب فيه إلى رسـول الله صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم، جسـداً وروحاً وفكراً وتوافقاً، وطريق بالليل قد انفرد به عن غيره، وخصه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فيه لنفسه، فكان رفيقه بالنهار والملازم له طول الوقت، وخليله بالليل، مناجياً ومسـامراً ومؤنسـاً، وإلى ذلك أ شار جملة من المحدثين والمؤرخين، من بينهم ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة، في معرض حديثه عن علاقة عليٍّ عليه السلام بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله.

لذلك نسـتطيع أنْ نقول بدون تحفظ، إنَّ خلّة النبيِّ صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم لعليٍّ عليه السـلام ليس فيها شـك ولا احتمال (لو)، لأنَّ النبيَّ صـلَّى الله عليه وآله وسلَّم ليس خليلاً للرحمن كما ثبت، إنَّما هو حبيبه والأقرب إليه.

ولئن كان أبو هريرة الدوسـي قد كذب على النبيِّ صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم، بقولٍ لا علاقة له بالواقع وهو: (حدثني خليلي) فإنَّ علياً كان بالفعل خليل النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسـلَّم، لم يشـاركه في خلّته أحد، ولا نافسـه في اسـتئثاره مخلوق، وكلُّ ادّعاء يخالف هذه الحقيقة الدامغة، باطل بطلان الظلم والتجني على أهل بيت النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

كما أنِّي أحمد الله تعالى، على غباء وضـعف عقول أعداء أهل البيت عليهم السـلام و شيعتهم ر ضوان الله تعالى عليهم، لأنَّهم لو كانت عقولهم راجحة ر صينة، لما أقدموا على اختلاق كلِّ تلك الأكاذيب، والتي دلَّت على أنَّ قائلها أحمق في أحسن الحالات.

النفس التوأم

عندما وقف رســول الله صــلَّى الله عليه وآله وســلَّم، معلناً بكلمات ذات معانٍ وأبعاد عميقة، مختزلة مقامات عليٍّ عليه السلام، ومبينة حقيقة شخصيته العظيمة، قائلاً له : «**أنت منِّي وأنا منك**»(٦٩) كان يريد أنْ يؤكد على أنَّ صاحبه، تميز بخصوصيات لم تكن موجودة في غيره، وانفرد عن بقية الناس بخصــال لا يمكنها أنْ تجتمع في شــخص عادي، وتفوق بإمكانات أهّلته لأنْ يأخذ مكانه إماماً وقائداً وهادياً، بعد رحيله بكلِّ يسر، ففهم من فهم من المســلمين شــخصــية عليٍّ عليه الســلام ومنزلته من الدين، ورأى من رأى اعتبارها عند الله تعالى ورسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، واستجاب من استجاب لها وأقامها مقامها في الأُمَّة، وجحدها من جحد وأنكرها من أنكر حسداً وبغياً.

منزلة عليٍّ عليه السلام من النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم

عجيب أنْ يختلف المســلمون، وينقســموا في أمير المؤمنين عليٍّ عليه الســلام، وأعجب منه من يدّعي حبَّ هذا الرجل الفذ النادر وأهل بيته عليهم الســلام، ثمَّ ينثني على شيعتهم تكفيراً وتقتيلاً، بدعوى أنَّهم مبتدعون ومشركون.

فهل خفي عليٌّ عليه السلام، حتى يلتمس قبس لمعرفة مكانه؟ وهل غابت حقيقته عن موطن، حتى ينتقل إلى موطن آخر بحثاً عنها؟ ومتى لم يكن هناك عليٌّ عليه السلام في الإسلام في موضع خدمة أداءً ودفاعاً، ثمَّ كان؟ ومتى كان هناك إسلام محمديّ لم يكن فيه عليٌّ عليه السلام، مؤسساً وبانياً بعرقه ودمائه وجهاده وصبره وعلمه؟

ومتى عدّ موالي عليٍّ عليه السلام في غير نهج الإسلام الأصيل، حتى يتلقفهم الجاهلون إيذاءً وتنكيلاً؟عليٌّ عليه السلام لم تخفَ حقيقته لدى المؤمنين، وقد اقترن الإيمان بمحبته، فلا يحبه إلَّا مؤمن، ولا التبس أمر الدين والدنيا عنده، إلى أنِ التحق بالرفيق الأعلى، فلو كشف له الغطاء كما عبّر عن ذلك بقوله ما ازداد يقيناً.

وعليٌّ عليه السلام بقي علياً، رغم الحظر والحجر الذي مورس ضدَّه حياً وميتاً، بل ازداد علواً ورفعة، ولو لم يكن عليٌّ عليه السلام ربانيَّ النشأة، إلهيَّ الفكرة، روحانيَّ الجسد، لاندرست معالم شخصيته، مع إجراءات القمع الأُولى التي مورست ضدَّه، فلم تخترقه السبّة، ولا أثرت فيه الشبهة، ولا حطت من منزلته الدعاية المغرضة، فبقي علماً يعرف به الإسلام المحمدي الأصيل، الذي بناه ورعاه مع بنيه الأئمة الهداة الأبرار.

متى غاب عليٌّ عليه السلام عن الإسلام والمسلمين حتى يفتقد؟ إنْ شبّهته بالشمس أو القمر لم ينصفه التشبيه، لأنَّهما مخلوقان يغيبان كلَّ مرّة ويعودان، وعليٌّ عليه السلام حاضر منذ أنْ وجد، لم يغب حتى عن الأجيال التي لم تلحقه جسداً،

فلحقها روحاً وعقيدةً وفكراً.

لذلك أقول كلُّنا مدينون لعليٍّ عليه السلام، بعد نفسه التوأم خاتم النبيين صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ديناً ليس من السهل الوفاء به، ولا التنصل منه، فهو الإيمان، وحبه الإيمان، فلا إيمان ولا مؤمن بدونه.

والحب ليس كما يرى البعيدون عن حبِّ عليٍّ عليه السلام، إحساس بالاحترام والإكبار، فقد جلبت مواقف عليٍّ عليه السلام تلك الأحاسيس لأعدائه، حب عليٍّ عليه السلام لا يكون إلَّا اتباعاً واقتداءً وتأسّياً، تماماً كما قال تعالى مثبتاً ذلك: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾(٧٠).

فمن لم يتبع علياً عليه السلام، ويحلَّه محلَّه في قيادة الأُمَّة، بعد رحيل نبيّها صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فهو إمَّا جاهل أو مستخفّ، أو جاحد له.

آية المباهلة ودلالتها على توافق النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وعليٍّ عليه السلام

قال تعالى: ﴿... فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾(٧١).

أخرج أصحاب السير والتاريخ والتفسير، قصة وفد نصارى نجران، الذين نزلت بسببهم هذه الآية.

إنَّ الذين عينهم الله تعالى من خلال وحيه في الآية المذكورة، للخروج مع النبيِّ

صـــلَّى الله عليه وآله وســـلَّم لمباهلة وفد نصـــارى نجران، هم خيرة الأُمَّة، وصـــفوة عناصــرها، ولو كان هناك من يوازيهم منزلة ومكانة، لذكرهم الله في وحيه، ولأمر نبيّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بإخراجهم معهم للمباهلة.

كما نجزم بالقول إنَّ الآية الكريمة، في معانيها سـياق لمسـألة الاصـطفاء الإلهي، الذي سـنه البارئ تعالى في الأُمم السـابقة، وهو من الإفاضـات الرحمانية التي لا تتبدل. قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (*) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٧٢).

واللافت في الآية الكريمة، جمع المولى للنبيِّ صـلَّى الله عليه وآله وســلَّم وعليٍّ عليه الســـلام في نفس واحدة، حيث قال: ﴿ وأنفســنا ﴾، والمتتبع لحادثة المباهلة، يدرك أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لم يُخرج من أبنائه غير الحسن والحسين، سيدي شباب أهل الجنة عليهما السلام، ومن نسائه غير الصديقة فاطمة الزهراء، سيدة نساء العالمين عليها السلام.

فكان عليٌّ عليه الســلام نفس النبيِّ صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم، كما دلّت عليه الآية، وأعظم بها من منزلة خصّـــه الله تعالى بها، وهي لعمري في منتهى الدلالة، على رفعة مقام الإمام عليٍّ عليه السلام من الله تعالى، ومن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ولكن أنَّى لمن أقفل قلبه عن حبِّ الصفوة الطاهرة أنْ يبصر منازلهم ومقاماتهم؟

قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (٧٣).

لا أدلّ على ما تميز به عليٌّ عليه السلام عن غيره، ممّن عاصر النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، من كلام عليٍّ عليه السلام، ولا أجلى من الخطبة التي تحدث فيها عن موضعه من رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، حيث قال:

«وقد علمتم موضعي من رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا وليد، يضمني إلى صدره، ويكنفني في فراشه، ويمسني جسده، ويشمني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثمَّ يلقمينه، وما وجد لي كذبة في قول، ولا خطلة في فعل، ولقد قرن الله تعالى به من لدن أنْ كان فطيماً، أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره، ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أُمِّه، يرفع لي في كلِّ يوم علماً من أخلاقه، ويأمرني بالاقتداء به، ولقد كان يجاور في كلِّ سنة بحراء، فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذٍ في الإسلام، غير رسول الله وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة، ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه، فقلت: يا رسول الله ما هذه الرنة؟ فقال: هذا الشيطان قد آيس من عبادته، إنَّك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى، إلَّا أنَّك لست بنبيّ، ولكنَّك وزير، وإنَّك لعلى خير»[٧٤].

لا يختلف مسلمان في أنَّ الله تعالى، علم محمداً صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وأدبه فأحسن أدبه، فكان الأكمل بين الخلائق، وعظم ذلك فقال جلَّ من قائل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٧٥]، ومحمّد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، علم علياً وأدبه، فأحسن تعليمه وتأديبه فقال: «**أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها**»[٧٦]، والعلم منشأ كلِّ فضيلة، وبغيره لا

تقوم الأخلاق، ولا يستقيم العالم.

لقد تحدث أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته هذه، عن تنشئة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وتربيته له، وتنشئة كهذه منذ نعومة أظافر الوليد، إلى تسلسل مراحل نموه، حقيق بها أنْ تثمر شخصاً، قريبا من إفاضات البارئ، مستجيباً لها، وهي تربية مقدمة على من شبَّ وشاب على تربية غيرها، فعسر عليه الالتحاق بتلك المكارم العظيمة، وقد قيل من شبَّ على شيء شاب عليه.

أخرج ابن أبي الحديد المعتزلي معترفاً بتلك الخصائص: واعلم أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام كان مخصوصاً من دون الصحابة (رض) بخلوات، كان يخلو بها مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، لا يطلع أحد من الناس على ما يدور بينهما، وكان كثير السؤال للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن معاني القرآن، وعن معاني كلامه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وإذا لم يسأل ابتدأه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالتعليم والتثقيف(٧٧).

لم تقف عناية النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعليٍّ عليه السلام، عند حدِّ التنشئة والتربية، بل تواصلت رعايته له إلى التعليم والتثقيف، وقد تميز بمجال لم يكن لغيره، فقد كان لعليٍّ عليه السلام طريق خاص به يسلكه إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، لا يشاركه فيه أحد، بينما شارك في المقابل بقية الصحابة في الطريق العام، بل لعلّه المستأثر حتى في ذلك الطريق، وهو لعمري كذلك.

أخرج البخاري بسنده عن البراء بن عازب، قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لعليٍّ عليه السلام: «**أنت منِّي وأنا منك**».

علاقة عليٍّ عليه السلام، ومنزلته من رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، جسدها هذا الحديث الذي أخرجه البخاري بإسناده عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وهو إنْ دلَّ على شيءٍ، فإنَّما يدلُّ على تناغم النفسين التوأمين، وترابطهما الوثيق في الله تعالى، عليٌّ عليه السلام من محمّد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ومحمّد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من عليٍّ عليه السلام، ذلك هو معنى الحديث، شخصيتان بنفس وروحية واحدة، ائتلفتا منذ الأزل، واتحدتا منذ أنْ كان الله ولم يكن معه شيء، غير ذلك النور الذي خلقه ليعرفه ذاته المقدسة، فكان المتشكل من محمّد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وعليٍّ عليه السلام، يسبّح لله في ملكوت القدرة، ويقدسه ويمجده ويهلله ويوحده.

عن سلّمان رضي الله عنه صلَّى الله عليه وآله قال: «**كنت أنا وعليٌّ نوراً بين يدي الله عزَّ وجلَّ، مطيعاً يسبح الله ذلك النور ويقدسه، قبل أنْ يُخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلمّا خلق الله تعالى آدم، ركّب ذلك النور في صلبه، فلم نزل في شيء واحد، حتى افترقنا في صلب عبد المطلب، فجزء أنا، وجزء عليٌّ**»(٧٨).

لما قتل عليٌّ عليه السلام أصحاب الألوية من المشركين يوم أُحد، نزل جبريل على النبيِّ وقال: إنَّ هذه لهي المواساة. فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله: إنَّ علياً منِّي

وأنا منه». فقال جبريل: وأنا منكما يا رســول الله(٧٩).في حديث آخر قال رســول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم:

«يا علي لولا نحن، ما خلق الله آدم ولا حواء، ولا الجنة ولا النار، ولا السماء ولا الأرض، وكيف لا نكون أفضل من الملائكة، وقد سبقناهم إلى التوحيد، ومعرفة ربنا عزَّ وجلَّ، وتسبيحه وتقديسه وتهليله، لأنَّ أوّل ما خلق الله تعالى أرواحنا، فأنطقنا بتوحيده وتمجيده، ثمَّ خلق الملائكة فلمّا شاهدوا أرواحنا نوراً واحداً، استعظموا أمرنا، فسبحنا لتعلم الملائكة أنَّا خلق مخلوقون، وأنَّه منزه عن صفاتنا، فسبّحت الملائكة لتسبيحنا، ونزهته عن صفاتنا، فلمّا شاهدوا عظم شأننا، هللنا لتعلم الملائكة أنْ لا إله إلَّا الله، وأنّا عبيد ولسنا بإله، نحب أنْ نعبد معه أو دونه، فلمّا شاهدوا كبر محلنا، كبرنا لتعلم الملائكة أنَّ الله أكبر من أنْ ينال، وأنَّه عظيم المحل، فلمّا شاهدوا ما جعله الله عزَّ وجلَّ لنا من العزّة والقوّة، قلنا لا حول ولا قوة إلَّا بالله العليِّ العظيم، لتعلم الملائكة أنْ لا حول ولا قوة إلَّا بالله، فقالت الملائكة: لا حول ولا قوة إلَّا بالله، فلمّا شاهدوا ما أنعم الله به علينا، وأوجبه لنا من فرض الطاعة، قلنا: الحمد لله، لتعلم الملائكة ما يحق لله تعالى ذكره علينا من الحمد على نعمه، فقالت الملائكة: الحمد لله، فبنا اهتدوا إلى معرفة توحيد الله، وتسبيحه وتهليله وتحميده وتمجيده، ثمَّ إنَّ الله تعالى خلق آدم وأودعنا صلبه، وأمر الملائكة بالسجود له تعظيماً لنا وإكراماً، وكان سجودهم لله عزَّ وجلَّ عبودية، ولآدم إكراماً وطاعة، لكوننا في صلبه، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة، وقد سجدوا لآدم كلُّهم أجمعون...»(٨٠).

وبتقصي الأحاديث التي بيّنها رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في فضله، نقف على جزءٍ من قيمة ومقام عليٍّ عليه السلام.

مَنْ مِنْ هؤلاء الذين صنع لهم الناس مقامات مزيفة، يستطيع أنْ يقايس نفسه، أو يسويها بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؟ لا أحد يجرؤ على ذلك، لأنَّه لو تجرأ أحد من الأدعياء، على وضع نفسه في ذلك الموضع، لكان للكفر يومئذٍ أقرب منه إلى الإيمان.

وهذا عمر بن الخطاب يعترف بأنَّه يرى في قرارة نفسه أنَّه خير من النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، واعترافه جاء عفوياً، مقراً بأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أحبُّ إليه من كلِّ شيء إلَّا نفسه، فتأمل الرواية:

عن عبد الله بن هشام قال: كنَّا مع النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم، وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله، لأنت أحبُّ إليَّ من كلِّ شيء، إلَّا من نفسي، فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم: لا والذي نفسي بيده، حتى أكون أحبَّ إليك من نفسك، فقال له عمر: فإنَّه الآن، والله لأنت أحبُّ إليّ من نفسي. فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم: الآن يا عمر؟[٨١].

وا ستنكار النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ولومه على عمر، جاء بعد ما حاول استدراك فداحة غلطته، بأنْ حاول تصحيح مشاعره تجاه النبيِّ صلَّى الله عليه وآله

وسلَّم، ولكن أنَّى للمشاعر أنْ تصحح في لحظة وفجأة، هيهات.. هيهات...

بينما كان عليٌّ عليه السلام مواسياً النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، باذلاً مهجته دونه فادياً له بنفسه، واقفاً على أداء حقه وقضاء شؤونه، ممتثلاً له في كلِّ الحالات والمواقف، كان غيره واقفاً دون ذلك، مجتهداً في التطاول، والنيل من مقام النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وشخصه، والحوادث الواقعة في هذا المجال أكثر من أنْ تعدّ، ولا يتسع لها المقام.ويمكن القول إنَّ النبيَّ الخاتم صلَّى الله عليه وآله و سلَّم، قد أدّى ما عليه من تكاليف، تجاه ربِّه ودينه وأُمَّته، فلم يترك شاردة ولا واردة إلَّا بينها، وأوضح فيها الأبيض من الأسود من الحقيقة، ونصح لها وأرشدها وهداها إلى ما تحتاجه، غير أنَّ الأُمَّة أبت إلَّا أنْ تنساق وراء تيار الانحراف، وتنغمس في بؤرة الانقلاب على القيم، والنصائح والإرشادات والأحكام، التي تركها النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

وعندما كان المرجفون من المنافقين، يدبّرون انقلابهم للاستيلاء على المدينة، وذلك بعد خروج النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى غزوة تبوك، كان عليٌّ عليه السلام، الإسفين الذي دقّه الوحي في نعش الانقلابيين، مبرزاً في الوقت نفسه المنزلة الكبرى، والمكانة العليا لعليٍّ عليه السلام: «**أنت منِّي بمنزلة هارون من موسى إلَّا أنَّه لا نبيَّ بعدي**»(٨٢).

عليٌّ عليه السلام، بمنزلة هارون عليه السلام، باستثناء منزلة واحدة، وهي النبوّة

بعد النبيِّ الخاتم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

وقد جاء في القرآن الكريم تفصـــيل منازل هارون من موســـى، التي تنطبق على منزلة عليٍّ عليه السلام من النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم تطبيقاً، لما صحّ من حديثه المبارك بشان عليٍّ عليه السلام.

قال تعالى: ﴿... وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (*) هَارُونَ أَخِي (*) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (*) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (*) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (*) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (*) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ (٨٣).

وقال أيضـــاً: ﴿... وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٨٤).

فعليٌّ عليه السلام على ذلك: وزير النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وأخو النبيِّ صـــلَّى الله عليه وآله وســـلَّم، ومؤازر النبيِّ صـــلَّى الله عليه وآله وســـلَّم، وشـــريك النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وخليفته في أُمَّته من بعده.

هذا مضـــافاً إلى أنَّ الله تعالى بصـــير بهما معاً، لأنَّهما من المســـبحين والذاكرين والعابدين له كثيراً، وهو مقام لا يمكن لأحد مجاراتهما فيه، وفي ذلك ما فيه من عظم الدلالة، على تطابق الوصيّ عليه السلام بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

أُخوّة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لعليٍّ عليه السلام، لم تنتهِ عند منزلة

هارون من موسى، بل تعدهما عملياً إلى المؤاخاتين اللتين أجراهما النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بين أصحابه في مكة، ثمَّ في المدينة، وقد نقل الترمذي مؤاخاة المدينة فقال: آخى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بين أصحابه، فجاء عليٌّ تدمع عيناه، فقال: «**يا رسول الله آخيت بين أصحابك، ولم تؤاخ بيني وبين أحد**».

فقال له رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: «**أنت أخي في الدنيا والآخرة**»[٨٥].

ورغم تظافر الأدلة على تقديم النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لعليٍّ عليه السلام، فوق ما كان يتمتع به من قرابة قريبة ومنزلة خصيصة، ظهرت تداعيات الكذب ونوبات الخلط والإلباس، في محاولة يائسة لزعزعة مقام أبي الحسن عليه السلام، فجاء من جاء بمفتريات بنيت على الظن، وتأسست على الهوى، كالدعوى العارية التي أطلقها أتباع الصحابة، من أنَّ أبا بكر كاد أنْ يكون خليلاً.

أخرج مسلَّم بسنده عن جندب قال: سمعت النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم قبل أنْ يموت بخمس وهو يقول: إنِّي أبرأ إلى الله أنْ يكون لي منكم خليل، فإنَّ الله تعالى قد اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أُمَّتي خليلاً، لاتخذت أبا بكر خليلاً[٨٦].

إلَّا أنَّ المتأمل الفطن، لا يمكن أنْ تنطلي عليه مثل هذه الدعاوى الخاوية على عروشها، لأنَّه لو كان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم متخذاً خليلاً، لاتخذ علياً، لأنَّه

الأقرب لبلوغ تلك المنزلة، بدليل المؤاخاة التي وقعت بين المسلمين، وأمضاها النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وحينها كان ابن أبي قحافة موجوداً، ولم يكن غائباً، وآخى النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بينه وبين غيره ولم يؤاخه، وإنَّما آخى علياً عليه السلام، وبذلك بطلت دعوى من ادّعى غير ما هو مطابق للحقيقة والواقع.

مضافاً إلى ما احتملته الرواية من براءة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، من أنْ يكون له من بين صحابته خليل له، بتعبير لم يعهد منه، ولا كان من سيرته، رواية تهافتت إلى حدِّ الابتذال، فلم تعد تصلح لشيء.في الوقت الذي كان موكب ابن أبي قحافة يشقُّ طريقه إلى الحج الأكبر، نزل جبريل عليه السلام ليلغي إمارة ذلك الرجل بقوله: (يا محمد لا يبلغ عنك إلَّا أنت أو أحد منك).

وكان أمير المؤمنين في الأثر، ليبين للأُمَّة عملياً أنَّ الرجل لا يصلح للقيادة أو الإمارة، والنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أو عليٌّ بن أبي طالب عليهما السلام موجود.

بطلان مقايسة عليٍّ عليه السلام بأيِّ أحد دون النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم واضحة، لعدم وجود مقاربة بينهما، فعليٌّ عليه السلام لم يعمل تحت راية أحد من هؤلاء، بينما عمل الجميع تحت رايته، وسلك بهم سبيل الرشاد والنصر، وسلكوا بغيره سبل الهزيمة والفرار، وليس أدلّ على ما نقول من حادثة الحج الأكبر.عن عليٍّ رضي الله عنه قال: لما نزلت عشر آيات من براءة، دعا النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم أبا بكر فبعثه بها، ليقرأها على أهل مكة، ثمَّ دعاني النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم فقال لي: أدرك أبا

بكر، فحيثما لحقته فخذ الكتاب منه، فاذهب به إلى أهل مكة فاقرأه عليهم، فلحقته بالجحفة، فأخذت الكتاب منه، ورجع أبو بكر رضي الله عنه إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم، فقال: يا رسول الله نزل فيّ شيء؟ قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: لا ولكنَّ جبريل جاءني فقال: لا يؤدي عنك إلَّا أنت أو رجل منك (٨٧).

عن أبي بكر أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم بعثه ببراءة لأهل مكة، لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ولا يدخل الجنة إلَّا نفس مسلمة، من كان بينه وبين رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم مدّة، فأجله إلى مدّته، والله بريء من المشركين ورسوله، قال فسار بها ثلاثاً، ثمَّ قال لعليٍّ رضي الله تعالى عنه الحقه، فردَّ عَلَيَّ أبا بكر وبلغها أنت، قال: ففعل. قال: فلمّا قدم على النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم أبو بكر بكى، قال: يا رسول الله حدث في شيء؟ قال: ما حدث فيك إلَّا خير، ولكن أمرت أنْ لا يبلغه إلَّا أنا أو رجل مني(٨٨).

وقد امتدت أيدي التحريف، لتفعل فعلها في قلب الحقائق، كلَّما اصطدم أعداء عليٍّ عليه السلام ومبغضوه بفضيلة أو منقبة أو خصوصية، تشيد به أو ترفع من مكانته، وكانت عملية عزل ابن أبي قحافة عن إمارة الحج، وتوليته مكانه، عرضة لذلك التحريف، الذي لا يمكنه أنْ ينطلي إلَّا على من اتصلت جذوره بسلالة الحاقدين على عليٍّ عليه السلام، لأنَّ أمير المؤمنين لم يتأمّر عليه أحد سوى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وتاريخ الغزوات والسرايا تشهد على تلك الحقيقة، والروايتان اللتان

أخرجهما أحمد بن حنبل واضحتا الدلالة، على أنَّ حزن ابن أبي قحافة، لم يأتِ من تواجد الإمام عليٍّ عليه السلام معه في بعثة الحج، لتبليغ آيات سورة براءة فقط، وإنَّما جاء نتيجة عزل أفزعه إلى درجة البكاء، خوفاً من أنْ يكون نزل فيه شيء، وإنَّك عزيزي القارئ تلاحظ أنَّ التحريف طال تبليغ آيات سورة براءة، فأدخل أبو هريرة نفسه أو أدخلوه فيها، إمعاناً في هضم حق عليٍّ عليه السلام، محو شخصيته وآثاره. حدث أبو هريرة قال: بعثني أبو بكر فيمن يؤذن يوم النحر بمنى، أنْ لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ويوم الحج الأكبر، يوم النحر والحج الأكبر[٨٩].

إنَّ عملية عزل ابن أبي قحافة عن إمارة الحج لم تأتِ سدى، فقد جاءت دليلاً يؤكد على عدم أهليته مع وجود عليٍّ عليه السلام، وتنبيهاً للمسلمين، على أنَّ تقديم عليٍّ عليه السلام على ابن أبي قحافة كان أمراً إلهياً، فيه من الإشارة والتنبيه للمسلمين، بعدم تقديم أحد على عليٍّ عليه السلام.

وحتى تتقبل الأُمَّة إسقاط مقام عليٍّ عليه السلام وهضم حقه، ومقايسته حيث لا مجال للمقايسة، لأنَّ التبر لا يقاس بالتراب، كان لا بُدَّ من أنْ يتجرأ عليه الأدعياء والجاهلون، فشنت عليه حرب أُريد لها أنْ تضعه على صعيد واحد مع محاربيه، ثمَّ جاء دور بثّ الدعايات والأراجيف، وتزييف الحقائق وقلب المناقب، لتفعل فعلها في الأُمَّة، فلم ينجُ من فتنة ابن آكلة الأكباد وعصابته، غير قلة من المؤمنين، الذين رجعوا إلى عليٍّ عليه السلام، بعد ما أبصروا أحقيته ومقامه، أمَّا البقية فهم تائهون في ظلمات بعضها

فوق بعض.

عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه، قال أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك أنْ تسبّ أبا التراب؟ فقال: أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، فلن أسبه، لئن تكون لي واحدة منهن، أحبّ إليّ من حمر النعم، سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول له وقد خلّفه في بعض مغازيه، فقال له عليٌّ: «**يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان؟**» فقال له رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: «**أما ترضى أنْ تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلَّا أنَّه لا نبوّة بعدي**».

وسمعته يقول يوم خيبر: «**لأُعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله**». قال: فتطاولنا لها فقال: «**ادعوا لي علياً**»، فأُتي به أرمد، فبصق في عينه، ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه، ولما نزلت هذه الآية ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ دعا رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال «**اللهم هؤلاء أهلي**»(٩٠).

حديث: من سبّ علياً فقد سبّني.

عن أبي عبد الله الجدلي قال دخلت على أُمِّ سلمة فقالت لي: أيسبُّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فيكم؟ قلت: معاذ الله أو سبحان الله أو كلمة نحوها، قالت: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول: «**من سبّ علياً فقد سبّني**»(٩١).

لم يستحِ من سعى إلى إلصاق تهمة سبِّ الصحابة، بشيعة أمير المؤمنين عليٍّ عليه

السـلام، وانبرى بكلِّ صـلافة يردّد بهتاناً، يرغب من ورائه، صـرف الناس عن الرؤية الصحيحة للإسلام، الذي ينتسب إليه أهل بيت النبوّة عليهم السلام وشيعتهم رضوان الله تعالى عليهم.

ولو التفت أولئك المغفلون، إلى التلة التي وقفوا عليها، ليرموا منها سهام اتهاماتهم على الشيعة، لوجدوا أنفسهم مقيمين في مخيم سبِّ النبيِّ الأعظم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من الأساس، مع معاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، وأبي هريرة، وسمرة بن جندب، والمغيرة بن شعبة، ومن انضوى إلى حزبهم من الصحابة، الذين على شاكلتهم، كانوا يسبون علياً عليه السلام، والساب لعليٍّ هو سابٌّ للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بلا فرق، كما حدثت بذلك أُمُّ سلمة رضي الله عنها عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وهؤلاء الذين ذكرهم بالنسبة لأتباع خط السقيفة، صحابة أجلاء، يطلبون من الله لهم الرضا، من غير التفات إلى أنَّهم جميعاً، قد تورطوا في سبِّ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ومن سبَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أو آذاه، فإنَّه مستوجب للعن والبراءة منه.

عن عمران بن حصين قال: بعث رسول الله صلَّى الله عليه (وآله) وسلَّم جيشاً، واستعمل عليهم عليَّ بن أبي طالب، فمضى في السرية فأصاب جارية، فأنكروا عليه، وتعاقد أربعة من أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه (وآله) وسلَّم، فقالوا إذا لقينا رسول الله صلَّى الله عليه (وآله) وسلَّم أخبرناه بما صنع عليٌّ، وكان المسلَّمون إذا

رجعوا من السفر، بدأوا برسول الله صلَّى الله عليه (وآله) وسلَّم، فسلَّموا عليه، ثمَّ انصرفوا إلى رحالهم، فلمّا قدمت السرية، سلَّموا على النبيِّ صلَّى الله عليه (وآله) وسلَّم، فقام أحد الأربعة، فقال: يا رسول الله ألم تر إلى عليٍّ بن أبي طالب صنع كذا وكذا؟ فأعرض عنه رسول الله صلَّى الله عليه (وآله) وسلَّم، ثمَّ قام الثاني فقال مثل مقالته، فأعرض عنه، ثمَّ قام الثالث فقال مثل مقالته، فأعرض عنه، ثمَّ قام الرابع فقال مثل ما قالوا، فأقبل رسول الله صلَّى الله عليه (وآله) وسلَّم والغضب يعرف في وجهه، فقال: ما تريدون من عليٍّ؟ ما تريدون من عليٍّ؟ ما تريدون من عليٍّ؟ إنَّ علياً منّي وأنا منه، وهو ولي كلِّ مؤمن بعدي(٩٢).

أخرج ابن عقدة بسنده عن أبي هارون العبدي قال: لقيت أبا سعيد الخدري، فقلت له: هل شهدت بدراً؟ فقال: نعم. فقلت: ألا تحدثني بشيء سمعته من رسول الله في حق عليٍّ وفضله؟ قال: بلى أخبرك أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مرض مرضة، ثمَّ نقه منها، فدخلت عليه فاطمة تعوده، وأنا جالس عن يمين رسول الله، فلمّا رأت رسول الله وما به من الضعف سبقتها العبرة، فقال لها رسول الله:

«ما يبكيك يا فاطمة؟ أما علمت أنَّ الله تعالى اطّلع إلى الأرض اطلاعة، فاختار منها أباك، فبعثه نبياً، ثمَّ اطلع ثانية، فاختار منها بعلك، فأوحى إليَّ فأنكحته إياك، واتخذته وصياً، أما علمت أنَّك بكرامة الله إيّاك، زوّجك أعلمهم علماً، وأكثرهم حلماً، وأقدمهم سلماً».
فضحكت فاطمة واستبشرت، فأراد رسول الله أنْ يزيدها من مزيد الخير كلِّه، الذي

قســمه الله لمحمّد وآل محمّد، وما أعدَّ لهم من الكرامة، فقال: «**يا فاطمة، إنَّ لعليٍّ ثمانية أضراس – يعني مناقب –، إيمان بالله ورســوله، وحكمته، وزوجته فاطمة، وولداه الحســن والحســين، وأمره بالمعروف، ونهيه عن المنكر، يا فاطمة إنّا أهل بيت أُعطينا ســت خصــال، لم يعطها أحد من الأوّلين، ولا يدركها أحد من الآخرين: منّا نبياً خير الأنبياء، وهو أبوك، وو صياً خير الأو صياء، وهو بعلك، و شهيدنا خير الشهداء، وهو حمزة عم أبيك، ومنّا سبطا هذه الأُمَّة، وهما ابناك، ومنّا مهدي هذه الأُمَّة، الذي عيسى ابن مريم يصلي خلفه**»(٩٣).

أمّا عبادة عليٍّ عليه الســلام وتقواه، فهما من تأسـيس النبيِّ صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم، وقد بلغ مقاماً، تحول إجهاده في ذات الله لذّة لا يسـاويها شـيء، وقد اسـترعى انتباهي ملاحظة جاءت في آخر رواية أخرجها مسلم تقول:

عن عائشــة أنَّها قالت: كان لرســول الله صــلَّى الله عليه وســلَّم حصــير، وكان يحجره من الليل فيصــلي فيه، فجعل الناس يصــلون بصــلاته، ويبســطه بالنهار، فثابوا ذات ليلة فقال: يا أيُّها الناس عليكم من الأعمال ما تطيقون، فإنَّ الله لا يملّ حتى تملوا، وإنَّ أحب الأعمال إلى الله، ما دووم عليه وإنْ قلَّ، وكان آل محمّد صلَّى الله عليه وسلَّم إذا عملوا عملاً أثبتوه(٩٤).

ذلك مقام آل محمّد في إثبات العبادات، وبقية الأعمال الصــالحة، وعليٌّ عليه الســلام ســيد آل محمّد بعد النبيِّ صــلَّى الله عليه وآله وســلَّم، ولو أطلقنا العنان في سـرد عبادة عليٍّ وزهده وتقواه، لما أمكننا أنْ نجاري الاختصــار الذي تعلق بهذه الورقات،

لذلك أكتفي بهذه الإشـــارة، وأقتصـــر على هذا التلميح، لكونهما موجهين إلى ذوي الألباب.وعلى ذلك نقول: إنَّ من جهل مقام عليٍّ عليه الســـلام، لا يمكنه أنْ يهتدي إلى مقام النبيِّ صــلَّى الله عليه وآله وســلَّم، ومن أنكر حق عليٍّ عليه الســلام في إمامة الأُمَّة وقيادتها بعد النبيِّ صــلَّى الله عليه وآله وســلَّم، فقد أنكر ضــرورة من ضــرورات الإيمان، واستوجبت بطلان بقاء أحكام الله تعالى،بدون قائم بالحق عليها.

والإجحاف في حق عليٍّ عليه السلام، ردٌّ على الله تعالى ورسوله صلَّى الله عليه وآله وســلَّم بلا فصــل، لذلك وجب أنْ ننبه إلى خطورة موقف الرادّين، بإنكار أحقية عليٍّ عليه السـلام في قيادة الأُمَّة بعد نبيّها صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم، رغم النصـوص المتضافرة، التي لا يتجرأ على ردِّها أو التشكيك فيها، إلَّا منحرف عن منهاج عليٍّ عليه السلام، والذي هو بالأساس منهاج النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وحتى لو سلَّمنا جدلاً بعدم وجود أيِّ نصٍّ يدلُّ على إمامة الإمام عليٍّ عليه السلام، وقيادته للأُمَّة بعد النبيِّ صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم، فإنَّ مواقف عليٍّ وما قدمه من اجل إعلاء كلمة الله، كافية لتكون حجة على هؤلاء الجهلة وعميان القلوب.

الصديق الأكبر

مظلومية أمير المؤمنين أبي الحسن عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام، لم تقف عند جهة، ولا التزم مقترفوها بحدٍّ يردعهم عن شنيع ما اقترفوه، بحق من أقام الإسلام بسيفه، وكفله بعلمه، وزكاه بعمله، فلا الأُمَّة الإسلامية بسوادها الأعظم عرفته حق معرفته، ولا علماؤها أقرّوا بعظيم منزلته، وتفرده بها عن سواه، تفرّداً يحلّه منزلته الخصيصة، ويستبعد بذلك أيَّ تقارب قد يتوهّمه متوهّم، مع من رفع شأنهم الأُمويون بغضاً والعباسيون حسداً.

ظاهرة سلب خصائص عليٍّ عليه السلام، بدأ التمهيد لها بحرق الغاصب الأول لحكومة عليٍّ عليه السلام، جملة من الأحاديث التي تشتمل عليها، بدعوى إمكانية أنْ يوجد بينها ما لم يقله النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.الرواية عن عائشة تقول: (كما أخرجها ابن سعد في طبقاته الكبرى)، جمع أبي الحديث عن رسول الله صلَّى الله عليه –وآله– وسلَّم، وكانت خمسمائة حديث، فبات ليلته يتقلب كثيراً. قالت: فغمني. فقلت: أتتقلب لشكوى أو لشيء بلغك؟ فلمّا أصبح، قال: أي بنية، هلمّي الأحاديث التي

عندك، فجئته بها، فدعا بنار فحرقها. فقلت: لم أحرقتها؟ قال: خشيت أنْ أموت وهي عندي، فيكون فيها أحاديث عن رجل قد ائتمنته ووثقت به، ولم يكن كما حدثني، فأكون قد نقلت ذلك[٩٥].

ولما كثرت الأحاديث على عهد المغتصب الثاني لحكومة عليٍّ عليه السلام، ناشد الناس أنْ يأتوه بها، فلمّا أتوه بها، أمر بها فأُحرقت[٩٦].

وذهب الرجل بعد ذلك إلى حدٍّ منع رواية الأحاديث، والتشـــدد في ذلك بمعاقبة من خالف أمره، فخشـــي الناس بطشـــه وتهديده، فامتنع أغلبهم من تعهد الأحاديث ورواية وتدوينا، فكان ذلك خســـارة كبرى، بقيت عالقة بأذيال الأُمَّة، ما يزيد عن قرن من الزمن.

وتعليل تلك الجرائم بأنَّ القصد منها الخشية من اختلاطها بالقرآن، أو انصراف الناس إليها وهجران القرآن، محاولة يائســة لتبرئة مقترفي الحرق والمنع، بتعليلات واهية، وتبريرات بعيدة كلَّ البعد عن الصواب والمنطق.

ولم يكن عهد عثمان أقلَّ تعسفاً وسوءاً من سابقيه، فقد وصل به الأمر إلى ارتقاء المنبر، لإصـــدار أمره في هذا الشـــأن، فقال: لا يحلُّ لأحد أنْ يروي حديثاً عن رســـول الله، لم أسمع به في عهد أبي بكر وعمر[٩٧].ولم يتوقف عند ذلك الحدِّ، بل تعداه إلى الاعتداء بالضرب على ثلاثة من خيار الصحابة، وهم عبد الله بن مسعود، وعمار

بن ياسر، وزاد نصيب أبي ذر النفي مرتين، كان في الأخيرة موته بالربذة، وهي صحراء قاحلة جرداء، لا وقاء فيها وطاء، مع ما قال فيه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق ولا أوفى من أبي ذر...**»(٩٨).

ولولا تلك الإجراءات التعسفية بحق السنة المطهرة، لأمكن لنا أنْ نحصل على مستصفى القول منها، ولما اختلف اثنان من المسلمين في مسألة من المسائل أو حكم من الأحكام، ولانضوى المسلمون جميعاً تحت راية واحدة، شعارها القرآن وأهله أئمة الهدى عليهم السلام.

ومع سرعة انحدار الحكومة الإسلامية، وتقلّد الطلقاء لها، خرج علينا ابن زعيمهم معاوية بأُسلوب جديد، في محاربة السنة وتحريفها، وتتبع خصائص الإمام عليٍّ وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام، ونسبتها إلى غيرهم، تغييراً لسمة الحق، وقلباً للواقع الذي كان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يريد نشره بين المسلمين، فحث على الكذب على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وقدّم مقابل ذلك العطاءات والحوافز والجوائز، وقرّب من قرّب من الكذابة، تشجيعاً لهم على ما قدموه لسلطانه من دعم، وكان محاطاً بأدهى دهاة العرب ابن العاص وابن شعبة.

أخرج المدائني في كتابه الأحداث: كتب معاوية نسخة واحدة إلى عمّاله بعد عام الجماعة: أن برئت الذمة ممّن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته، فقامت الخطباء في كلِّ كورة، وعلى كلِّ منبر يلعنون علياً، ويبرؤون منه، ويقعون فيه وفي أهل بيته،

وكان أشـدَّ الناس بلاءً حينئذٍ أهل الكوفة، لكثرة من بها من شـيعة عليٍّ، فاسـتعمل عليهم زياد ابن سمّية، وضمّ إليه البصرة، فكان يتتبّع الشيعة، وهو بهم عارف، لأنَّه كان منهم أيام عليٍّ، فقتلهم تحت كلِّ حجر ومدر، وأخافهم، وقطع الأيدي والأرجل، وسمل العيون، وصلبهم على جذوع النخل، وطردهم، وشرّدهم عن العراق، فلم يبقَ بها معروف منهم.

وكتب معاوية إلى عمّاله في جميع الآفاق: أنْ لا يجيزوا لأحد من شـيعة عليٍّ وأهل بيته شهادة.. وكتب إليهم: أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان، ومحبيه وأهل ولايته، والذين يروون فضائله ومناقبه، فأدنوا مجالسهم، وقربوهم، وأكرموهم، واكتبوا لي بكلِّ ما يروي كلُّ رجل منهم، واسمه واسم أبيه وعشيرته.

ففعلوا ذلك حتى أكثروا من فضـائل عثمان ومناقبه، لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلات والكساء والحباء والقطائع، ويفيضه في العرب منهم والموالي، فكثر ذلك في كلِّ مصر، وتنافسوا في المنازل والدنيا، فليس يجيء أحد من الناس عاملاً من عمال معاوية، فيروي في عثمان فضيلة أو منقبة إلَّا كتب اسمه وقربه وشفعه، فلبثوا بذلك حيناً.

ثمَّ كتب معاوية إلى عماله: إنَّ الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كلِّ مصر، وفي كلِّ وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا، فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأوّليين، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسـلمين في أبي تراب، إلَّا وتأتوني بمناقض له في الصحابة، فإنَّ هذا أحبُّ إليَّ وأقرّ لعيني، وأدحض لحجة أبي تراب

وشـيعته، وأشـدّ عليهم من مناقب عثمان وفضـله، فقُرئت كتبه على الناس، فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة، مفتعلة لا حقيقة لها، وجدَّ الناس في رواية ما يجري هذا المجرى، حتى أشـاروا بذكر ذلك على المنابر، وألقي إلى معلمي الكتاتيب، فعلموا صـبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسـع، حتى رووه وتعلموه كما يتعلمون القرآن، وحتى علموا بناتهم، ونساءهم، وخدمهم، وحشمهم، فلبثوا بذلك ما شاء الله[٩٩].

وقد اعترف الكاتب المصـري أحمد أمين بحالة الوضـع هذه، لكنَّه أوقفها على فضائل عثمان وبني أُمية فقط، دون التعرض إلى بقية الفضائل التي أُلصقت بالشيخين، ومناصريهم من أصحاب السقيفة.

ولم يلتفت هو ولا غيره، من الذين حدّوا مديات طعونهم، على شـيعة أهل بيت النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، لغرزها في خاصرة التشيع، بعد أنْ نسبوه إلى السبئية واليهودية والمجوسية، ذلك أنَّ ما تضـمنه الخبر يغني عن أيِّ تعليق، ويكشـف عن مدى عمق الجريمة التي اقتُرفت بحق دين الله.

أوامر سلطوية ظالمة وانصياع لها أدّى إلى ما تضمنته رواية المدائني من اعتداء خطير على رمز زكاه الله في كتابه، وبيّن منزلته رسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في ما صحَّ من أحاديثه، وصـل إلى سـبِّه ولعنه والاسـتهانة بمكانته، مع قرب العهد به وبإنجازاته ومواقفه التي لا تنسى.

إنَّ الذي وقع سبُّه على المنابر، هو نفس النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وأخوه بالمؤاخاتين في مكة والمدينة، وزوج ابنته سيدة نساء العالمين عليها السلام، وأبو سبطيه الحسن والحسين عليهما السلام، وهو الذي حذر من سبِّه وأذيته، فقال: «**من سبَّ علياً فقد سبّني**»، والسابُّ لعليٍّ كالسابِّ للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بلا فصل، ومع ذلك رموا التشيع بسبِّ الصحابة، وهم لا يزالون يحتضنون الطلقاء، وعلى رأسهم معاوية مؤسس سبِّ عليٍّ عليه السلام، ولا يرون غضاضة في ذلك، ويترضون عليه، مع ما قد كان بينه في شأن سبِّه، من الخطر العظيم والجرم الجسيم.مناقب وألقاب عدّة حازها عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام، لم ترقَ نسبتها إليه، كلُّ من حمل في صدره بغض أمير المؤمنين، وسيد الوصيين، وقائد الغر المحجلين، فطفقوا يعملون على إزالتها ومحوها، بكلِّ الوسائل الإجرامية، التي استبطنتها أنفسهم المريضة، لكنَّهم تناسوا أنَّهم على هذه الحال من الشذوذ، في مواجهة دين الله وأوليائه، والمحارب في هذا المجال محارب لله تعالى.

في هذا الباب نتناول لقب الصديق، الذي حازه أبو الحسن عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام، عن جدارة واستحقاق، وبالدليل الذي لا يردّ، من خلال الأحاديث التي اعترف بها المخالف قبل الموالف، في مقابل أوهام لا يزال المتعصبون ينشرونها بين أيديهم، نشر من به لوثة جنون أو هفتة جهل، قد صفوا بيارق عداوتهم في مقابل الحق، الذي علا كالشمس ساطعاً، تراه عين البصير، ولا تنكره إلَّا من عميت بصيرته.

عن أبي ليلى الغفاري قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: **«ستكون بعدي فتنة فإذا كان ذلك، فالزموا عليَّ بن أبي طالب، فإنَّه أوّل من يراني، وأوّل من يصافحني يوم القيامة، وهو الصّدِّيق الأكبر، وهو فاروق هذه الأُمَّة، يفرق بين الحق والباطل، وهو يعسوب المؤمنين والمال يعسوب المنافقين»**(١٠٠).

عن عباد بن عبد الله قال: قال عليٌّ (رض): أنا عبد الله وأخو رسوله، وأنا الصّدِّيق الأكبر، لا يقولها بعدي إلَّا كذاب! صليت قبل الناس سبع سنين(١٠١).

وقال البوصيري في الزوائد: صحيحٌ على شرط الشيخين، وتكلم فيه بعضهم لأجل عباد، لكن تابعته عليه معاذة العدوية(١٠٢).

وعن أبي ذر وسلّمان قالا: أخذ النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بيد عليٍّ فقال: **«إنَّ هذا أوّل من آمن بي، وهذا أوّل من يصافحني يوم القيامة، وهذا الصّدِّيق الأكبر، وهذا فاروق هذه الأُمَّة، يفرق بين الحق والباطل، وهذا يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب الظالمين»**(١٠٣).

والشاهد على ذلك قوله النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: **«الصديقون ثلاثة: حبيب النجار مؤمن آل (يس)، الذي قال: ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾، وحزقيل مؤمن آل فرعون، الذي قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾. وعلي بن أبي طالب وهو أفضلهم»**(١٠٤).

نزول قوله تعالى: {وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ}.

جاء عن مجاهد، أنَّ الذي صدّق بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم هو عليٌّ عليه السلام[١٠٥].

كان عليٌّ عليه السلام يعلم أنَّ مقاماته ستمتد اليها أيدي التحريف الأُمويّة، فكان يذكر في كلِّ مناسبة تستدعي تدخله، لإعادة الأُمور إلى نصابها، ونقل عنه قوله: «**أنا الصدّيق الأكبر لا يقولها بعدي إلَّا كذاب، صلّيت قبل الناس بسبع سنين**»[١٠٦].

قد يتعلل أصحاب الأهواء، ومن بهم إحنة على عليٍّ وأهل بيته عليهم السلام، بأنَّ الأحاديث المذكورة، هي من الأحاديث الضعيفة، وقد يتطرف منهم باعتبارها موضوعة، لكنْ من ضعفها؟ ومن ألصق بها صفة الوضع؟تصفية الأحاديث - كما أشرت إلى ذلك - بدأت منذ وفاة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وتواصلت ثلاثة قرون، أمكن خلالها حصر الأحاديث في دوائر مذهبية، أسستها سياسات الأنظمة الظالمة التي تعاقبت على رقاب المسلمين، كلٌّ بحسب ميله وهواه، مع اتفاقهم على ردِّ خصائص أهل البيت عليهم السلام، والإمام عليٍّ عليه السلام أوّلهم، لأنَّ اعترافهم بجميع تلك الخصائص، لن يبقي لمذاهبهم جداراً قائماً ولا بناءً مانعاً، بل سيحيل كلَّ ما بنوه ريبة وظناً، إلى خراب بعد العمار الواهي الذي أسسوه.

المعنى اللغوي: قال ابن منظور: الصدق نقيض الكذب، ويقال صدقت القوم، أي قلت لهم صدقاً، ورجل صدوق، أبلغ من الصادق، قوله تعالى: ﴿لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ﴾. تأْويله ليسأل المُبَلِّغين من الرسل عن صِدْقِهم في تبليغهم، وتأْويل سؤالهم، التبكيتُ للذين كفروا بهم، لأنَّ الله تعالى يعلم أَنَّهم صادِقُون، والصِّدِّيقُ: المبالغ في الصِّدْق.

(حيث لم يعهد عنه سواه، ولو مسكت عليه كذبة واحدة انتفت صفته، بل لعلَّ هذا ممّا يطلق على من لا يجوز عليه أنْ يكذب أبداً، وحريٌّ به أنْ يكون معصوماً كالنبيِّ يوسف الصديق، ووصيّ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام، لأنَّ الله تعالى أذهب عنه الرجس وطهره تطهيراً، وجعله عدل الكتاب ومستحفظه.

ومصداق نسبة لقب الصديق لعليٍّ عليه السلام، ما ذكره ابن هشام في سيرته عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حيث قال: «**كان يجاور في حراء من كلِّ سنة شهراً**»، وذلك ممّا تحنث به قريش[١٠٧]، وفي هذا الشأن قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**و لقد كان يجاور في كلِّ سنة (بحراء) فأراه و لا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذٍ في الإسلام، غير رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وخديجة، وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي و الرسالة، وأشم ريح النبوة...**»[١٠٨].

وبناءً على ذلك، فإنَّ اللقب لم يكن ليحصل عليه عليٌّ عليه السلام من مجرد

تصديق، بل حازه عن جدارة، نتيجة جهود مضنية، ووقوف إلى جانب النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، في الفترة المكية، تلك الفترة التي أغمض أعداء عليٍّ عليه السلام أعينهم عنها، فلم يكتشف البعض أهميتها، إلَّا من خلال حادثة إسلام أبي ذر رضوان الله تعالى عليه، تلك الحادثة التي كشفت لنا عظيم دور عليٍّ عليه السلام خلال الفترة المكية، حيث كانت له أدوار عدّة، منها مؤازرة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وتحمّل أعباء الدعوة منذ صغره، وتميزه في المدينة من جهاد ومواساة ومواقف، لا يقلُّ عنه تميزه في مكة كذلك، فحاز عليٌّ عليه السلام التفوق والسبق في المرحلتين، وهذا حق من حقوق عليٍّ عليه السلام.

أمّا ما نسب من أنَّ لقب الصديق، أطلقه النبيُّ على ابن أبي قحافة، عندما صدقه في حادثة الإسراء، فهو محض ادّعاء لا يمكنه الصمود، أمام حقيقة كون هذا اللقب، خاصاً بأمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام، باعتباره أوّل من آمن وصدق وآزر ونصر، ومدّة تفرد الإمام عليٍّ عليه السلام وتميزه عن غيره، لم تكن معدودة باليوم أو الشهر، كما يعتقد قليلو البحث، بل كانت بالسنوات، فهذا عليٌّ عليه السلام يقول: «صليت قبل أنْ يصلّي الناس بخمس سنين». **وابن أبي قحافة من هؤلاء الناس، وفي أحسن الحالات يأتي إسلام ابن أبي قحافة بعد ثلاث سنين، أي بعد انتهاء تكليف النبيِّ بحصر الدعوة في عشيرته:** ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾(١٠٩).

كما لا تصح صفة الصّدّيق لمجرد تصديق في مسالة أو حادثة، ففي أحسن

الحالات يسمى المرء صادقاً أو مصدقاً، أمّا أنْ يطلق عليه صدّيقاً، فذلك يتعارض مع صفة المبالغة في الصدق، والتي تفيد أنَّ من اتصف بتلك الصفة، لا بُدَّ أنْ يكون صادقاً طوال عمره، لم يكذب قط ولو مرّة واحدة، وهذا ما يبعد الصفة من منتحلها، باعتباره عابد وثن قبل الإسلام، وشارب خمر بعده، وشارب الخمر لا يستطيع أنْ يتحكم في ميزان صدقه إذا ثمل، وقد عرفنا أنَّ الرجل بقي على شرب الخمر هو وصاحباه في السقيفة، إلى نزول قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾.في السنة العاشرة من الهجرة(١١٠).

ولو عدنا إلى الرواية التي أخرجها ابن هشام في سيرته عن الحسن البصري، لوجدنا فيها ذكر ارتداد كثير من الناس، مع أنَّ الذين اسلموا كانوا يعدّون على الأصابع، فمن أين جاء البصري بهذا الزعم؟

كما أنَّ ما نسبه إلى ابن أبي قحافة في تلك الحادثة، لا يتفق مع صفة المبالغة في الصدق، لأنَّه كان عليه لو صحت الرواية - وهي في نظري لا تصح عقلاً- أنْ يصدق مباشرة ومنذ سماعه للخبر، ولا يعود فيسأل النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنْ يصف له بيت المقدس.

على أنَّ رواية عائشة ومعاوية في الإسراء، تتفقان مع رواية الحسن البصري، في أنَّ إسراء النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان بالروح دون البدن، حيث لم يفتقد بدنه من فراشه، والعجيب هنا في من افتقد النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في الأثناء،

وعائشة قد دخل بها النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعد الهجرة، ومعاوية كان ضمن المشركين المحاربين لله ورسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فكيف يصح هذا الخلط والخبط؟

أمَّا إذا اعتبرنا سند الرواية، ففيه أنَّ الحسن البصري لم يكن موجوداً وقتها، فهو معدود من التابعين، ولم يرد في سند الرواية عمّن نقلها، وكذلك الشأن بالنسبة لعائشة ومعاوية(١١١).

وبذلك أقول إنَّ لقب الصدِّيق تآمر على نزعه من عليٍّ عليه السلام، وإلصاقه بابن أبي قحافة معاوية وبطانته من طلقاء بني أُمية، سعياً منهم في إبطال خصائص أمير المؤمنين، وسيد الموحدين عليه السلام، ذلك أنَّ المتتبع العاقل يذعن للحق إذا عرض عليه من الوجهة التي ذكرت، ولا معنى لإطلاقه على غير أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام، ومن غصب حقاً من أهله فهو من الغاصبين، ومن وضعه في غير أهله فهو من الجاهلين، والحق في هذا الأمر أحق بأنْ يتبع.

خير البرية

كنت بصدد إتمام أحد المواضيع، وأثناء تصفحي كتاب شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، استوقفتني هذه الرواية العجيبة، ليس العجب ممّا جاء فيها، فكلُّ ما تضمنته من فضائل، تخصُّ أمير المؤمنين عليَّ بن أبي طالب عليه السلام صحيحة، ولا يتطرق إليها شك، بل هي في نظري، قليل من إمكانات الإمام عليٍّ عليه السلام، وما ورد في شأنه من كتاب وسنة، إنَّما جاء العجب، من أنْ ينطق بها من كان معدوداً ضمن المنحرفين عن عليٍّ عليه السلام نفسه، وقد عدَّه ابن أبي الحديد من بينهم في شرح النهج.

روى أبان بن عياش، قال سألت الحسن البصري عن عليٍّ عليه السلام، فقال: ما أقول فيه؟ كانت له السابقة، والفضل، والعلم، والحكمة، والفقه، والرأي، والصحبة، والنجدة، والبلاء، والزهد، والقضاء، والقرابة، إنَّ علياً كان في أمره عليّاً، رحم الله علياً وصلَّى عليه.

فقلت: يا أبا سعيد، أتقول: صلَّى عليه؟ لغير النبيِّ؟ فقال: ترحم على المسلمين

إذا ذكروا، وصـــلِّ على النبيِّ وآله وعليٌّ خير آله. فقلت: أهو خير من حمزة وجعفر؟ قال: نعم.

قلت: وخير من فاطمة وابنيها؟ قال: نعم، والله إنَّه خير آل محمد كلِّهم، ومن يشك أنَّه خير منهم، وقد قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**وأبوهما خير منهما**» ولم يجر عليه اسم شرك، ولا شرب خمر، وقد قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لفاطمة عليها الســلام: «**زوجتك خير أُمَّتي**»، فلو كان في أُمَّته خير منه لاســتثناه، ولقد آخى رســول الله صــلَّى الله عليه وآله وســلَّم بين أصــحابه، فآخى بين عليٍّ ونفســه، فرسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم خير الناس نفساً، وخيرهم أخاً.

فقلت: يا أبا ســعيد فما هذا الذي يقال عنك أنَّك قلته في عليٍّ؟ فقال: يا بن أخي، أحقن دمي من هؤلاء الجبابرة، ولولا ذلك لشالت بي الخشب(١١٢).

هذه الرواية، هي شاهد إثبات لما حصل من إجحاف في حق عليٍّ عليه السلام، وحجة إثبات لما تعرض له شخصه وتاريخه من ظلم وحيف، من طرف جحافل النفاق، التي أجمعت على بغض عليٍّ عليه الســلام، ومحاربته بكلِّ الوســائل، متحدية مقالات النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بشأنه، غير عابئة بتحذيرات مناوئته.

وإنْ كان الحسن البصري غير معذور في ما ظهر له من مواقف، فإنَّ هذه الشهادة التي نطق بها قد تشفع له تخاذله في نصرة الحق.

وإذا أردنا أنْ نحصـي فضـائل وخصـائص الإمام عليٍّ عليه السـلام، فإنَّنا نقف عاجزين عن القيام بذلك، بسـبب حالات المنع بالترهيب، التي أفصـح عنها الحسـن البصـري، وأخطر منها عمليات الدسِّ والتحريف، في مقابل ما خلص من براثن أعداء عليٍّ عليه السـلام، من حكومات أصـرّت على معاداة عليٍّ وأهل بيته عليهم السلام.قال الإمام أحمد بن حنبل: ما ورد لأحد من أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من الفضائل، ما ورد لعليٍّ (رض)، أخرجه الحاكم(١١٣).

أقوال النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في عليٍّ عليه السلام أكثر من أنْ نحصيها، أو نحيط بها، أو ندرك مداها، لكنْ يبقى هناك مجال لفهم بعض مقامات عليٍّ عليه السلام، وهو أنْ نأتي البيت النبويَّ من بابه، الذي أُمرنا بالتوجه إليه والدخول منه، قال تعالى: ﴿...وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(١١٤).

أخرج السيوطي في تفسيره قال: أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال: كنا عند النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فأقبل عليٌّ عليه السلام فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**والذي نفسي بيده إنَّ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة**». ونزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾(١١٥).

فكان أصـحاب النبيِّ صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم، إذا أقبل عليٌّ عليه السـلام قالوا: جاء خير البرية(١١٦).

أمّا من استأنس إلى القول: إنَّ الأحاديث التي أوردها ضعيفة عنده، فإنَّه سيكون مسرفاً في دينه وعلى نفسه، لو استمسك طويلاً بعلة، تسبب فيها المعطلون للسنة النبوية، والمحرّقون لأحاديث النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، الغاصبون للحكومة الإلهية من أصحابها، ولو ترك هؤلاء سنة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، تتداول بين الناس روايةً وتدويناً، لما وصل إلينا الآن حديث واحد، مشكوك في نسبته إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

وممّا زاد الطين بلة، ما أقدم عليه الطلقاء من بني أُمية، وعلى رأسهم مؤسس حركة التحريف والوضع في الروايات التي وصلتنا، وصاحب إجراء منع تداول الأحاديث، التي وردت في شأن الإمام عليٍّ عليه السلام وأهل بيته الأطهار عليهم السلام، ومعاقبة الراوي والتنكيل به، بسجنه أو قتله وهدم داره، ولولا ربانية عليٍّ عليه السلام وصحة إمامته، لذهبت ريحه مع من ذهب، من زعماء الفرق والمذاهب المندثرة، والتي لم تجد مدداً إلهياً يسندها، أو سلطة تعضدها.

وبعد ذهاب حكم بني أُمية، وفي عهد بني العباس، وجد الحُفاظ أنفسهم أمام كمٍّ هائل من الروايات الموضوعة، فاقت في أعدادها ما هو صحيح أضعافاً مضاعفة، فاتجهوا إلى التحقيق في حال الرواة، ونشأ من ذلك علم الرجال، أو ما سمي بالجرح والتعديل، قد كشف عدداً كبيراً من الوضاعين وموضوعاتهم، وهذا العلم الذي تأسس على علاته في الحيف والتمييز بين الرواة، تعصباً لمذهب دون آخر، فضعّف رواة بسبب

انتمائهم، وردّت بذلك أحاديث كثيرة، في فضل عليٍّ وأهل بيته عليهم السلام، لو نُظر إليها بعين الحياد والتجرّد، لكانت من أوثق الأحاديث وأصحّ الروايات، لتضافرها مع غيرها من الأحاديث الصحيحة والمتواترة، من منظور الخطوط المخالفة لنهج عليٍّ وأهل بيته عليهم السلام.

عليٌّ عليه السلام لمن ألقى السمع وهو شهيد، خير البرية وخير البشر، بعد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، لا يشك في ذلك إلَّا من لحقته الشياطين، فنجست عقله ولوثت فؤاده، وانخرط في صف النفاق، نعوذ بالله تعالى من كآبة المنظر وسوء المنقلب.

عليٌّ عليه السلام لمن جهله، بُني الإسلام بسيفه، وخط علومه بسعة عقله، هو من أودع فيه خاتم النبيين صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ما يحتاجه الناس من بعده، فكان بحق مصداق قوله لابنته فاطمة: «**زوجتك خير أُمَّتي، أعلمهم علماً، وأفضلهم حلماً، وأولهم سلماً**» (١١٧).

وعليٌّ عليه السلام الذي سماه الله تعالى في كتابه بخير البرية، لا يمكن أنْ تتخلف عنه فضيلة من الفضائل، ولا أنْ تتأخر عنه ملكة من الملكات السامية، ولا أنْ تتراجع عن مقامه صفة من الصفات، ولا أنْ يشاركه في ذلك كلِّه أحد، باستثناء النبيِّ الأعظم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

مضى خير البرية إلى بارئه، تاركاً لنا من حياته العظيمة، والمليئة بالحركة والعمل،

والمضيئة بأنوار الحكمة والتقوى، مواقف وأمثلة، لتكون لنا منها دروساً وعبراً، نسدُّ بها ثلمات أنفسنا الأمارة بالسوء، ونتقوى بها على ما بقي لنا من عمر.

وجدت في أحد الكتب إشـــارة لطيفة من إشـــارات الوحي، تنفع القلوب التي لم تهتد إلى معرفة حق عليٍّ، ومقام عليٍّ، وشـخص عليٍّ عليه السـلام، رأيت أنْ أبثها في هذه العجالة، لعلّها تكون مفتاح أقفال بعض القلوب التي لم يصبها العمى:

يقول ناقل الإشـــارة: إذا جمعنا الحروف المتقطعة من القرآن الكريم، ثمَّ أســـقطنا المكرر منها، بقي من منها أربعة عشر حرفاً تتألف منها الجمل التالية:

(عليٌّ صراط حق نمسكه) **(صراط عليٍّ حق نمسكه)** **(حق عليٍّ صراط نمسكه)**

ذلك هو الصــراط المســتقيم الذي أراد البارئ تعالى أنْ نمســكه، ونتولاه من بعد نبوة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فمن عرف حق عليٍّ عليه السلام، فقد عرف الله ورســـوله، ومن لم يعرف علياً عليه الســـلام، فعليه أنْ يراجع دينه ونفســـه قبل فوات الأوان.

هجرة الفواطم

من ضـــمن الأحداث التاريخية المهمة، والتي تعتبر أهمّ سمة، ميّزت طور البدء في بناء المجتمع والدولة الإسلامية، هجرة عليٍّ عليه السلام بالمستضعفين، والتي اصطلح عليها بهجرة الفواطم.

هـذه الهجرة مرّت وراء الكواليس، دون أنْ تعطى حقها الـذي تســتحقه من الاهتمام، والنقل لوقائعها، التي كان الوحي يتتبعها، موقفاً تلو الآخر.

أهمية هجرة عليٍّ عليه السلام، تكمن في بقاء النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في بني عمرو بن عوف في قبا، قريباً من المدينة، وكان قد وصلها بعد جهد، كما ذكر الحلبي في سـيرته، بضـع عشـرة ليلة ناقلاً ذلك عن البخاري، وعن ابن عقبة اثنتين وعشـرين ليلة، وأربع عشــرة ليلة نقلاً عن مســلَّم[١١٨] ينتظر قدوم أخيه بالمؤاخاة في مكة، وابن عمِّه وربيب وحيه، ومسـتودع علمه، والذي كان له شـأن كبير خلال تلك الفترة، فقد كان العين والساعد والعقل، والروح المبذولة في سبيل الله تعالى، وكان وراء كلِّ صغيرة وكبيرة، همّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ودعوته لله تعالى.

أخّر رسـول الله صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم دخوله إلى المدينة، إلى حين وصـول عليٍّ وفاطمة عليهما السلام، ومن معهما من الأهل والمستضعفين، رغم إلحاح البعض عليه بالدخول إليها، ممّا يعطي انطباعاً واضــحاً، دلَّ على قيمة عليٍّ عليه الســلام، ومكانته عند الله تعالى، وعند رسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وهذا الانتظار أشّر إلى مقام مهم، اجتهد أعداء عليٍّ لإخفائه عن المسلمين، والقفز عليه تصغيراً لحدث اكتسى أهمية لمن ألقى السمع وهو شهيد.

ذكر الحلبي في ســيرته: ..قام عليٌّ عليه الســلام ينادي بالأبطح: من كان له عند رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وديعة، فليأت تؤدى إليه أمانته. فأدّى ما كان عند رســول الله صــلَّى الله عليه وآله وســلَّم من ودائع، ولمّا ورد عليه كتاب رســول الله بالشــخوص إليه، ابتاع ركائب، وقدم ومعه الفواطم، ومعه أُمُّ أيمن وولدها أيمن، وجماعة من ضــعفاء المؤمنين(١١٩).ولما قدم عليٌّ من مكة، كان يســير الليل ويكمن في النهار، حتى تفطرت قدماه، فاعتنقه النبيُّ صــلَّى الله عليه وآله وســلَّم، وبكى رحمة لما بقدميه من الورم، وتفل في يديه، وأمرّهما على قدميه فلم يشكوهما بعد ذلك(١٢٠).

وبتفصيل أكثر، ذكر السيد محسن الأمين في موسوعته (أعيان الشيعة) نقلاً عن عدد من المصادر قال: أوصى النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم علياً عليه السلام، بحفظ ذمته وأداء أمانته، وكانت قريش تدعو محمداً في الجاهلية الأمين وتودعه أموالها، وكذلك من يقدم مكة من العرب في الموســم، وجاءته النبوّة والأمر كذلك، فأمر علياً أنْ يقيم

منادياً بالأبطح غدوة وعشية: «**ألا من كانت له قبل محمد أمانة، فليأت لتؤدّى إليه أمانته**»، وقال: «**إنَّهم لن يصــلوا إليك بما تكرهه حتى تقدم عليَّ، فأدِ أمانتي على أعين الناس ظاهراً، وإنِّي مســتخلفك على فاطمة ابنتي، ومســتخلف ربِّي عليكما**»، وأمره أنْ يبتاع رواحل له وللفواطم، ومن أراد الهجرة معه من بني هاشـــم وغيرهم، وقال له: «**إذا قضــيت ما أمرتـك، فكن على أهبـة الهجرة إلى الله ورســولـه، وانتظر قـدوم كتـابي إليـك، ولا تلبـث بعده**»[١٢١].وأضاف قائلاً:

ثمَّ كتب رســول الله صــلَّى الله عليه وآله وســلَّم إلى عليٍّ، مع أبي واقد الليثي، يأمره بالمســير إليه، وكان قد أدّى أماناته، وفعل ما أوصــاه به، فلمّا أتاه الكتاب، ابتاع ركائب، وهيأ للخروج، وأمر من كان معه من ضعفاء المؤمنين، أنْ يتسللوا ليلاً إلى ذي طوى، وخرج عليٌّ عليه السلام بالفواطم: فاطمة بنت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وأُمُّه فاطمة بنت أسد بن هاشم، وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب، وزاد بعض المؤرخين فاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب، وتبعهم أيمن ابن أُمِّ أيمن مولى رســـول الله صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم، فجعل أبو واقد يسـوق الرواحل سـوقاً حثيثاً، فقال عليٌّ عليه الســلام لأبي واقد: «**أرفق بالنسـوة يا أبا واقد، إنَّهن من الضـعائف**»، ثمَّ جعل عليٌّ عليه السلام يسوق سوقاً رفيقاً.

فلمّا قارب ضجنان أدركه الطلب، وهم ثمانية فرسان ملثمون، معهم مولى لحرب بن أُمية اسمه جناح، فقال عليٌّ عليه الســلام لأيمن وأبي واقد: «**أنيخا الإبل وأعقلاها**»،

وتقدم فأنزل النسوة، ودنا من القوم فاستقبلهم عليٌّ عليه السلام منتضياً سيفه، فقالوا: ظننت أنَّك يا غدار ناج بالنسوة، ارجع لا أبا لك. قال: «**وإنْ لم أفعل؟**» قالوا: لترجعن راغماً، أو لترجعن بأكثرك شعراً، وأهون بك من هالك. ودنوا من المطايا ليثيروها، فحال عليٌّ عليه السلام بينهم وبينها، فأهوى له جناح بسيفه فراغ عن ضربته، وضرب جناحاً على عاتقه فقدّه نصفين، حتى وصل السيف إلى كتف فرسه، والظاهر أنَّ جناحاً لما أهوى له بالسيف انحنى، لأنَّ الفارس لا يمكنه أنْ يضرب الراجل إلَّا وهو منحن، فضربه عليٌّ عليه السلام وهو على تلك الوضعية، ولو لم يكن منحنياً لم تصله ضربته على عاتقه، وشدَّ على أصحابه وهو على قدميه شدّة ضيغم، ففرق القوم عنه، وقالوا: احبس نفسك عنا يا بن أبي طالب، قال: «**فإنِّي منطلق إلى أخي وابن عمِّي رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فمن سرّه أنْ أفري لحمه وأُريق دمه فليدن مني**».

ثمَّ أقبل على أيمن وأبي واقد وقال لهما: «**أطلقا مطاياكما**». ثمّ سار ظافراً قاهراً، حتى نزل ضجنان، فلبث بها يومه وليلته، ولحق به نفر من المستضعفين من المؤمنين، فيهم أُمُّ أيمن مولاة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وبات ليلته تلك هو والفواطم، طوراً يصلون، وطوراً يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، حتى طلع الفجر، فصلَّى بهم صلاة الفجر، ثمَّ سار لا يفتر عن ذكر الله هو ومن معه، حتى قدموا المدينة، وقد نزل الوحي بما كان من شأنهم قبل قدومهم، بقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا

وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (١٩٢) رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (١٩٤) فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾(١٢٢). وصل عليٌّ عليه السلام إلى قبا، حيث مكث النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ينتظر قدومه، ولما جاء البشير بنبأ وصول عليٍّ عليه السلام، خرج النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لاستقباله، وفرح بذلك فرحاً كبيراً، ودخل المدينة، بعد أنْ استكمل عناصر هجرته ووفادته المباركة.

تميز خروج الإمام عليٍّ عليه السلام مهاجراً إلى الله ورسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، عن غيره بالجرأة، فقد تحدى قريشاً بأسرها وحده، وتحرك لأداء الودائع التي كان يؤمنها النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وأعدَّ العدَّة للخروج، ثُمَّ خرج في واضحة النهار، وسجل له التاريخ بذلك موقفاً لم يتسنَ لغيره، وكان سبباً في سلامة ابنة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ومن كان معها من النساء، مضافاً إلى ذلك، لحاق البقية الباقية من المؤمنين المستضعفين به، وكانوا لا يجرؤون على الخروج، خوفاً من بطش

قريش، وكان فضل عليٍّ عليه السلام، في أنَّه أتاح لهم سبيل الهجرة، تحت حمى سيفه البتار، فأنسوا بصحبته وأمنوا، واقتدوا به في عبادته، فأثنى الله تعالى عليهم في محكم تنزيله، ولم يهنأ لعليٍّ عليه السلام بال، ولم يهدأ له خاطر، حتى أوصلهم إلى حيث النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم سالمين.

لم يأبه عليٌّ عليه السلام لما لقيه من جهد وتعب وألم، فلا تورم قدميه أثناه على التوقف، ولا الدماء التي كانت تسيل منها، أوقفت مسيرته الكبرى، ومع ذلك كان رفيقاً بمن كان معه من المستضعفين، يحيطهم بالرعاية والعناية، ويقف على شؤونهم، مثلما كان يفعل دائماً في مكة قبل الهجرة.

ظهور عليٍّ عليه السلام، وجلاء شخصه، وسطوع نجمه، أكبر من أنْ يأتي عليها كيد شياطين الإنس، وحبّ عليٍّ عليه السلام لا يستقر، إلَّا في القلوب التي وعت علياً، وخبرت مقامه.لذلك أقول بلا تحفظ: من توازي هجرته من حيث الفضل والقيمة هجرة عليٍّ عليه السلام؟ الجواب طبعاً: لا أحد.

وعليٌّ عليه السلام يقوم وحده، ولا يحتاج إلى من يقيمه، بينما غيره لا يقومون بأنفسهم، وهم محتاجون إلى من يقيمهم ويكون معهم، ولله درُّ الخليل بن أحمد، عندما سئل ما الدليل على إمامة عليٍّ عليه السلام؟ فقال: استغناؤه عن الكلِّ، واحتياج الكلِّ إليه، دليل على إمامته.ومن ذلك نفهم أنَّ علياً عليه السلام لا يقاس به أحد، با ستثناء النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وكلُّ من قايس علياً عليه السلام بغيره، فقد

جهله، ولم يعرف له فضــلاً ولا مكانةً، ومن جهل علياً فقد جهل النبيَّ صــلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ومن جهل النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقد جهل الله تعالى، ومن كان على هذه الشاكلة، فهو لا يعرف من الإسلام ما يصلح به دنياه وآخرته.

لا سيف إلَّا ذو الفقار ولا فتى إلَّا عليٌّ

بنيت عز الإسلام بجهدك، وعقلك، وعرقك، ومعاناتك، وثّبتّ قواعده بسيفك ضربة ضربة، وخطوة خطوة، ولولاك، ولولا سيفك يا عليٌّ، لما قامت للإسلام قائمة، هكذا قال أخوك النبيٌّ الأكرم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ورددها على الملأ من المسلمين شـــهادة، عبر التاريخ الإســـلامي، لتكون المعول الذي يهدم كلَّ تطاول عليك وعلى حقك.

كذلك ردّد جبريل عليه الســلام يوم المهراس: «**لا سـيف إلَّا ذو الفقار ولا فتى إلَّا علي**»(١٢٤).

كنت وحدك في ســوح الوغى، ولو قدّر للصــورة أنْ تكون حاضــرة في أذهان المســلمين على مدى أجيالهم، لتعجبوا اليوم.. ولاســتغربوا من الذين قاموا مقامك، وأزاحوك عن موضــعك، من غير وجه حق، وهم في واقع الأمر لا يقاســون بمن هم دونك.. لا أحد معك ســوى الذي أرســله الله تعالى رحمة للعالمين.. يلاحقك بدعائه، وبسيفه إذا حمي الوطيس، وفرّ المتأسلمون.

اجتهد الظالمون في إعفاء آثارك، وتعمية جهودك التي بذلتها من أجل إعلاء كلمة الله تعالى، فوقفوا في وجه كلِّ من حاول اتباع آثارك، وتحسس مآثرك، لمن اتبع وصية النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، كعمار بن ياسر، ولمَّا كان الناس على دين ملوكهم، فقد تقلصت مساحة معرفتهم بك، فغبت عن قلوبهم، ولم يعد لديهم تمييز بين ما روّجه المحرفون للكلم، وبين حقيقتك الساطعة كالشمس.

لقد عمل أعداؤك الأوائل على سلبك، حتى من الثوابت والمسلَّمات، التي بها بني الإسلام وتأسس، من ذلك مثلاً، أنَّهم حاولوا تغييبك عن غزوة بدر، وما بدر جلّها إلَّا بدرك، الذي سطع بنوره فيها، ولصولاتك التي شكلت نصر المسلمين على أعدائهم من مشركي قريش.

ذكر ابن الأثير: سأل رجل البراء بن عازب: أشهد عليٌّ بدراً؟ فقال: بارز وظاهر(١٢٥)، وفي مورد آخر: ويحك وهل بدر إلَّا له.

ما قيمة بدر لو لم تكن فيها؟ فبدر قد سطرت في أرجائها ملاحم وبطولات، كأنَّما كنت وحيداً فيها، واستولى ساعداك على جميع تفاصيلها، وتربع قلبك يا مولاي على عرشها، فلم يرَ في ذلك اليوم سيف أعلى من سيفك، ولا هام أرفع من هامتك، ولا بلاء أبلى من بلائك، وكأنِّي بها تقول بلسان فصيح لا لبس فيه، تعيه كلُّ أذن واعية، بدر الكبرى أو بدر القتال كلّها لك يا عليُّ، وإنْ حاولوا حجب شمسك فيها، فإنَّ سحابة تحريفهم، عاجزة عن حجب نورك، الذي سطع في حمى وطيسها، فاستولى

على المشـــهد كلِّه.لقد كنت وحدك جبهة.. وانفردت كتيبة، وكان بقية المســـلمين جبهة أُخرى.. لقد كنتم ثلاثمائة وثلاثة عشـر رجلاً، ثلاثمائة واثنا عشـر رجلاً في كفة، وأنت يا سـيدي في كفة ثانية.. ومع ذلك لم يستطيعوا إلَّا مقاسمتك قتلى المشـركين.. فهل بعد ذلك من بيّنة تقدّم إلى هؤلاء العميان، لعلَّ الغشاوة تنجلي عنهم؟

ويمضي عليٌّ عليه السلام قدماً إلى الله تعالى، في مسيرة قلَّ مثيلها، وبعد زواجه المبارك، وبعد الكرِّ والفرِّ الذي حصل مع مشركي قريش في غزوة السويق، وغيرها من المناوشات، وكتب العباس بن عبد المطلب إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، يخبره بما أعدّته قريش لمحاربته[١٢٦].

ولما قرئ عليه الكتاب اســـتكتم الخبر، ثم جاءت الأنباء عن تحرك المشـــركين، ووصولهم إلى نواحي المدينة، وكان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يرى عدم الخروج، وأنْ يناجزهم وهو متحصن بالمدينة، أصوب من الخروج للقاء العدو، لكنَّ الحماسة التي تملكت عدداً من الفتية، دفعتهم إلى طلب الخروج من النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، والإلحاح عليه في ذلك، بعدما سمعوا رأيه في البقاء وعدم الخروج، وإزاء تصـلـب موقف المصـرّين على الخروج، دخل النبيُّ صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم حجرته، وبحلول أهل الرجاحة والعقل، تلاوم القوم على عدم الأخذ بنصـيحة النبيِّ صـلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وقرروا إعادة الأمر إليه.

خرج النبيُّ صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم من حجرته، وهو لابس لامة الحرب، فكلمه بعضهم معتذراً، طالباً العودة إلى مقترحه، لكنَّه أجابهم قائلاً: «**ما ينبغي لنبيٍّ إذا لبس لامته، أنْ يضعها حتى يقاتل**»(١٢٧).

كان ذلك الموقف الذي صدر من بعضهم، أول معارضة تتم في وجه النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، دلّت على أنَّ قسماً كبيراً من الصحابة، تعامل معه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، على أساس أنَّه بشر مثلهم، يحق لهم معارضته، ومقارعة رأيه بآرائهم، وليس باعتبار أنَّه معصوم عن الخطأ، بدليل ما جاء في حقه من الآيات البيِّنات ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾(١٢٨) ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾(١٢٩)، وما سطّرته سيرته العطرة من مواقف شهدت بعصمته.خرج النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في ألف من أصحابه، ومعهم فرسان، لكنَّهم لم يقطعوا مسافة قصيرة، حتى حدثت بلبلة في صفوف أصحابه، فأحد زعماء النفاق، وهو عبد الله بن أبي سلول، لم يعجبه خروج النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وكان يرى البقاء في المدينة خيراً من الخروج منها، ليس نصحاً منه في الدين، وإنَّما كان من المتثاقلين عن القتال، والبقاء بالمدينة يجنبه مواجهة المشركين، فكان يقول في الطريق: عصاني وأطاع الولدان، ومن لا رأي له، سيعلم، ما ندري علام نقتل أنفسنا، ارجعوا أيّها الناس، ارجعوا (١٣٠). فلم يرجع حتى أعاد معه إلى المدينة ثلاثمائة رجل، وبذلك فقد المسلمون ثلث عددهم.

خرجت قريش في ثلاثة آلاف رجل بكامل عدّهم، يقودهم أبو سفيان، ومائتي

فرس وثلاثة آلاف بعير، وخرج من النسوة خمس عشرة امرأة، على رأسهن هند بنت عتبة، حتى إذا شارفوا المدينة، نزلوا بذي الحليفة، وأطلقوا دوابهم على زروع أهل المدينة، فأتت عليه خيولهم وإبلهم.

وكانت هند بنت عتبة قد أصرّت على مرافقة زوجها وجماعته، وحرضت عدداً من المشركات، ممّن وترن في أرحامهن لكي يصحبنها، واستطاعت أنْ تجمع حولها خمس عشرة امرأة، كلّهن يردن الثأر لقتلاهن يوم بدر، وقد أجّرت هند عبداً اسمه وحشي، ليقتل لها النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، أو علياً عليه السلام، أو حمزة عليه السلام، لكنَّ وحشياً أقرَّ بعجزه عن الوصول إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، لكثرة الأتباع حوله، واستحالة نيله من عليٍّ عليه السلام، لأنه فتى سريع الحركة، ولا يستطيع مجاراته في حركاته، أمَّا حمزة عليه السلام، فقد رأى في نفسه إمكانية النيل منه، لأنَّه بطيء الحركة، نظراً لتقدمه في السن، وأبرمت صفقة قتل حمزة مقابل عتقه.وصل المسلمون إلى أرض المعركة، ورأى النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنْ يكون جبل أُحد خلفه، وأعطى الراية كعادته لعليٍّ عليه السلام، وعقد ثلاثة ألوية للمهاجرين وللأنصار، الأوس والخزرج.

عندما شاهد النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، خيالة المشركين قبالته، عن ميمنة المشركين وعن ميسرتهم، تفطن إلى الخطر الذي تشكله، لو حيد منها عن المعركة، والتف بها المشركون وراء جيش المسلمين من جهة جبل أُحد، وقبل أنْ تبدأ المعركة،

أمر بأنْ يجعل خمسين رامياً على الجبل خلف ظهورهم، وأمّر عليهم عبد الله بن جبير، وقال له: «**انضح الخيل عنا بالنبل، لا يأتوننا من خلفنا، فإنَّ الخيل لا تقدم على النبل، واثبت مكانك، إنْ كانت لنا أو علينا، فإنَّا لا نزال غالبين ما مكثتم مكانكم**».

وزيد في رواية «**إنْ رأيتمونا غنمنا، فلا تشركونا، وإنْ رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا**». ولم يتحول النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عنهم، إلَّا بعد أنْ أكّد على أهمية ملازمة الرماة لمراكزهم..(١٣١).بدأت المعركة وحمى وطيسها ودارت رحاها، وكان أقطابها عدداً من أجلاء الصحابة، حمزة بن عبد المطلب، وأبو دجانة الأنصاري، سهل بن حنيف، مصعب بن عمير... وعلى رأسهم عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام.

أمَّا أسد الله وأسد رسوله حمزة عليه السلام، فقد كان بحق جبلاً تكسرت عليه هجمات المشركين، ورغم تقدمه في السن، أبلى بلاءً حسناً، ولم يقتل إلَّا عندما تحين منه وحشي هند الفرصة، في عثرة عثرها، فأصابه في أسفل بطنه بالرمح، فسقط أرضاً وهو يحاول الإمساك بقاتله، وفاز بالشهادة.

أمَّا أبو دجانة فقد وفى بما عاهد عليه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، عندما سلَّمه سيفاً على أنْ يضرب به العدو حتى ينحني السيف، وكان فارساً مقداماً، فقاتل به حتى انحنى.وأمَّا عليٌّ عليه السلام، فقد قتل طلحة بن أبي طلحة، الملقب بكبش الكتيبة، صاحب راية المشركين، فلمّا سمع النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بمقتله، كبّر تكبيراً عالياً، وكبّر المسلمون بتكبيره (١٣٢).

وكان كلّما ارتفع لواء المشـركين بعد سـقوطه، بادر عليٌّ عليه السـلام حامله فقتله، فقتل من بني عبد الدار وحدهم سبعة رجال أشداء، حتى سقط اللواء، ولم يجرؤ أحد على الاقتراب منه، فانهزم المشركون، وفروا لا يلوون على شيء، ولّما رأت نسوة المشركين ما حلَّ برجالهن، شمّرن عن سيقانهن، وأطلقناها للريح خوفاً من السبي (١٣٣).

ولما انهزم المشركون، ورأى الرماة من على الجبل فرار أعدائهم، وتتبع أصحابهم لهم، أرادوا النزول عن الجبل لجمع الغنائم، فانبرى لهم بعض العقلاء، ممّن وعى كلام النبيِّ صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم، وأوامره الجازمة في عدم إخلاء الجبل، فلامهم على عزمهم، لكنَّهم أصـرّوا على مغادرة الجبل، عندها قام عبد الله بن جبير فيهم خطيباً، مذكراً إياهم بمقالة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وبالسمع والطاعة له، فهو لا يزال أميرهم، فعصوه ونزلوا من الجبل من أجل الغنيمة، ولم يبقَ مع عبد الله بن جبير سوى نفر لا يتجاوزون العشرة، وفي ذلك نزلت الآية: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾(١٣٤).

كان خالد بن الوليد على رأس خيالة المشـركين، يتحين فرصـة إخلاء الجبل من الرماة، بعد أنْ حاول أكثر من مرّة اجتيازهم فصـدّوه، ولما شـاهد نزول أغلب الرماة طلباً للغنيمة، التف على المسـلمين بخيله من ناحية الجبل، فلم يصـمد أمامه الرماة

الباقون وماتوا عن آخرهم، وبذلك بدأت هزيمة المسلمين في تلك المعركة، وخلال برهة وجيزة، ترك الباحثون عن الغنم غنائمهم وأسراهم، لمّا داهمتهم خيل المشركين، ففروا لا يلوون على شيء بفعل المفاجئة، تاركين أرض المعركة.انهزم المسلمون، ودارت عليهم الدوائر، بسبب نزول الرماة من مراكزهم، ففريق منهم حاف على أصحابه، فجعل يقتل منهم، وفريق فرَّ إلى المدينة، وفريق فات المدينة في فراره، ولم يعد إليها إلّا بعد ثلاثة أيام، ومن هؤلاء عثمان بن عفان، والوليد بن عقبة، وخارجة بن زيد، ورفاعة بن معلى، إلى حدٍّ تندر بهم النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وقال لهم لما رجعوا: «**لقد ذهبتم فيها عريضة**»، وفريق لجأ إلى أعلى جبل أُحد، هرباً من القتل أو الأسر، وفي هؤلاء أبو بكر وعمر، وعدد كبير من المهاجرين، وقد نقل عن بعضهم قول: ليت لنا رسولاً إلى عبد الله بن أبي سلول، ليأخذ لنا أماناً من أبي سفيان، يا قوم إنَّ محمداً قد قتل، فارجعوا إلى قومكم قبل أنْ يأتوكم فيقتلوكم(١٣٥).

وقد أخرج الطبري نزول الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾(١٣٦) في هؤلاء الفارين.

كلُّ هؤلاء تفرقوا عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، رغم أنَّه كان يناديهم واحداً واحداً، لكن مع الأسف الشديد، أحجم أصحاب السير والتاريخ عن ذكر أسمائهم، إمعاناً منهم في تقديس الصحابة، والتهيب من ذكر ما يحطّ من مكانة الفارين

منهم، والذين لم يذكر لهم التاريخ أثراً، يرفعهم إلى المقام الذي أوصلهم إليه معاوية وبنو أُمية بأكاذيبهم، فكان غاية ما هنالك أنَّهم ألصقوهم بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلصاقاً كأنَّما، لا يمكنه أنْ يقوم بأمر إلَّا وهؤلاء معه، فالحلبي مثلاً نقل إلينا قول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كالآتي: «**يا فلان إليَّ.. يا فلان أنا رسول الله**». فما يعرج إليه أحد، والنبل يأتي إليه من كلِّ ناحية(١٣٧).

في ذلك اليوم استبسل النبيُّ في الذبِّ عن دينه، فكان مقتل أعدى أعدائه أُبي بن خلف على يديه، لكن تكاثر المشركين عليه، وسقوطه في حفرة أثر فيه، فجرح عدّة جراحات، وأُدمي وجهه الشريف، وما إنْ سقط النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في الحفرة، حتى هب عليٌّ عليه السلام، فأخذ بيده الشريفة، وأقامه هو وطلحة بن عبيد الله.ولم يبقَ مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم غير عليٍّ عليه السلام، وأبي دجانة ومن ذكرنا سالفاً، بينما لاذ الباقون بالفرار.

بعد أنِ انهزم المسلَّمون عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وثبت أمير المؤمنين عليه السلام، قال له النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم،: «**لماذا لا تذهب مع القوم؟**» قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**أذهب وأدعك يا رسول الله، والله لا برحت حتى أُقتل، أو ينجز الله لك ما وعدك من النصرة**».

فقال له النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أبشر يا عليُّ فإنَّ الله منجز وعده، ولن ينالوا منا مثلها أبداً**». ثمَّ نظر إلى كتيبة أقبلت إليه، فقال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لو**

حملت على هذه يا عليُّ»، فحمل أمير المؤمنين عليها، فقتل منها هشـــام بن أُمية المخزومي وانهزم القوم، ثمَّ أقبلت كتيبة أُخرى، فقال له النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم «**احمل على هذه، فحمل عليهم**»، فقتل منها عمرو بن عبد الله الجمحي، وانهزمت أيضـــاً، ثمَّ أقبلت كتيبة أُخرى، فقال له النبيُّ صـــلَّى الله عليه وآله وســـلَّم «**احمل على هذه**»، فحمل عليها، فقتل بشـــر بن مالك العامري وانهزمت، ولم يعد بعدها أحد منهم، وتراجع المنهزمون من المسلمين(١٣٨).

أبصر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم جماعة من المشركين، فقال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لعليٍّ عليه السلام: «**احمل عليهم**»، فحمل عليهم وفرقهم وقتل منهم، فقال جبريل: «**يا رسول الله هذه المواساة**». فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّه منّي وأنا منه**».

فقال جبريل عليه السـلام: «**وأنا منكما**». فسـمعوا صـوتاً: «**لا سيف إلَّا ذو الفقار ولا فتى إلَّا عليّ**»(١٣٩).

وأخرج الطبري عن أنس بن النضـــر عمّ أنس بن مالك، أنَّه انتهى إلى عمر بن الخطاب، في رجال من المهاجرين والأنصار وقد ألقوا أيديهم، فقال ما يجلسكم؟ قالوا: قتل محمّد رسـول الله، قال: فما تصـنعون بالحياة من بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه، ثمّ قاتل حتى قتل(١٤٠).

لقد كان أنس بن النضر رضي الله تعالى عنه، الحافز الذي أعاد رشد بعض الفارين من الصحابة، فبادروا إلى أرض المعركة، يطلبون الشهادة.عن سعيد بن المسيب قال: لقد أصابت علياً يوم أحد ست عشرة ضربة كلُّ ضربة تلزمه الأرض، فما كان يرفعه إلَّا جبريل عليه السلام[١٤١].

ولو أنَّ مؤمناً أمعن النظر في الأجواء التي ختمت معركة أُحد، لتبين له مقام عليٍّ عليه السلام فيها، ومواساته بنفسه النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعد فرار الناس عنه، جهد فاق طاقته، إلى الحدِّ الذي استوجب تدخل جبريل عليه السلام.

هذا وقد عدّ ابن هشام في سيرته قتلى المشركين في أُحد اثنين وعشرين رجلاً، قتل منهم عليٌّ عليه السلام اثني عشر رجلاً، فيكون عليه السلام قد قتل وحده في أُحد أكثر من نصف المشركين، وبالتالي لا يبقى مجال لمرتاب، في أنَّه قد قتل فعلاً في بدر نصف المشركين.

أمَّا عدد القتلى من المسلمين، فقد كان سبعين شهيداً، أربعة من المهاجرين وهم: حمزة بن عبد المطلب، ومصعب بن عمير، وعبد الله بن جحش، وشماس بن عثمان، وستة وستون من الأنصار[١٤٢].

لما رجع النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى المدينة، دفع سيفه ذا الفقار لابنته فاطمة عليها السلام، وقال: «**اغسلي عنه دمه، لقد صدقني اليوم**»، وناولها عليٌّ عليه

السلام سيفه وقال: «**وهذا فاغسلي عنه دمه، فوالله لقد صدقني اليوم**»(١٤٣).

وانبرى ابن تيمية -كعادته- على ما حكاه الحلبي، راداً هذه الرواية، بدعوى أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لم يقاتل يوم أُحد بسيف، ولمّا لم يتعقب الذهبي الحديث، ففي ذلك ردٌّ على ابن تيمية، بأنَّ تشكيكه لا وزن له(١٤٤).

وكما هو معلوم، فإنَّ ابن تيمية دأب على ردِّ الأحاديث التي تتعلق بفضائل عليٍّ عليه السلام خصوصاً، وأهل بيت النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عموماً، لبغضٍ وضغينةٍ في صدره، لا يعلم من أين ورثها، ويكفي الرجل إركاساً في باطله، أنَّه كان محلَّ امتحان واستتابة من معظم علماء عصره، وتلميذه الذهبي أول المعارضين له والناصحين لحاله، وقد ألفت رسائل في هذا الخصوص، وجهت إلى الأُمَّة محذرة من أفكاره الشاذة، في التوحيد وفي النبوّة، وفي غيرها من معتقدات الإسلام، التي أراد الرجل أنْ يمضيها على هواه، فليرجع إليها من أراد الوقوف على حال الرجل، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله العليِّ العظيم

لو لم يكن عليٌّ لما كان لفاطمة كفؤ[١٤٥]

ما إن انتهت غزوة بدر، وانصــــرف المســـلمون إلى المدينة، وقتل من قتل من الأسرى، بسبب تطاولهم على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وفدي من فدي منهم، وأُطلق ســـراح من أُطلق، وقســـمت الغنائم، حتى جاء موعد لم يكن منتظراً، كأنَّما هو الجزاء الذي أراد المولى ســـبحانه وتعالى، أنْ يكافئ به علياً عليه الســـلام، بعد الإنجاز العظيم الذي حققه في بدر، فمناصـفته وحده لقتلى المشـركين، في أول مواجهة واسـعة بين الإسلام والشرك، عمل لم يكن متاحاً إلَّا لأولياء الله المخلصين، وصفوته المقربين، وها هي فاطمة الزهراء عليها السلام قد بلغت من السن ما أهّلها للزواج، وأدار رقاب الطامعين في مصاهرة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إليها، والفوز بقربه، لكلٍّ مطمحه وأمله، وقد تقدم لخطبتها عدد كبير من الصـحابة، منهم أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف، وغيرهم ممّا لا يسـع المجال لذكرهم والإتيان عليهم، وكان النبيُّ صـلَّى الله عليه وآله وسلَّم في كلِّ مرَّة يردُّ الخاطب رداً جميلاً بقوله: «**انتظر أمر الله عزَّ وجلَّ**»[١٤٦].

حتى إذا استوفى الطامعون عددهم، وانقطعت آمالهم في الظفر بالمصاهرة المرجوة،

والتي كان كلٌّ واحد من أولئك الطامعين، يريد من ورائها الوصــول إلى غايته وتحقيق مبتغاه، التفتوا إلى أنَّ هناك شخصاً هو الأقرب للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله و سلَّم، ومع ذلك لم يجارهم في مساعيهم، فبقي بعيداً عن الطلب، هادئاً غير ملتفت إلى ما يصله من أخبار، تعدد خطّاب الزهراء عليها السـلام، ولم يصـدر منه حديث إلى أحد بذلك الخصوص.

وسط كلِّ تلك المحاولات، ظلّ عليٌّ عليه السلام صامتاً، لا يحرك ساكناً، ولا يبدي شعوراً بالامتعاض من أحد من الخاطبين، كأنَّما هو متأكد بأنَّ أحداً غيره لا يمكنه أنْ يفوز بقلب الزهراء عليها السلام.

إذا لم يبقَ هناك غير عليٍّ عليه السـلام لم يتقدم خاطباً، فذهب إليه بعضـهم ليتحسس رغبته، ليدفعوه إلى طلب يد فاطمة الزهراء عليها السلام من النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، أملاً منهم في ردِّه كما رجعوا، لذلك فإنَّنا لّما نقف على حقيقة دفائن صدور الذين غصبوا حق أمير المؤمنين في قيادة الأُمَّة، ندرك جيداً أنَّ غايتهم في تحريضه وحثِّه على طلب يد فاطمة عليها السلام، لم تكن حباً في عليٍّ عليه السلام، ولا لأنَّهم رأوه أكفأهم بها، إنَّما كانوا يأملون بدفعه لطلب الزهراء عليها السـلام زوجة له، أنْ يردَّه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كما ردَّهم، فيحيا أملهم من جديد.

وعليٌّ عليه السـلام على الرغم من مكانة الصـديقة الطاهرة عنده، لم يكن ذا فكرة في الزواج، فقد شـغله وملك عليه عقله وقلبه ووقته، العمل في بناء الدولة

والمجتمع المسلمين، وكانت فكرته منصبة على ما يخص ذلك التوجه.

وما إنْ عرضت عليه مسألة الزواج، حتى تغير وجهه حياءً، لكنَّه أجابهم بأنَّه لا يملك من حطام الدنيا، ما يؤهله لكي يفتح بيتاً، فردّوا عليه بقولهم: ما ضرّك لو سألت النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وطلبت منه ابنته؟ومع إلحاحهم، ونزولاً عند إصرارهم، لم يجد عليٌّ عليه السلام بُداً من التوجه إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، متردداً خجلاً.

دخل عليٌّ عليه السلام على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، على غير عادته، متردداً لا يدري ماذا سيقول، وبأيِّ كلام يبدأ، واستقبله النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كعادته، كلَّما دخل عليه بالترحاب والإكبار، ولّما أجلسه وبقي صامتاً، ابتدأه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالحديث، مشجعاً إياه على الإفصاح عمّا جاء من أجله، ورسول الله أعرف بما يريد عليٌّ عليه السلام، وقال أخيراً للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أتزوجني ابنتك فاطمة يا رسول الله؟**» فقال له النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مرحباً وأهلاً**».

ثمّ إنَّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم دخل على ابنته فاطمة عليها السلام، وقال لها: «**إنَّ عليَّ بن أبي طالب ممّن قد عرفت فضله في الإسلام، وإنِّي سألت ربِّي أنْ يزوجك خير خلقه وأحبّهم إليه، وقد ذكر من أمرك شيئاً فما ترين؟**» فسكتت، فخرج النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وهو يقول: «**الله أكبر سكوتها إقرارها**»[١٤٧].

رجع النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فأعلمه بموافقة فاطمة للزواج به، وسأله عمّا معه، فقال عليٌّ عليه السلام معي فرسي ودرعي، فقال له النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أمَّا فرسك فلا بُدَّ لك منها، وأمَّا درعك فبعها**»(١٤٨).

خرج عليٌّ عليه السلام من عند رسول الله بوسام جديد، وخاصية اجتهد الصحابة إلى بلوغها فلم يفلحوا. ولقد عاتبه بعض ممّن كان رفضت خطبتهم، على إيثاره علياً عليهم فأجابهم: «**ما أنا منعتكم وزوجته، بل الله منعكم وزوجه**»(١٤٩).

وقد ذكر ابن عبد البر في ترجمة عليٍّ عليه السلام: وقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لفاطمة عليها السلام: «**لقد زوجتك سيداً في الدنيا والآخرة، وإنَّه لأول أصحابي إسلاماً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً**»(١٥٠).

فرح النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بطلب عليٍّ عليه السلام يد فاطمة الزهراء عليها السلام، وتهللت أساريره، وكان جوابه غير منتظر بالمرّة، فقد وقع على أسماع المبغضين كالصاعقة، ولم يزدهم إلَّا إركاساً في رجسهم، وبغضاً وضغينةً إلى بغضهم، وجاء الخبر إلى أسماع عليٍّ عليه السلام مثلجاً لصدره، ومفرحاً لقلبه، ولم يزده إلَّا إيماناً وتثبيتاً، وطاعةً وتسليماً.

وقد حدث ابن مسعود عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ الله أمرني أنْ أزوج فاطمة من عليٍّ**»(١٥١).

قبل النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعليٍّ عليه السلام زوجاً لمهجته وروحه، فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين[١٥٢] امتثالاً لأمر الله تعالى في إنشاء بيت يختلف عن بقية البيوت، من حيث جمعه لخصائص اجتمعت فيه كاملة، فلم تغب عنها مكرمة، فاستحق أنْ يكون مثلاً بين المسلمين في الزهد والتقوى، والقرب من الله تعالى، وزاده الخالق من فيضه وعنايته، ما أوفى به إلى منتهى الكمال البشري، وكانت آية التطهير مسك الختام في إبراز حقيقة ومقام بيت عليٍّ وفاطمة عليهما السلام، قال تعالى: ﴿..إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[١٥٣].

وكان مهرها ٥٠٠ درهم، وهو المهر الذي عليه مدار السنة في المهور، ليكون متّضعاً ومستطاعاً، لمن لا قدرة له على الغلاء.

جمع عليٌّ مهر فاطمة بعد أنْ باع درعه، وجاء بالدراهم إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ووضعها بين يديه، فأمر أنْ ينفق ثلثها في الطيب، والثلث الثاني في ثياب العروس.

أخرج ابن حجر عن أنس قال: ثمَّ دعاني النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعد أيام فقال: «**ادع أبا بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن وعدّة من الأنصار**». فلمَّا اجتمعوا وأخذوا مجالسهم، وكان عليٌّ غائباً، قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**الحمد لله المحمود بنعمته، المعبود بقدرته، المطاع بسلطانه، المرهوب من عذابه وسطوته، النافذ أمره في سمائه**

وأرضه، الذي خلق الخلق بقدرته، وميزهم بأحكامه، وأعزّهم بدينه وأكرمهم بنبيه محمد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، إنَّ الله تبارك اسمه، وتعالت عظمته، جعل المصاهرة سبباً لاحقاً، وأمراً مفترضاً، أوشج به الأرحام - أي ألَّف بينها- وجعلها مختلطة مشتبكة - وألزمها الأنام، فقال عزَّ من قائل: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ **فأمر الله تعالى يجري إلى قضائه، وقضاؤه يجري إلى قدره ولكلِّ قضاء قدر، ولكلِّ قدر أجل، ولكلِّ أجل كتاب:** ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ **ثمَّ إنَّ الله تعالى أمرني أنْ أُزوج فاطمة من عليِّ بن أبي طالب، فاشهدوا أنِّي قد زوجته على أربعمائة مثقال فضة، إنْ رضي بذلك عليٌّ»** ثمَّ دعا بطبق من بسر، ثمَّ قال: «**انتهبوا، اغنموا من الأكل منه**».

فانتهبنا، ودخل عليٌّ فتبسم النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في وجهه، ثمّ قال: «**إنَّ الله عزَّ وجلَّ أمرني أنْ أزوجك فاطمة على خمسمائة درهم، أرضيت بذلك؟**» قال عليٌّ: «**قد رضيت يا رسول الله**».

فقال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**جمع الله شملكما، وأعزَّ جدكما، وبارك عليكما، وأخرج منكما كثيراً طيباً**».

قال أنس: فوالله لقد أخرج منهما الكثير الطيب(١٥٤).نعم تحققت دعوة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، في النسل الكثير الطيب، من ذرية فاطمة الزهراء عليها السلام، و صدقت إفادة أنس، وهو الذي عاش إلى أنْ رأى فريقاً من أولئك الأطايب، وللذي لا يعرف تفسير سورة الكوثر نقول: لما شنئ العاص بن وائل - والد عمرو بن

العاص- النبيَّ صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم بأنَّه أبتر، اغتمَّ لذلك، فنزل جبريل عليه السلام مواسياً له قائلاً: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾[155] والمصداق الأساس لمعنى الكوثر، الذي أعطاه الله سبحانه وتعالى لنبيّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، لا ينصرف إلى ما أوّلوه بالحوض أو نهر في الجنة، وإنَّما يتأكد إلى المقصد المراد به الردّ على شنآن عدو الله، في أنَّ الكوثر هي فاطمة الزهراء عليها السلام، وهو أحد أسمائها وهي صفة مبالغة من كثر، وتعني الخير الكثير، الذي سيهبه الله جلَّ شأنه لرسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من فاطمة عليها السلام، بما ينفي ادّعاء العاص بن وائل بأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أبتر، ولو انحصر المعنى فيما عزاه المفسرون من تأويل لا يفي بردِّ الشنيئة، لما استوفى التحدي الإلهي لباطل ذلك المشرك في دعواه، فيكون المقصود بالكوثر حقيقة فاطمة الزهراء عليها السلام، التي جعل الله تعالى نسل النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم منها، ذكر ذلك القرطبي في تفسيره.

ثمَّ إنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أمر علياً عليه السلام أنْ يخطب لنفسه، فقام عليٌّ عليه السلام خطيباً أمام رسول الله في جمع ممّن حضر من الصحابة وقال: **«الحمد لله الذي قرب حامديه، ودنا من سائليه، ووعد الجنة من يتّقيه، وأنذر بالنار من يعصيه، نحمده على قديم إحسانه وأياديه، حمد من يعلم أنَّه خالقه وباريه، ومميته ومحييه، وسائله عن مساويه، ونستعينه ونستهديه، ونؤمن به ونستكفيه، وأشهد أنْ لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، شهادة تبلغه وترضيه، وأنَّ محمداً عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وآله وسلَّم تزلفه وتحضيه،**

وترفعه وتصطفيه، وهذا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، زوجني ابنته فاطمة على خمسمائة درهم فاسألوه واشهدوا». قال رسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**قد زوجتك ابنتي فاطمة، على ما زوجك الرحمن، وقد رضيت بما رضي الله، فنعم الختن أنت، ونعم الصاحب أنت، وكفاك برضى الله رضى**»، ثمَّ أمر النبيُّ بطبق تمر....[١٥٦].

والظاهر في الرواية، أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم سمى عدداً من الصحابة، وأمره بدعوهم، لسبب أنَّ هؤلاء كانوا متنافسين في الفوز بالزهراء عليها السلام، فأراد إحضارهم لإعلامهم، أنَّه كان صادقاً في قوله: «**لم يأتني أمر الله فيها بعد**»، وإنَّ أمر الله جرى في اختيار عليٍّ عليه السلام دونهم.

لم تمر فضيلة ولا خاصية اختص بها عليٌّ عليه السلام، دون غيره من الصحابة بلا إحن وضغائن، ما فتئت توغر صدور قوم، أحلّوا الضغينة والكره، محلَّ الحبِّ والمودة لعليٍّ عليه السلام، وقد أُمروا بحبِّه، ومن لا يملك في قلبه حباً لعليٍّ عليه السلام، فقد اتخذ مسلكاً إلى النفاق، لقول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لعليٍّ: «**لا يحبك إلَّا مؤمن ولا يبغضك إلَّا منافق**»[١٥٧]، وكان الصلحاء من الصحابة يختبرون أبناءهم بحبِّ عليٍّ، ويميزون المؤمن من المنافق، بما يظهر عليه من حبٍّ، أو بغض لعليٍّ عليه السلام.كان جهاز فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين عليها السلام، ومراسم زفافها من عليٍّ عليه السلام، وبيتها الذي استقرت فيه بجانب بيت والدها الرسول الأعظم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، في منتهى البساطة، فهي من بيت تعوَّد على بساطة العيش، وبساطة المتاع

الذي يستعملونه، ليقينهم بأنَّ هذه الدنيا في حلالها حساب، وفي حرامها عقاب، وهم فيها على سفر قريب، لم يلتفتوا إليها إلَّا نزراً، ولم يأخذوا منها إلَّا دون حاجتهم، فهم من نزل فيهم القرآن ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[١٥٨] ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[١٥٩]، وسيرهم على كلِّ لسان معروفة ومشهورة، منها تعلم المسلمون التقوى والزهد.

لّما حلت ليلة الزفاف طلب النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بغلته الشهباء فجيء له بها، وثني عليها بقطيفة، ثمَّ دعا فاطمة الزهراء عليها السلام فأركبها عليها، وأمر سلمان أنْ يقودها، ومشى صلَّى الله عليه وآله وسلَّم خلفها، ومعه حمزة وعقيل وبنو هاشم شاهرين سيوفهم، ونساء النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وبنو هاشم أمام الجميع، يرجزن ويكبرن ويحمدن[١٦٠].

انقلبت المدينة كلُّها إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نساءً ورجالاً، صغاراً وكباراً لمشاركته فرحته الكبرى، وهي تزويج حبيبته وقرّة عينه فاطمة الزهراء عليها السلام، فلم يتخلف إلَّا من كان مريضاً لا يقدر على الحضور لعلّة تعيقه عن مواكبة مراسم الزفاف المبارك، ولا شك أنَّ من كان في صدره إحنة أو ضغينة لعليٍّ عليه السلام، قد غيّب نفسه عن مشهد، لا يثلج صدورهم بالمرّة.

أمَّا البقية، فقد كان حضورهم طلباً للقربة إلى الله تعالى، وتحسساً للبركة، ليقينهم أنَّهم في حضرة قدسية، قد لا يعيدها الزمن مرّة أُخرى، فصاحب العرس خاتم

الأنبياء والمرسلين صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حبيب الرحمن، وأفضل مخلوق جاد به الزمان، والعروس سيدة نساء العالمين، وأُمُّ أبيها ومهجته، وروحه التي بين جنبيه، وذكراه العظيمة من سيدة النساء خديجة، والعريس ابن عمِّه، وأول من صدق به، وأبلى وضحى، آخاه في بداية الدعوة امتثالاً لأمر الله تعالى، ولم يعدل به غيره، ثمَّ زوجه ابنته بأمر من الله أيضاً، فانفرد عن غيره بخصائص، وفاقهم بكمالات، يستحي أمامها من له ذرّة من إيمان أنْ يقيسه بمن هم دونه، علماً وعملاً وقرباً ومكانة.وصل الموكب إلى البيت الذي استأجره عليٌّ ليقيم فيه أيام عرسه، فناداه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعدما أنزل فاطمة من على بغلته، فجعل علياً عن يمينه وفاطمة عن شماله، ثمّ ضمّهما إليه وقبّل بين أعينهما، ثمَّ أخذ بيد فاطمة، ووضعها في يد عليٍّ عليه السلام، واتجه إليه قائلاً: «**بارك الله لك في ابنة رسول الله**» وأردف: «**نعم الزوجة زوجتك**».

ثم التفت إلى فاطمة عليها السلام وقال لها: «**يا فاطمة نعم البعل بعلك**». واختتم حديثه لهما بالقول: «**اذهبا إلى بيتكما، جمع الله بينكما، وأصلح بالكما**»، وسايرهما إلى أنْ أدخلهما البيت.

وانتهت مراسم الزواج، وكانت المدينة بأسرها على موعد، مع عرس أراده الله تعالى ليكون النموذج والمثال، لينحو نحوه كلُّ مؤمن ومؤمنة، وإذا كانت صفوة الله تعالى وخلص أوليائه قد أقاموا زواجهم بهذه الطريقة، فحري بالذين غرقوا في ذنوبهم وآثامهم، أنْ ينسجوا على منوالهم ويعتبروا بهم، قاطعين الطريق على الدنيا وزينتها الفانية.

ذكر الرواة والمؤرخون أنَّ جهاز فاطمة عليها السلام كان في غاية من البساطة، وقد عدَّ كالآتي: قميص وخمار، قطيفة سوداء خيبرية، سرير مزمّل بشريط، فراشان من خيش مصر، حشو أحدهما ليف نخل، وحشو الآخر صوف غنم، أربع مرافق أدم الطائف، ستر رقيق من صوف، حصير، ورحى، مخضب من نحاس، سقاء من جلد، قدح و شنّ للماء، مطهرة، جرّة خضراء، كيزان خزف ونطع من الجلد، عباءة قطوانية، قربة ماء.

وجيء به إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فجعل يتأمله ويقلبه بيديه المباركتين، تسللت الدموع من عينيه، ثمَّ رفع رأسه ويديه، متجهاً إلى الله تعالى وقال: **«اللهم بارك لقوم جلُّ آنيتهم من الخزف»**.

من ضمن المفتريات التي نقلها الحلبي في سيرته، فيما يخص زواج عليٍّ من فاطمة عليهما السلام، نقلاً عن السيوطي: أنَّ عثمان رأى درع عليٍّ عليه السلام تباع بأربعمائة درهم، ليلة عرسه على فاطمة، فقال عثمان: هذا درع فارس الإسلام لا يباع أبداً، فدفع لغلام عليٍّ أربعمائة درهم، وأقسم أنْ لا يخبره بذلك، وردَّ الدرع معه، فلمّا أصبح عثمان، وجد في داره أربعمائة كيس في كلِّ كيس أربعمائة درهم، مكتوب على كلِّ درهم، هذا ضرب الرحمن لعثمان بن عفان، فأخبر جبريل النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقال له: هنيئاً لك يا عثمان[١٦١].

لا يشك عاقل، في أنَّ الرواية من اختلاق زمن بني أُميّة، بينما الواقع يقول: لقد باع عليٌّ عليه السلام درعه بنفسه، ولم يسلِّمه لأحد، وقبض الثمن وحده، وجاء به إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وحده، وقد تقدم قبل ذلك إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال له: «**أعندك شيء قلت فرسي ودرعي، قال: أمَّا فرسك فلا بُدَّ لك منها، وأمَّا درعك فبعها، قال فبعتها بأربعمائة وثمانين درهماً، فجئته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بها فوضعها في حجره...**»[١٦٢].

وتخير النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بيع الدرع دون الفرس، نابع من معرفته الحقة بعليٍّ عليه السلام، وهو الذي لا يثنيه فقد الدرع عن منازلة الأعداء، بل لعلَّ فقدها يزيده ارتماءً في أُتون المعارك طلباً للشهادة، وإنْ كان الإمام عليه السلام فوق الشهادة التي يبحث عنها غيره.

روايات الحشاشين، ومدمني المخدرات، ومن ذهبت عقولهم إلى الجحيم، لم يخل منها كتاب من كتب هؤلاء الذين يقدسون ذلك الأُموي، الذي كان سبباً من الأسباب المباشرة في تصدع الأُمَّة الإسلامية، وإنْ كنا في غنى عن تدنيس هذه الصفحات، بترهات لا يقبلها حتى المجانين، فإنَّنا بذلك نريد أنْ نوقف المسلمين على حقيقة المقامات الزائفة، التي صنعت بالكذب التافه، والتقرب الكاذب من النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

بهذا الأُسلوب، وبأساليب أُخرى، حاول المحرفون تمييع المقامات الحقيقية لآل

الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، بالزيف والبهتان، اللذين لا ينطليان إلَّا على جاهل أو زنديق أو شيطان.وبقي بيت عليٍّ عليه السلام على بساطته، حتى بعد وفاة الزهراء عليها السلام، ففي أيام حكمه دخل عليه أحدهم في بيته، فلم يجد ما كان يراه عند الخلفاء الأوائل، من بسط وفرش ومتاع، فسأل علياً عليه السلام عن ذلك فقال: «**لقد نقلنا متاعنا إلى دار أُخرى**». يقصد بذلك الدار الآخرة.

تلك إذن هي البيوت التي ذكرها البارئ تعالى في محكم كتابه، وأثنى عليها لما حوته من تقوى وعمل صالح، لا يتخلله شيء من عمل الشيطان: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (*) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا يخافون يومًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (*) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[١٦٣].

ذلك البيت العظيم الطاهر، تطاول عليه المتطاولون بعد وفاة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله و سلَّم، فجمع على بابه الحطب ليحرق، واقتحم لإخراج صاحبه للبيعة، التي قال عنها مؤسسها إنَّها فلتة، وفي محضر بضعة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وعلى مرأى ومسمع منها، حتى أنَّها كانت ضحية تلك الممارسات، التي لا تمتُّ إلى الدين بصلة، فضُربت ورُضّت بالباب عندما فُتح عنوة، وهي التي كانت تعتقد أنَّه بوقوفها أمام المعتدين، ستذكرهم أباها صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، لكنَّ العمى ليس عمى العين، بل هو عمى القلب، فمرضت لذلك، وماتت بعد تلك الأحداث المفجعة، بيسير من الأيام

والأسابيع ودفنت ليلاً، وصية منها حتى لا يحضر جنازتها من آذاها وتجرأ عليها، فتأمل كيف أنَّ المدينة في وجود أبيها صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، قد هبّت كلُّها للاحتفال بزواجها، ومشاركة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فرحته الكبرى، وكيف دُفنت عليها السلام عند موتها، في هزيع من الليل، لم يؤذن إلَّا لقلة لم تتجاوز أصابع اليد الواحدة، من الذين ظلوا أوفياء للبيت النبويِّ، وبين الحضور والغياب، كانت السياسة الظالمة هي التي صنعت الفارق، وقلبت الحقائق، إلى درجة أصبح معها المعروف نكرة، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله العليِّ العظيم.

فاروق الأُمَّة

في المقامة السابقة، عن الصّدِّيق الأكبر الحقيقي للأُمَّة الإسلامية، أشرت إلى أنَّ السبب الذي جعل ألقاب الإمام عليٍّ عليه السلام، تسند إلى غيره دون وجه حق، هو سياسي بالأساس، التجأ إليه طلقاء بني أُمية ومنافقو الأُمَّة، ليضعوا من مقام عليٍّ عليه السلام ويساووه بغيره من جهة، ويرفعوا فوقه، من لا يقاسون به في علم ولا عمل ولا فضيلة، من جهة أُخرى، ولم يكفهم ذلك، فأعلنوا سبّه في أقدس الأماكن في بيت الله الحرام، وفي مسجد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، على مسمع ومرأى منه، وهو الذي يسمع ويرى وترفع إليه أعمال أُمَّته، وعلى منابر المساجد، إمعاناً في إسقاطه، والاستهانة بشخصه، فتربت أجيال من الأُمَّة الإسلامية على ذلك النمط الوضيع، ذلك والسنة النبويّة المطهرة مغيبة عمداً، وغير مدونة تماماً، إلَّا يسيراً عند ذوي العلم والمعرفة، ممّن تمردّ على الأنظمة المتسلطة وقوانينها الجائرة، بحق السنة المطهرة، معرِّضاً نفسه للأذى والتّلف.

ومن أجل تجلية الحقيقة بشأن ألقاب عليٍّ عليه السلام المسروقة، وإعادتها إلى

صاحبها، أتناول في هذه المقامة لقب الفاروق، الذي وشّح به النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، اسم وصدر وشخص عليٍّ عليه السلام، فكان منطبقاً عليه، لائقاً به، منسجماً مع أقواله وأفعاله، قد خالطهما، كما يخالط اللحم العظام.عليٌّ عليه السلام هو فاروق الأُمَّة، وكذب من ادّعى لغيره هذا اللقب، بلا بينة ولا دليل، وفي أحسن الحالات، اشتبه الأمر على من لم يكن عارفاً، بمن هو الفاروق حقيقة وواقعاً.

الحديث عن هذا اللقب الخاص بأمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام، يأخذنا إلى الأدلة التي ترجح الحق، وتميزه عن باطل أولياء التحريف، ولئن ضعّفها من ضعف، فليس عن دراية، ولكن بدافع التعصب الأعمى، في سياق الحرب على عليٍّ وأهل بيته عليهم السلام، وشيعته رضوان الله تعالى عليهم، والتي لم تهدأ يوماً، إلَّا ليشعلها المنافقون، وأعداء الإسلام المحمّدي الأصيل من جديد.

وسياسة تضعيف الأحاديث وإنكارها، أُسلوب انتهجه المحاربون لمبدأ الإمامة الإلهية، دفعاً وإسقاطاً لأساس من أساسات الدين، وركن من أركانه، لأنَّه لو اعترف أولياء خط السقيفة بجملة تلك النصوص، وما تفيده حقيقة، فلن يبقى لسياق تبريرهم، غصب الحكومة من صاحبها الشرعي، عليٍّ عليه السلام شيء يقيهم سرابيل أوهام حججهم.

ومع ذلك فإنَّ من طهر قلبه وصفت نفسه، يستطيع أنْ يتبين حقيقة الأمر بلا عناء.

لقد كان عليٌّ عليه السلام ولا يزال فاروقاً، به تميز الحق عن الباطل، والإيمان

عن النفاق والشـرك، ولقب الفاروق جسـده عليٌّ عليه السـلام في أكثر من موقف، وعلى أكثر من صـعيد، لكنّي، وقبل أنْ أتحدث عن شـواهد عليٍّ عليه السـلام، التي أثبتت أنَّه هو وحده فاروق الأُمَّة الإسـلامية، أذكر نزراً من الأحاديث من كتب خط السقيفة، لتكون حجة على أصحابها، ودليلاً يقرع من العقول أبوابها، وحجة تلين على الإمساك بها طلابها.وعن أبي ذر وسلمان قالا: أخذ النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بيد عليٍّ عليه السـلام فقال: «**إنَّ هذا أوّل من آمن بي، وهذا أول من يصـافحني يوم القيامة، وهذا الصّـدِّيق الأكبر، وهذا فاروق هذه الأُمَّة، يفرق بين الحق والباطل، وهذا يعسـوب المؤمنين، والمال يعسوب الظالمين**»(١٦٤).

روى الحاكم في المستدرك بطريقين عن أبي سعيد الخدري قال: كنّا مع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، فانقطعت نعله، فتخلف عليٌّ يخصفها، فمشى قليلاً، ثمَّ قال: «**إنَّ منكم من يقاتل على تأويل القرآن، كما قاتلت على تنزيله**»، **فاستشرف لها القوم، وفيهم أبو بكر وعمر، قال أبو بكر: أنا هو؟ قال: «لا»، قال عمر: أنا هو؟ قال: «لا، ولكنَّه خاصـف النعل»** - يعني علياً- فأتيناه، فبشرناه، فلم يرفع به رأسه، كأنَّه قد كان سمعه من رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم. قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين(١٦٥).

أمَّا الشواهد العملية التي دلّت على أنَّ علياً عليه السلام هو الفاروق، زيادة على ما ذكرت من أحاديث، فقول النبيِّ صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم له: «**لا يحبّك إلَّا مؤمن ولا يبغضك إلَّا منافق**»(١٦٦).

فكان عليٌّ عليه السلام ولا يزال أداة كشف المنافقين، فمن أبغضه فهو من عداد أصحاب الدرك الأسفل من النار.أخرج السيوطي في الدر المنثور في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ﴾.

قال: وأخرج ابن مردويه، وابن سعد في الطبقات، قال: ما كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، إلَّا ببغضهم عليَّ بن أبي طالب عليه السلام(١٦٧).

وأخرج ابن مردويه، وابن عساكر عن أبي سعيد الخدري في قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ قال: ببغضهم عليَّ بن أبي طالب عليه السلام(١٦٨).

عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال: «**ستكون بعدي فتنة، فإذا كان ذلك، فالزموا عليَّ بن أبي طالب، فإنَّه أوّل من يراني، وأوّل من يصافحني يوم القيامة، وهو الصّدِّيق الأكبر، وهو فاروق هذه الأُمَّة، يفرق بين الحق والباطل، وهو يعسوب المؤمنين**»(١٦٩).

لقد كان من العسير على جيل عصر النبوّة، تبين المؤمن من المنافق، إلى اليوم الذي قال فيه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مقالته في عليٍّ عليه السلام وعهده له، فانكشفت ضغائن المنافقين، وهتكت أستار أحقادهم، فعرفهم المؤمنون ببغضهم لأمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام، وهذه سمة من سمات الفاروق الحقيقي.

هجرة عليٍّ عليه السلام وإنْ تجاهلها مرضى القلوب، فهي تحكي عن الفاروق

الحقيقي، وتحمل بين طياتها إثبات اللقب له، فقد خرج عليٌّ عليه السـلام مهاجراً من مكة في وضح النهار، بعد أنْ مكّن في الليلة السابقة بقية المستضعفين من الخروج خلسة، ليواعدهم باللقاء في ضجنان، ورغم أنَّه كان وحيداً، فقد استطاع بمفرده أنْ يصدَّ جماعة من الفرسـان، لحقوا به ليردّوه مع الفواطم إلى مكة، فقتل زعيمهم، وفرَّ الباقون خوفاً من بأسه وبطشه، فتلك الهجرة الوحيدة التي مرَّت أمام أعين مشركي قريش، ولم يقدروا على ردِّها، خلّفت قهراً وحسـرة في نفوسـهم، وزعيم كعليٍّ عليه السـلام حقيق به أنْ ينفرد بلقب الفاروق.

وإنْ شئت، حدثت عن الفاروق الحقيقي، وميّزته عن المزيف، بما حصل في غزوة الخندق، من سـلوك دلَّ على أنَّ لقب الفاروق، لا يمكن لعاقل أنْ يصـرفه عنه، عندما اجتاز عمرو بن عبد ودّ الخندق بفرسـه، وكان يعرف بفارس العرب، ونادى بأعلى صوته: يا محمّد إنَّك تزعم أنَّ قتلاكم في الجنة وقتلانا في النار، فمن منكم يريد الجنة؟

انخلعت قلوب العارفين به، ووجموا كأنَّ على رؤوسهم الطير، فلم يقم إليه سوى عليٍّ عليه السلام، فطلب الإذن من النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، لمبارزته فلم يأذن له إلَّا عندما يئس من خروج غيره، فخرج عليٌّ عليه السلام وقتله، في مبارزة مشهودة، وجلت منها القلوب، وشدَّ إليها الأبصار والأفئدة، ولهجت الألسن بالدعاء لعليٍّ عليه السلام بالغلبة والنصر، وفي مقدمتهم رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، لمعرفته أنَّه إذا انهزم عليٌّ عليه السلام أو قتل، فإنَّه لا مناص من أنْ ينزل هو بنفسه، وفي ذلك قال

صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لقد برز الإيمان كلُّه للشرك كلِّه**»(١٧٠).

هذا هو الفاروق عملياً، فأين كان المتصـــنع والمنســـوب وهماً إلى لقب الفاروق يوم الخندق؟ وهذا موقف تميّز فيه الفاروق الحقيقي من المزيف.

ومنها في كتاب المناقب أيضـاً لابن مردويه بإسـناده إلى ثابت مولى أبي ذر عن أُمِّ سلمة قالت: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله يقول: «**عليٌّ مع القرآن والقرآن معه، لا يفترقان حتى يردا عليَّ الحوض**»(١٧١).

ومن كان مع القرآن والقرآن معه لا يفترق عنه، حريٌّ به أنْ يكون فاروقاً، وقد جاءنا من سيرته العطرة، ما أثبت لنا كلَّ هذه الأقوال، فقد كان عليٌّ عليه السلام قرآناً ناطقاً، متحركاً فاعلاً في مجتمعه وطيلة حياته.

ذكر الخطيب في تاريخه: أنَّ علقمة الأسود أتيا أبا أيوب الأنصاري، عند منصرفه من صفين، فقالا له: يا أبا أيوب إنَّ الله أكرمك بنزول محمّد صلى الله عليه -وآله- في بيتك، وبمجيء ناقته تفضـلاً من الله تعالى، وإكراماً لك، حتى أناخت ببابك دون الناس جميعاً، ثمَّ جئت بســيفك على عاتقك، تضــرب أهل لا إله إلَّا الله، فقال: يا هذا إنَّ الرائد لا يكذب أهله، إنَّ رســول الله أمرنا بقتال ثلاثة مع عليٍّ عليه الســلام، بقتال الناكثين، والقاســطين، والمارقين، فأمَّا الناكثون فقد قاتلناهم، وهم أهل الجمل وطلحة والزبير، وأمَّا القاسـطون فهذا منصـرفنا عنهم - يعني معاوية وعمرو بن العاص - وأمَّا المارقون فهم أهل الطرفاوات، وأهل السـقيفات، وأهل النخيلات، وأهل النهروانات،

والله ما أدري أين هم، ولكن لا بُدَّ من قتالهم إنْ شـاء الله تعالى، ثمَّ قال سمعت رسـول الله صـلى الله عليه وآله يقول لعمار: «**تقتلك الفئة الباغية، وأنت إذ ذاك مع الحق والحق معك، يا عمار إنْ رأيت علياً سلك وادياً، و سلك الناس كلُّهم وادياً، فا سلك مع عليٍّ، فإنَّه لن يدليك في ردى، ولن يخرجك من هدى، يا عمار من تقلد سيفاً، وأعان به علياً على عدوه، قلّده الله يوم القيامة وشـاحين من در، ومن تقلد سـيفاً أعان به عدو عليٍّ، قلّده الله تعالى يوم القيامة وشاحين من نار**»، قلنا: يا هذا حسبك يرحمك الله، حسبك يرحمك الله[١٧٢].

من الذي ألصق لقب الفاروق بعمر؟

منذ أنْ كنت من أتباع خط السـقيفة، كنت من المواظبين على الاسـتماع إلى خطب الشيخ عبد الحميد كشك (رحمه الله تعالى)، والتي كانت لا تخلو من ذكر الفاروق ونسبته إلى ابن الخطاب، إلى درجة أنَّ الشيخ كان يصيح بها بأعلى صوته، ولم يدر في خلدي حينها، أنَّ هذا اللقب لا علاقة له بالرجل، لكنَّني بعد أنْ عرفت الحق واتبعته، وبينت لي وجهته، رأيت أنْ أوضـح اللبس، وأُبين ما بقي بعيداً عن متناول أتباع خط السقيفة، لعلَّ الله يهديهم سواء السبيل.

أمامنا عدد من النصـوص المختلفة في ما بينها في أصـل اللقب، ومتى أُطلق على عمر؟

النص الأول يدّعي فيه عمر بنفسه أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم هو الذي

لقبه بذلك:

عن ابن عباس أنَّه سأل عمر عن إسلامه، فذكر قصته بطولها وفيها، أنَّه خرج ورسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بينه وبين حمزة، وأصحابه الذين كانوا اختلفوا في دار الأرقم، فعلمت قريش أنَّه امتنع، فلم تصبهم كآبة مثلها، قال: فسماني رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يومئذ الفاروق. الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ترجمة عمر.

رواية يتيمة بهذا المعنى، يكون صاحبها قد ادّعى لنفسه لقباً لم يقرّه عليه غيره، لأنَّه بلا بينة من جهة، وهو في هذه الحالة – إنْ صحت روايته وهي غير صحيحة لاختلافها مع بقية روايات إسلامه – شريك لحمزة بن عبد المطلب، في منعة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وأصحابه، فلماذا يترك حمزة خارجاً من لقب الفاروق، وهو شريك في النصف من الحادثة، مع ما امتاز به حمزة من القرب والمكانة؟

ولو صحّت التسمية كذلك، لأخبرنا بها غيره، ولسرت بين المسلمين في ذلك العصر، ولألفوها وتواصلوا معها، بحيث لا تبدو غريبة عن اسم عمر.

أمَّا ما ذكرت الرواية من منعة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن قريش بفضل ابن الخطاب، فغير صحيحة، ذلك لأنَّ المانع بالأساس، الذي كان دائماً في حماه ومنعته هو الله تعالى ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ فلا معنى أنْ يكون ابن الخطاب مانعاً لقريش من الوصول إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وأذيته في موقف واحد، مع ما نملكه من شواهد على أنَّ تلك المنعة المزعومة لم تتحقق فيما بعد أبداً.

حدثنا الحارث قال حدثنا ابن سعد قال أخبرنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد عن أبيه عن صالح بن كيسان قال: قال ابن شهاب: بلغنا أنَّ أهل الكتاب كانوا أول من قال لعمر الفاروق، وكان المسلمون يؤثرون ذلك من قولهم، ولم يبلغنا أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ذكر من ذلك شيئاً[١٧٣].

إذن تبين أنَّ لقب الفاروق، أطلقه كعب الأحبار واليهود على عمر، في محاولة للتأثير عليه، وقد نقل الطبري ومن بعده ابن سعد وابن عساكر هذه الرواية، نقل المسلِّم بصحتها، ولو كان لهم منها ريب أو شك، لما أخرجوها في كتبهم المعتمدة، مع ما يحملونه من تبجيل وتقديم وتقديس لخليفتهم، وعنوان أساس من عناوين مذاهبهم، وهذه كتبهم تشهد عليهم بذلك.

إنَّ ما أخرجه الحافظ أبو نعيم في حليته، من أنَّ لقب الفاروق قد سمى به النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ابن الخطاب لا يصح، لاختلافه مع بقية الروايات في شأن إسلام الرجل، ووجود حمزة بن عبد المطلب في مقام متقدم عليه، ولو صحَّ ذلك من النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، لكان عمّه حمزة أولى بالتسمية بالفاروق من ابن الخطاب، وقد صدر منه بعد ذلك ما يفيد عكس المقام، الذي أحلّه المتيمون به فيه، فتصدّيه للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في أكثر من مناسبة، لعلَّ أشدّها جرأة على الله ورسوله وأكبرها خطراً، ما جنته نفسيته يوم الحديبية، من تطاول وتعنت على مقام الوحي والنبوة، وما أقدم عليه يوم الخميس، الذي سبق وفاة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله

وسلَّم، من معارضة مفضوحة في حجرته الشريفة، ممّا دفع بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى طرده، مع من كان معه في موقفه الشاذ، وهذا غيض من فيض، إنْ دلَّ على شيء، فإنَّما يدلُّ على أنَّ الرجل بعيد جداً عن مقام الفاروق، الذي نسب إليه كذباً وبهتاناً، وحريٌّ به أنْ يضفى عليه لقب الشكّاك والمتردد، في أحسن الحالات.

وفي الأخير أقول: هذه دلائل الحق ظهرت أعلامها، وبانت حقائقها، لمن ألقى السمع وهو شهيد، وما يلقاها إلَّا الذين صبروا وما يلقاها إلَّا ذو حظ عظيم.

أقضى الناس

خصائص أمير المؤمنين عليه السلام، أكثر من أنْ يعدّها العاد، وأوسع مدى من أنْ يجمع عناصرها الباحث، ومهما أطلنا المقام عند شخصية الإمام عليٍّ عليه السلام، الذي أحصى الله تعالى فيه كلَّ شيء، ممّا يحتاجه الناس لدينهم ودنياهم، كما قال جلَّ ثناؤه في سورة يس المباركة: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾(١٧٤)، فإنَّنا سنقف عاجزين عن تحصيل اليسير منها، فضلاً عن تتبعها كلِّها، ليبقى سيد العرب عليه السلام، ذلك الكتاب الذي لم يستطع أحد بعد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فكَّ رموزه، والبحر الزاخر الذي عجز الغواصون عن تحديد عمقه وتحصيل درره، وفشل السباحون في عبابه بلوغ سواحله.

في هذا الباب، سنتناول من عليٍّ عليه السلام جانباً مهماً، كان السبب المباشر في تفرق كثير من الناس عنه، ليس لأنَّه مخلّ أو مقصّر فيه، بل لأنَّه كان ينظر بعين الله تعالى، ويمضي أحكامه كما يريدها البارئ، بلا مراعاة لغضب أحد من الناس أو مرضاته، بينما اعتبر من تفرقوا عنه، أنَّ ذلك فوق تحملهم، لأنَّ نظراهم وأفكارهم

وأهدافهم، مختلفة تماماً، ومتباينة عن نظرة عليٍّ عليه السلام وأفكاره وأهدافه.

ولئن لم يمكّنه الجيل الأول للأُمَّة الإسـلامية من حقه في الحكومة، وأخّره عنها إلى ما بعد فوتها، ليس لأنَّه غير جدير بها، بل لأنَّه أقدر إمكانية ومكانة من الذين سـبقوه مجتمعين، فإنَّ استحقاقه للإمامة قد عبّر عنه رسـول الله صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم في أكثر من حديث، وأكثر من تكليف، أمره بأنْ يقضـي بين الناس في حياته، وروى عليٌّ عليه السـلام بنفسـه حادثة إرسـاله إلى اليمن فقال: «**بعثني رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى اليمن، فقلت يا رسول الله تبعثني وأنا شاب أقضي بينهم ولا أدري القضاء**»، قال: «**فضرب بيده في صدري ثمَّ قال: اللهم اهدِ قلبه وثبت لسانه**».

قال: «فما شككت بعد في القضاء بين اثنين»(١٧٥).

وقد زكى النبيُّ صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم الأقضـية التي بتَّ فيها الإمام عليٌّ عليه السلام، سواء كانت في اليمن أم في المدينة فقال قولاً فصلاً: «**أقضاكم عليٌّ**»(١٧٦).

ولم يمر ذلك دون اعتراف صريح ممّن عاصر مرحلة النبوّة، فقد نقل عن عبد الله بن مسعود قوله: كنا نتحدث أنَّ أقضى أهل المدينة عليٌّ(١٧٧).

ومسـألة القضـاء هي من أركان الحكم الإسـلامي المهمة، بها ينبني العدل، ويقام ميزان القسط بين الناس، وقد جاء من وصيته عليه السلام إلى عامله مالك الأشتر، لمّا وجهه إلى مصر: «**...ثمَّ اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك، ممّن لا تضيق به**

الأُمور، ولا تمحكه الخصوم، ولا يتمادى في الزلة، ولا يحصر من الفيء إلى الحق إذا عرفه، ولا تشرف نفسه على طمع، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه، وأوقفهم في الشبهات، وآخذهم بالحجج، وأقلّهم تبرماً بمراجعة الخصم، وأصبرهم على تكشّف الأُمور، وأصرمهم عند اتّضاح الحكم، ممّن لا يزدهيه إطراء، ولا يستميله إغراء، وأولئك قليل، ثمَّ أكثر تعاهد قضائه، وأفسح له في البذل ما يزيل علّته، وتقلّ معه حاجته إلى الناس، وأعطه من المنزلة لديك، ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك، ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك»(١٧٨).

فليتأمل متأمل دقة ما قدّمه إمام البلغاء بخصوص القاضي فيما يتعلّق بخصائصه الذاتية ومداركه العقلية وما يجب على الوالي القيام به لزيادة تحصينه من الوقوع في زلل الانحياز بتوفير ما يحميه من ذلك الانحراف، وهذا من عجيب القول في خصائص القاضي.كانت ثقافة المجتمع الذي انحدرت منه، محصورة في الثناء على الخلفاء الثلاثة الأوائل، الذين حكموا الأُمَّة الإسلامية بعد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ثناءً خالياً من مؤيداته، وتقديماً لم يجد يوماً ما يبرره في تأخير الأَولى، وتفضيلاً على الفاضل بغير وجه حق، سوى التأسيس لعقلية تبرير الأمر الواقع، حتى لو كان على حساب الإسلام، ومخالفاً لأحكامه القدسية.ولم يكن حظ عليٍّ عليه السلام من المقدّمين عليه إلَّا الأدنى، رغم النصوص التي تظافرت في حقه، والتي تناولتها العقول المريضة بالتأويل والتضعيف، دفعاً لحقه وحقيقته في الأُمَّة الإسلامية، فالأمر كما يتراءى، سياق لتأسيس ظالم، بخس حق عليٍّ عليه السلام، وحجب مكانته الفعلية عن أعين المسلمين، ولكنْ

أنّى للشمس أنْ تحجبها الغيوم، وللحقيقة أنْ تزايلها سرابات الكذب والبهتان.

ذات يوم، قال لي أحدهم وهو يتذمر من أوضاع الظلم التي يعيشها العالم: (إيه.. لقد ذهب العدل مع عمر) فقلت له: (إذن أنت ترى أنَّ العادل لم يعد له عدل، وأذهبت اسماً من أسمائه تعالى، وصفة من صفاته مع عمر؟) فتبرأ الرجل من قوله واستغفر، وتعلل بأنَّه كان يقصد العدل في الحكم بين المسلمين.

فقلت له: (ألم تقرأ كلمات عمر نفسه، التي كان يطلقها بين الفينة والأُخرى، كلَّما أشكلت عليه مسألة، أو غاب عنه وبطانته حكم لم يهتد إليه، فلم يجد لها طريقاً غير طريق عليٍّ عليه السلام: لولا عليٌّ لهلك عمر، ولا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن، ولولاك لافتضحنا[١٧٩]، وغيرها من كلمات الإقرار، بأنَّ العدل الذي نسب إلى عمر، ما كان ليتحقق لولا وجود الإمام عليٍّ عليه السلام، وإذا سألنا عن العدل بعد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فإنَّنا حتما سوف نجده قد أناخ رحله عند باب عليٍّ عليه السلام، ملتصقاً بشخصه، التصاق الفطيم بأُمِّه، وذلك شأن عليٍّ دائماً في كلِّ ما خصّه الله به.

وعدل عليٍّ عليه السلام، نابع من علم النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الذي ألقاه إليه، وتوعية له بتفاصيل دقيقة، لم تكن ممكنة لغيره، لقصور أغلب العقول عنها، لذلك فإنَّه حريٌّ بنا أنْ نصحح المقالة التي طالما تداولها الناس، بذهاب العدل مع عليٍّ عليه السلام، عوض التمادي في الإجحاف والتجاهل.لم يكن عمر بن الخطاب معدوداً

من الفقهاء، حتى نعدّه فقيهاً، ونأنس به قاضياً، ثمَّ نعتمده عادلاً تبعاً لذلك، وهذا ليس تهجماً على الرجل، بقدر ما هو إقرار من حفاظ نهجه بذلك، فقد سجل عليه أصحاب (الصحاح)، أنَّه لم يكن ليقنع بالتيمم بدلاً عن الوضوء، وقد صلَّى عمار بن ياسر في تلك الحادثة ولم يصلِّ هو[١٨٠] وقد أخذ عنه ابنه عبد الله رأيه في التيمم، وأفتى به سائله، وإنْ لم يجد الماء شهراً فلا يصلّي[١٨١] ولا كان من الحفاظ كي نعتبره من جملتهم، (فقد أتم حفظ سورة البقرة في أواخر حكومته)[١٨٢]، ولا عيّن في يوم من الأيام على عهد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قاضياً، حتى نلحقه بالقضاة كمعاذ بن جبل، ولا قائداً عسكرياً ناجحاً، شهدت له سوح الوغى بالاقتدار والنصر والغلبة، فقد عدَّ من الفارين في أُحد وحنين وخيبر، والأنكى من ذلك أنَّه في كلِّ مرَّة، كان يجبّن أصحابه وهم يجبّنونه[١٨٣]، بل لقد سجل عليه أصحاب السيرة والحديث المقدسين لشخصه، تطاولاً على الله ورسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، في أكثر من موضع، كصلح الحديبية[١٨٤] ويوم الخميس الذي سبق وفاته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم[١٨٥]، ونزول الآيات التي في سورة الحجرات بخصوصه[١٨٦].

عليٌّ في ميزان الإسلام

يكفي علياً عليه السلام، ما قاله رسول الله في حقه من خصائص، نجت من براثن الإعفاء والإبادة، إنَّها لم تجتمع في أحد غيره، وقد جاء اجتماعها في شخصه، دلالة تضاف إلى ما أظهره من أعمال، وتجلّت في سيرته من خصال، جعل ما قيل فيه وما عمله، توافق وتناغم وتطابق بين ما نسب إليه، وما اختزله كشخص متفرد عن غيره.فقول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**عليٌّ مع الحق والحق، مع عليٍّ لا يفترقان**»(١٨٧).

وقوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**عليٌّ مع القرآن، والقرآن مع عليٍّ**»(١٨٨).

ووصيّته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لعمار بن ياسر: «**يا عمار إذا رأيت علياً سلك وادياً، والناس سلكوا وادياً، فاسلك الوادي الذي سلكه عليٌّ**»(١٨٩).

أدلّة أضعها بين يدي القارئ الكريم، ليقف على عظمة هذا الرجل الفذ، لأنَّ الذي يقرنه الوحي مع الحق، لا يمكن أنْ يخالفه، والذي يضعه في مقام واحد مع القرآن، لا بُدَّ أنْ يكون قرآناً متحركاً، عاملاً وناطقاً به صدقاً وعدلاً.

وإنَّ الذي انفرد بعنصر الهداية وحده بعد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم دون غيره، هو أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام، ولو اجتمع الصحابة كلُّهم في جهة، وانفرد هو في الأُخرى، لكان هو الذي على الصواب والحكمة، والبقية على غير وجه حق. ولئن غُصب حقه في قيادة الأُمَّة بعد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فإنَّ مقامه كقائد ومرشد ومعلم للمسلمين، بقي واضح الدلالات، وبين المعالم لا تشوبه شائبة. كان عليٌّ عليه السلام المتصدي لكلِّ نائبة ومعضلة، وسفينة النجاة التي كان الباحثون عن النجاة من النار يتعلقون بأطرافها.. كان عليٌّ عليه السلام في زمانه كهف المتحيرين، وملجأ السائلين، وحلّال المسائل التي استعصت على الجميع.. في كلِّ مرَّة كان هناك عقل أبي الحسن عليه السلام ينتشلهم من الضائقة التي ألّمت بهم.. وفي كلِّ مرَّة كان هناك علم عليٍّ عليه السلام، يحلُّ لهم ما استعصى على جمعهم، وما بذلوا فيه وسعهم، لكنَّهم عادوا من أثره صفر اليدين.. مع إدراكهم أنَّه لا ملجأ من كلِّ معضلة، غير ذلك الرجل الذي صدق ما عاهد الله عليه، فيعودون إليه مجبرين، فيسعهم بعقله وقلبه. العدل لا يكون إلَّا بالعلم، والحكم بين الناس، وفق الأحكام الإلهية، من قرآن وسنة نبويّة، ليس متاحاً إلَّا لمن كان له طريقان إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، طريق بالنهار، وآخر بالليل عندما يهجع الناس وينامون.

كلمات عليٍّ عليه السلام - وهو يواجه أصعب التحديات في عصره لعلَّ أهمها التكالب على السلطة، والانقضاض على حكومة الإسلام، التي ما كان لها أنْ تنصرف

عنه –كبيرة ككبر شـخصـه وعقله وقلبه وإيمانه، قد جسـدها سـلوكه، ونحتتها على صفحات الدهر سيرته وأعماله.

يقول عليٌّ عليه السـلام: «**والله لو أُعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أنْ أعصي الله في نملة أسلبها جُلب شعيرة ما فعلت**»[١٩٠].

في جميع الأزمنة، كان المتسـلطون على رقاب الناس، يجدون في تقديم قرابتهم وذوي معارفهم على بقية الخلق، في العطاء والوظائف، حتى وإنْ كان هؤلاء غير جديرين بتلك المنح، وقد سبق عهد عليٍّ حاكماً وحكومة، لم تترك شيئاً من الامتياز إلّا أعطته إلى قرباها وذوي أرحامها، ممّا أثار حفيظة الناس وهيج نفوسـهم، ودفعهم إلى الانقضـاض على ذلك الحاكم، فحوصـر مرتين وقتل في الأخير، وترك بلا دفن ثلاثة أيام، نكاية من الغاضبين عليه، وعلى سياساته الجائرة.

أمّا عليٌّ عليه السـلام، وإنْ كان مختلفاً مع من سـبقه على الحكم، ومع كلِّ ما سـببوه له من أذى، لم يدخر عنهم نصـيحة، تنفع الأُمّة وتقيها العثرة، وفي ذلك ما فيه من الدليل على عظمة الرجل، وترفّعه عن مجاراة مخالفيه، حتى أنَّ الذين حاربوه، حقن دماءهم، وعفا عنهم بمجرد وقوعهم أسـرى بين يديه، ولو قدر له العيش بعد أنْ غدر به ابن ملجم المرادي لعفا عنه، وتلك سجية في عليٍّ عليه السلام، لا يستطيع أحد أنْ ينافسه فيها، ولا أنْ يزيحها عنه.

حكم عليٍّ وحكومته، أظهرهما جلية من خلال سـلوكه كأمير للمؤمنين حقاً، لا

يحبه إلَّا مؤمن ولا يبغضه إلَّا منافق، فهو العامل بعلمه، والمدلل بسلوكه، قبل كلامه وقوله، لذلك فإنَّ علياً عليه السلام قد اتخذ مع المنهج الاستحقاقي الذي امتلكه، منهجاً آخر عملياً، يزيد في بيان أحقيته في قيادة الأُمَّة بعد شريكه الأول، رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

من بديع مخزون علم عليٍّ عليه السلام، وصفاء روحه، ووضوح مواقفه في العدل قوله:

«والله لأنْ أبيت على حسك السعدان مسهّداً، أو أُجر في الأغلال مصفّداً، أحبُّ إليَّ من أنْ ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد، وغاصباً لشيء من الحطام، وكيف أظلم أحداً لنفس يسرع إلى البلى قفولها، ويطول في الثرى حلولها. والله لقد رأيت عقيلاً وقد أملق، حتى استماحني من برّكم صاعاً، ورأيت صبيانه شعث الشعور غبر الألوان من فقرهم، كأنَّما سوّدت وجوههم بالعظلم، وعاودني مؤكداً، وكرّر عليَّ القول مردداً، فأصغيت له سمعي، فظن أنِّي أبيعه ديني، وأتبع قياده مفارقاً طريقي، فأحميت له حديدة، ثمَّ أدنيتها من جسمه ليعتبر بها، فضجّ ضجيج ذي دلف من ألمها، وكاد أنْ يحترق من ميسمها، فقلت له: ثكلتك الثواكل يا عقيل، أتئن من حديدة أحماها إنسانها للعبه، وتجرّني إلى نار سجرها جبارها لغضبه، أتئن من الأذى ولا أئن من لظى»(١٩١).

مواقف عليٍّ عليه السلام وسيرته، هي التي وقفت حائلاً دون إمساكه بزمام الحكم بعد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وبسببها تفرق طلاب الدنيا، والراغبون عن

الله تعالى عن عليٍّ عليه السلام، فلم يكن لهم أنْ يتراجعوا في ما التمسوه، ولا لعليٍّ عليه السلام أنْ يغير من طبعه ونهجه الذي خطّه لنفسه، وفق ما تلقاه من أخيه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، واستمر كلٌّ يعمل على شاكلته.

انفض طلاب الدنيا عن عليٍّ عليه السلام، واختاروا لأنفسهم بكلٍّ طواعية سبيل التحصيل العاجل، فانسحبوا من جبهة الحق التي مثّلها، إلى جبهة الباطل التي قاد أزمّتها معاوية، بعد أنْ يئسوا من تغير عليٍّ عليه السلام، وأسقطوا من أيديهم أنْ يستجيب لرغباتهم، فلم يبقَ معه غير من مُحص بالبلاء تمحيصاً، وغربل في مقامات الثبات غربلة، أمثال أبي ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، وعمار بن ياسر، والمقداد بن الأسود، ومالك الأشتر، وأبي الهيثم التيهان، وأويس القرني، ومحمّد بن أبي بكر، ومن كان على شاكلة هؤلاء...

قضايا عليٍّ عليه السلام وأحكامه التي نقلها الحفاظ، فيها ما دلَّ على أنَّ مخزون علم عليٍّ من آثار الوحي وامتداداته، لأنَّه التلميذ الأنجب والرفيق الأقرب، والصاحب الألقب، والصهر الأنسب، واللسان الأعذب، والعقل الأصوب، إلى قرب النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم والتّلقّي منه.

وفي هذه العجالة، ليس لي إلَّا أنْ أُشير إلى بعض من أقضية الإمام عليه السلام، تأكيداً على امتلاكه زمامها، وبياناً لعجائب أحكامها: قضية الأرغفة

عن زر بن حبيش قال: جلس رجلان يتغذيان، مع أحدهما خمسة أرغفة، ومع

الآخر ثلاثة أرغفة، فلمّا وضعا الغداء بين أيديهما، مرَّ بهما رجل فسلَّم، فقالا اجلس للغداء، فجلس وأكل معهما، واستوفوا في أكلهم الأرغفة الثمانية، فقام الرجل فطرح إليهما ثمانية دراهم وقال: خذا هذا، عوضاً ممّا أكلت لكما من طعامكما.

فتنازعا، وقال صاحب الخمسة أرغفة: لي خمسة دراهم ولك ثلاثة.

فقال صاحب الثلاثة أرغفة: لا أرضى إلّا أنْ تكون الدراهم بيننا نصفين.

فترافعا إلى أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام، فقصا عليه قصتهما، فقال لصاحب الثلاثة أرغفة: «**قد عرض عليك صاحبك ما عرض وخبزه أكثر من خبزك، فارض بالثلاثة**». فقال: لا والله لا رضيت إلّا بمرِّ الحق.

فقال عليٌّ عليه السلام: **ليس لك من مرِّ الحق سوى درهم واحد، وله سبعة**. فقال صاحب الثلاثة أرغفة: هو يعرض علَيَّ ثلاثة فلم أرض، وأشرت علَيَّ بأخذها فلم أرض، وتقول لي الآن أنْ لا يجب علَيَّ في مرِّ الحق إلّا درهم واحد.

فقال له عليٌّ: «**عرض عليك صاحبك أنْ تأخذ الثلاثة صلحاً فقلت: لم أرض إلّا بمرِّ الحق، ولا يجب بمرِّ الحق إلّا واحد**».

فقال الرجل: فعرفني بالوجه في مرِّ الحق حتى أقبله.

فقال عليٌّ عليه السلام: «**أليس للثمانية أرغفة أربعة وعشرون ثلثاً، أكلتموها وأنتم ثلاثة أنفس، ولا يعلم الأكثر منكم أكلاً ولا الأقل، فتحملون في أكلكم على السواء**». قال:

بلى. قال: **فأكلت أنت ثمانية أثلاث، وإنَّما لك تسعة أثلاث، وأكل صاحبك ثمانية أثلاث وله خمسة عشر ثلثاً، أكل منها ثمانية وبقي له سبعة، وأكل لك واحداً من تسعة، فلك واحد بثلثك وله سبعة**».

فقال الرجل: رضيت الآن(١٩٢).

ذات بعل تطلب بعلاً

في المناقب جاءت امرأة إلى عمر فقالت:

ما ترى أصلحك الله ونرى لك أهلاً

في فتاة ذات بعل أصبحت تطلب بعلاً

بعد إذن من أبيها أترى ذلك حلاً

فأنكر السامعون، فقال أمير المؤمنين: «**أحضرني بعلك**»، فأحضرته، فأمره بطلاقها ففعل، ولم يحتج لنفسه بشيء. فقال عليه السلام: «**إنَّه عنين**»، فأقرَّ الرجل بذلك، فأنكحها رجلاً من غير أنْ تقضي عدّة(١٩٣).

امرأة ولدت لستة أشهر

جاء في المناقب كان الهيثم في جيش، فلمّا جاء جاءت امرأته بعد قدومه بستة أشهر بولد، فأنكر ذلك منها، وجاء بها إلى عمر، وقصَّ عليه، فأمر برجمها، فأدركها

عليٌّ عليه السلام قبل أنْ ترجم، فقال لعمر: «**أربع على نفسك إنَّها صدقت إنَّ الله تعالى يقول:** ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ **وقال:** ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ **فالحمل والرضاع ثلاثون شهراً**». فقال عمر: لولا عليٌّ لهلك عمر، وخلى سبيلها، وألحق الولد بالرجل[١٩٤].

ثور قتل حماراً

رفع إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنَّ ثوراً قتل حماراً، وهو في رهط من أصحابه، فيهم أبو بكر وعمر، فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يا أبا بكر اقضِ بينهم**». فقال: يا رسول الله بهيمة قتلت بهيمة ما عليها شيء. فقال لعمر: «**اقضِ بينهم**». فقال مثل مقالة أبي بكر. فقال: «**يا عليُّ اقض بينهم**».

قال: «**نعم يا رسول الله، إنْ كان الثور دخل على الحمار في مستراحه، ضمن أصحاب الثور ثمن الحمار، وإنْ كان الحمار دخل على الثور في مستراحه، فلا ضمان عليهم**»[١٩٥].

رجل قذف امرأته

أُتي لعمر برجل وامرأة، فقال الرجل لها: يا زانية، فقالت: أنت أزنى مني. فأمر بأنْ يجلدا. فقال عليٌّ عليه السلام: «**لا تعجلوا، على المرأة حدّان، وليس على الرجل شيء، حدّ لفريتها لأنَّها قذفته، وحدّ لإقرارها على نفسها، إلَّا أنَّها تضرب ولا تضرب إلى الغاية. بمعنى أنَّ حدَّ الزنا موقوف على الإقرار أربع مرّات، ولم تقر غير مرّة فتعزر، ولإقرارها على**

نفسها سقط عن الرجل أيضاً حدّ القذف»(١٩٦).

ولو بسطت النقل لعجائب أحكام أقضى الناس بعد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، لأطلت المقام لتعدد تلك القضايا وتنوعها، وما تضمنته من غريب أحكام، لولا حضوره لما أمكن تحقيق العدل.وفي رأيي، لم يكن عجباً ما نقله الحفاظ من طرائف قضايا أمير المؤمنين عليه السلام، لأنَّ العجب يأتي من طرف غير متوقع منه ذلك، وعليٌّ عليه السلام ليس كذلك، والشيء من مأتاه لا يستغرب.في النهاية لا يسعني إلَّا أنْ أتساءل، عن مدى الضرر الذي لحق بالأُمَّة الإسلامية، من جراء منع عليٍّ عليه السلام عن أداء دوره في قيادة الأُمَّة؟

فعلاً لو نظرنا إلى ما لحق بالأجيال السابقة، منذ وفاة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله، إلى جيلنا الذي نعيشه، لتبيّن لنا الغبن الذي عاشته أُمَّتنا طوال قرون عديدة، فاقدة لحقيقة الحكومة الإسلامية، وللحاكم الإسلامي الذي ينبغي أنْ يعطي من نفسه القدوة والمثال.

تنكبت الأُمَّة عن نهج عليٍّ عليه السلام وصراطه المستقيم، فلحقها الذل وديلت بالظلم، ووسمت بالاستضعاف، ومسخت في ذاتها ودينها، وانصرمت أيام هدايتها إلى ليالي غواية حالكة السواد، كلُّ ذلك بتفريطها في الإمامة الإلهية، التي كان عليٌّ عليه السلام أول أصحابها، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله.

سيف الله المسلول

بين سيف سلّه صاحبه منذ البداية، ناذراً على أنْ يكون حمله والذبّ به في الله ولله تعالى، فسطّر به أروع الملاحم، وخطّ بذبابته النصر في كلِّ معركة خاضها، أطاح فيها برؤوس الشرك التي تهيبها غيره، وارتاعوا من أصواتها، وكان صاحب هذا السيف، السبب الأكبر في إرساء دعائم دين الله، وتثبيت أركانه. . وبين سيف سلّه صاحبه ليكون في البداية نزعة جاهلية، تستباح به الأعراض والدماء، ثمَّ يكون حرباً على الله تعالى وآثار الدماء الطاهرة التي سفكت به، لا تزال عليه يتوارثها أتباعه ومقدّموه، يقف المسلم الواعي متحيراً أمام عقلية، أبت إلَّا أنْ تفرض على الأُمَّة، واقعاً متنافراً مع الحقيقة.هذا سيف عليٍّ وقد سكتوا عنه، وهو الذي سلّ أولاً وأخيراً في سبيل الله، وقدّم ما عجز عنه جميع الصحابة، ولولاه لما تحقق نصر في بدر ولا في الأحزاب ولا في خيبر، ولا في غيرها من معارك الإسلام ضدَّ الشرك. . وذاك سيف ابن الوليد بن المغيرة، بما علقه من جرائم في الجاهلية، وفي حياة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، عندما قضى سنين، وهو يحارب تحت لواء الشرك، وعندما أسلم استرسل في سفك الدماء المحرمة

وانتهاك الحرمات، وما فعله في بني جذيمة، ثأراً لخاله الفاكه بن المغيرة(١٩٧)، أكبر دليل على ذلك، وبعد وفاة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، في الغدر بمالك بن نويرة رضوان الله تعالى عليه، وقتله وجعل رأســه أثفية قدر، وكانت كرامة الله أنَّ النار لم تلمس رأســه، دخوله بزوجته من ليلته تلك(١٩٨)، ســيفان مختلفان، هذا لله تعالى، وذاك لصــاحبه، هذا اســتحق أنْ ينال لقب ســيف الله المســلول، لكنَّ المحرفين الكلم عن مواضعه، لم يعجبهم أنْ يكون لعليٍّ عليه السـلام، ما لم يقوَ عليه أصـحابهم، فصـرفوا اللقب إلى الســيف الجاهلي، إمعاناً منهم في الكيد لعليٍّ عليه الســلام، ومثل الســيفين الأول: ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾(١٩٩).

والثاني: ﴿ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾(٢٠٠).

لم يدم مقام النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالمدينة طويلاً، فقد جاءت السنة الثانية من الهجرة المباركة، تحمل تغيّراً في مجرى التعامل مع مشــركي قريش، لقد عزم الوحي على فتح باب المواجهة معهم، وها هي الفرصــة قد لاحت في الأُفق، فقد جاءت أنباء مؤكدة خروج قافلة قريش التجارية إلى الشام، وعلى رأسها رأس الشرك أبو سفيان.

فاســتنفر النبيُّ صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم أصـحابه، لاعتراض القافلة، وهي في طريقها إلى الشام وغنمها، واعداً إياهم ما وعده به المولى سبحانه وتعالى، وهو القافلة أو النصر، في أول مواجهة مع المشركين، غير أنَّ الغزاة لم يدركوا القافلة، ففاتهم طلبها،

وعزم النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على ترصدها عند عودها من الشام.

وبعد أنْ أتمّ أبو سفيان تجارته، انكفأ عائداً إلى مكة، وفي طريقه تحسس الأخبار، وعلم بما ينتظره، فأرسل إلى قريش يستنفرها، فجزعت من الخبر، وتجهز رجالها سراعاً لنجدة قافلتهم، وخرجت قريش مســـرعة في أكثر من ٩٠٠ مقاتل، ومعهم ما بين ٢٠٠و٤٠٠ فارس، ومن الإبل ٧٠٠ بعير.

خرج النبيُّ صـــلَّى الله عليه وآله وســـلَّم مبادراً في ٣١٣ رجلاً، وفرســـان، و٧٠ بعيراً[٢٠١].ولّما قارب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بدراً، بلغه نبأ خروج قريش لحماية قافلتها، فاستشار أصحابه مستجلياً رأيهم، ومستطلعاً موقفهم، فلقي من بعض المهاجرين نهياً وتحذيراً وتخويفاً، فقد أخرج الحلبي الشافعي في سيرته قال: استشار النبيُّ أصـــحابه، بعدما أخبرهم أنَّ القوم قد خرجوا من مكة ليمنعوا أموالهم، فقالت طائفة منهم العير أحبّ إلينا من لقاء العدو.

فكان ذلك سـببا في نزول الآية: ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ (*) يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾[٢٠٢].

وفي رواية: هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له، إنّا خرجنا للعير. عند ذلك تغير وجه النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، عند ذلك قام أبو بكر فقال وأحسن، ثمَّ قام عمر

فقال وأحسن، ثمَّ قام المقداد فقال: يا رسول الله امضِ لما أمرك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لنبيها: اذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا هاهنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا معك مقاتلون، ما دامت منا عين تطرف، فوالله الذي بعثك بالحق نبياً، لو سرت بنا إلى برك الغماد، لجالدنا بالسيوف معك من دونه حتى نبلغه. فأشرق وجه النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وسرَّ بذلك(٢٠٣).

وموقف المقداد رضوان الله تعالى عليه، لم يأتِ من فراغ، وهو الصحابي الذي كان يعمل في الخفاء، بعيداً عن دائرة الضوء التي رمى فيها عدد من الصحابة أنفسهم، تظاهراً بالقرب من النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، والوقوف على خدمته، وهم في الحقيقة أبعد ما يكونون عنه روحاً، ناهيك أنَّ الوحي كان يفضحهم مرَّة بعد أُخرى، في تطاولهم عليه، وجرأتهم على مقامه الرفيع.

كلمات المقداد قوّضت إرجاف بعض المهاجرين، كشف بها عن ندرة عنصره، وسجل التاريخ في ذلك اليوم مقالة مغايرة تماماً لمنطق جاهلي، يريد أنْ يكون له موضع في الإسلام، وبذلك ارتفعت وتيرة المواجهة، وأثلجت صدر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فأثنى على المقداد وشكر له موقفه.

استحثّ المقداد بكلماته من كان على نهجه، ناهلاً من المعين الروي، مدينة علم النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وبابها عليٍّ عليه السلام، لأنَّ المقداد كان من تلك المدرسة التي قدمت خيار أهل البيت عليهم السلام، وأفضل الصحابة رضوان الله تعالى عليهم.

رواية الحلبي هذه تدعونا إلى إعادة قراءتها من جديد، والبحث عن قرائن مؤيدة، لما تداخلها من تمويه وتغطية، فما الذي حدا بأغلب الحفاظ إلى الإعفاء عن مقالتي أبي بكر وعمر، طالما أنَّهما أحسنا القول؟ ألا يعدّ ذلك استنقاصاً في حقهما؟

رواية الحلبي وصفت كلام الشيخين بالحسن، ولم تتناول فحواه، في حين جاءت إحدى روايات إمام الحنابلة، متضمنة لفظ سكوت النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن كلام عمر.عن أنس قال لّما سار رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى بدر، خرج فاستشار الناس، فأشار عليه أبو بكر، ثمَّ استشارهم فأشار عليه عمر فسكت... (٢٠٤).

غير أنَّ الحلبي عاد بعد ذلك ليكشف المستور، عندما نقل في الصفحة الموالية مفاد كلام عمر، حيث دوّن: فقال عمر: يا رسول الله إنَّها قريش وعزّها، والله ما ذلّت منذ عزّت، ولا آمنت منذ كفرت، والله لتقاتلنك، فتأهب لذلك أهبته، واعدد لذلك عدته(٢٠٥).

وبمزيد من التقصي والبحث، للوقوف على عين الحقيقة، وجدت أنَّ مسلماً النيسابوري، في ما سمي بصحيحه، قد أخرج رواية دلَّت على مضمون كلام الشيخين، وأنَّه لم يرق للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، كما أخرج أحمد بن حنبل رواية أُخرى، تضمنت الموقف الصحيح للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وهو الإعراض عن كلام الشيخين أبي بكر وعمر، لمعارضته لمقصد الوحي، وتوجه النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فدلَّ ذلك على أنَّه كلام سيئ ضار، لم يرضه الله ولا رسوله صلَّى الله عليه

وآله وسلَّم.عن أنس، أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان، قال فتكلم أبو بكر فأعرض عنه، ثمَّ تكلم عمر فأعرض عنه...[٢٠٦].

وعلى ذلك تتكشف لنا حقيقة، أنَّ الشيخين كانا من بين الذين كانوا يريدون العير، ولا يريدون القتال، وقد جاء مضمون كليهما، نابعاً من هيبة قريش في نفسيهما، فلا يبقى مجال للقول إنَّهما قد أحسنا القول، وما إعراض النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن مقالتهما إلَّا دليل على بطلانها.

أضف إلى الحقيقة الناصعة، التي أثبتها المؤرخون وأصحاب السير، أنَّ الرجلين ينتهي ذكرهما عند القتال، وتنتهي المعارك كلُّها ولا يسجل لهم أصحابهم قتيلاً واحداً، ولا حتى جريحاً أصابه هذا أو ذاك.لم يتوقف النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من الاستشارة، لأنَّه كان يريد أنْ يستجلي موقف الأنصار من القتال، لاعتقاده أنَّهم لا ينصرونه إلَّا في المدينة، فقد عاهدوه أنْ يمنعوه ممّا يمنعون منه أنفسهم، ولم يدم انتظاره طويلاً، فجاء جواب سعد بن معاذ بالسمع والطاعة، فسرَّ بذلك رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ثمّ إنَّه أمر الناس بالمسير لملاقاة العدو.

لقد كان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يستطلع آراء كلِّ من كان حوله، ما عدا واحداً لم تكن له حاجة في التعرف على رأيه وموقفه، وهو عليٌّ عليه السلام لسبب واحد، هو أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان يعتبره كنفسه، وظله الذي يلازمه دائماً، وربيبه الذي أخذ عنه كلَّ شيء، وكان عليٌّ عليه السلام كالفصيل الذي في أثر

أُمِّه، ســـامعاً مطيعاً متبعاً، ولئن تكلم المقداد رضـــوان الله تعالى عليه بذلك الكلام البليغ، الذي إنْ دلَّ على شــــيء، فإنَّما يدلُّ على مخزون إيمان كبير، فإنَّ علياً عليه الســـلام لو تكلم لكان كلامه أبلغ وأعظم، وفي كلِّ الحالات، فإنَّ المقداد يعتبر أحد أعمدة التشيع الأربعة الأوائل، الذين ثبّتهم النبيُّ صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم، ليكونوا لأخيه علياً عليه السلام خير بطانة من بعده.

يومها أعطى النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الراية (العقاب) لعليٍّ عليه السلام، وهي الراية التي لم تفارقه في كلِّ الغزوات والسـرايا، وقاد كلَّ الصـحابة، ولم يقده أحد سوى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ثمَّ عقد النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لواءً للمهاجرين وأعطاه لمصـعب بن عمير، ولواءين للأنصـار، أعطى واحداً للخزرج، حمله الحباب بن المنذر، والثاني للأوس أعطاه لسعد بن معاذ(٢٠٧).

وعلى ذلك نقول إنَّ الراية هي العلم الأكبر، الذي يمثل العنوان البارز للحملة، بينما تأتي الألوية، لتمثل القبائل التي تشـــارك تحت الراية، وهذا ما يمكن أنْ يســـتنتجه القارئ بسهولة ويسر.

إنَّ ما لحق بســـنة النبيِّ صـــلَّى الله عليه وآله وســـلَّم، وســـيرته العطرة من أذى الوضاعين، يدفعنا إلى تحسس مواضع الدسِّ والتشويه، الذين أُريد بهما الحط من مقام النبوّة، وأول مســتلزماتها العصـمة، فقد صـور النبيُّ صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم على أساس أنَّه مجتهد فيما لا نصَّ فيه، أو فيما يبطئ به الوحي.

وفي نقل بعض وقائع بدر، ذكر الحلبي الشافعي وغيره ممّن نسبوا أنفسهم للسنة المطهرة رواية مفادها:

ثمَّ خرج رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يسابق قريشاً إلى الماء، فسبقهم عليه، حتى جاء أدنى ماء من بدر فنزل به صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقال له الحباب بن المنذر: يا رسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزل أنزلكه الله تعالى، ليس لنا أنْ نتقدمه ولا نتأخر عنه؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: بل هو الرأي والحرب والمكيدة. قال: يا رسول الله إنَّ هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم، فإنِّي أعرف غزارة مائه وكثرته، بحيث لا ينزح فتنزله، ثمّ تغور ما عداه من القلب، ثمّ تبني عليه حوضاً فتملأه ماء، فتشرب ولا يشربون، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لقد أشرت بالرأي. ونزل جبريل عليه السلام على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقال الرأي ما أشار إليه الحباب[٢٠٨].

والقول باجتهاد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم تبنّته الدكتورة (نادية شريف العمري) في كتابها (اجتهاد الرسول) فقالت: وقد صحّ أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان يشاور الصحابة في أمر الحرب وغيره، كما شاورهم فيما يكون جامعاً لهم، في أوقات الصلاة ليؤدوها جماعة، ثمَّ لما جاء عبد الله بن زيد (رض)، وذكر ما رأى في المنام من أمر الأذان، فأخذ به وقال: ألقها على بلال، ومعلوم أنَّه أخذ ذلك بطريق الرأي، دون طريق الوحي، ويدلُّ ذلك على أنَّ عمر بن الخطاب رأى مثل ذلك، وأخبر

الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم به فقال: الله أكبر هذا أثبت.

ولا شك أنَّ حكم الآذان ممّا هو حق الله، وهذا برهان على أنَّ الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قد جوّز العمل بالرأي، وأنَّه كان يستشير أصحابه فيما يستجد من أحداث ووقائع، لم ينزل فيها وحي متلو وغير متلو، وكلٌّ ذلك كان تعليماً وتدريباً ومراناً لهم، لكي يستقلوا بالاجتهاد فيما بعد، ولم تكن استشارته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم للصحابة تطييباً لأنفسهم، لأنَّه لم يشاورهم فيما نزل به الوحي، وإنَّما شاورهم في الوقائع والأُمور التي لم ينزل فيها وحي، وقد عمل بآرائهم وأقوالهم في أكثر من موطن، منها أنَّه عمل برأي أبي بكر في فداء الأسرى، وعمل برأي الحباب بن المنذر في ماء بدر.. وغير ذلك كثير(٢٠٩).

ولم تكن الدكتورة العمري مبتدعة في القول باجتهاد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقد أخذت ذلك عن مدرسة ما يسمى بأهل السنة والجماعة، التي قال أغلب علمائها، إنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مجتهد فيما لم يرد فيه نص، فابن الحاجب، والآمدي، وسائر الحنفية، والبيضاوي، والفخر الرازي من الشافعية، وما نسبه الأسنوي للشافعي، وبه قال جميع الحنابلة، وإلى ذلك ذهب بعض المعتزلة، كالقاضي عبد الجبار والبصري، وجاء في مسودة ابن تيمية: يجوز لنبينا أنْ يحكم باجتهاده، فيما لم يوحَ إليه فيه. ذكره القاضي أبو يعلى، وابن عقيل، وأبو الخطاب، وأومأ إليه أحمد(٢١٠).

وأقاموا قولهم على ما ورد إليهم من روايات اعتمدوها، لتكون الدليل الذي

يثبتون به عقيدهم، منها رواية ماء بدر، ورواية أسرى بدر، ورواية آذان الصلاة، وتأبير النخل، وغيرها، وسوف نرى أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، لم ينزل إلَّا عند أدنى ماء ببدر كما صرّحت به الآية، ولا أخال عاقلاً يتخذ منزلاً بعيداً عن الماء، فضلاً عن كون المبادر إلى اتخاذ أنسب المواقع لمواجهة العدو، نبياً متصلاً أمره بالوحي اتصالاً وثيقاً، خصوصاً في مثل هذه الحالات الطارئة والخطيرة.

أمَّا بقية بنائهم فهو لا يستقيم من حيث الدليلين الآخرين -وإنْ كنّا في غير مقاميهما- كحلم الآذان العاري من الحقيقة ولو سلَّمنا بهذه الخرافة، لما سلمت بقية أركان ديننا من الخرافة، لأنَّ الذي أنزل حكم الصلاة لا يمكنه أنْ يغفل عن النداء لها، وحلم كالذي رآه ذلك الصحابي وادّعى آخر بأنَّه رآه، حريٌّ به أنْ يكون خاصاً بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ليكون ضمن رؤى الوحي.

أمَّا حديث تأبير النخل، فيكفيه وهناً -وقد كنت أشرت إليه في بحث سابق خاص بالمفتريات على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم- أنَّ التأبير عند أصحاب النخل منذ أنْ وجد شجره، يستمر قرابة الشهرين، فلا يعقل أنْ يخطئ النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في تقديره ذلك كلَّ تلك المدّة، ويقرّه الوحي على خطئه، إلى فوت وقت التأبير، والتمر بالنسبة لأهل المدينة غذاء أساسي، وفوق ذلك فإنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، لم يأتِ من بيئة أجنبية عن النخل، فالطائف مجاورة لمكة وبها بساتين النخل، والتأبير فيها عرف جارٍ بين أهل مكة، لا يعرفون شيئاً يصلح النخل غير التأبير، ومن قال غير ذلك

عرفوا جهله، وردوا مقالته.

ثمَّ – على افتراض صحة الحديث – لماذا لم يتصد أحدهم للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ليطلعه على خطا مقاله، كما زعم من تصدي الحباب بن المنذر في قضية ماء بدر، فدأب كثير من هؤلاء الذين حول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ظاهراً، لكنَّهم بعيدون عنه باطناً، معارضته، والردّ عليه ورفع أصواهم في حضرته، حتى أنَّه لم يسلم من نسائه في معارضته ومراجعته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وكثيرة شواهد الطاعنين في النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ومتعددة تعدياهم وتجاوزاهم، حتى لا يكاد يخلو كتب روائي منها.

أمَّا ما روجوا له من أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قبل الفداء في أسرى بدر، وارتكب بذلك معصية كادت تنزل عليه العذاب هو ومن قبل الفداء، باستثناء عمر الذي نسبوا إلى النبيِّ القول في شأنه: لو أنَّ الله معذبنا وما نجوت إلَّا أنت.

فأقول: إنَّ الذين خرجوا من المدينة وفي خلدهم غنم الإبل هم من طلب الفداء وأصرَّ عليه، مضافاً إلى كلِّ من كان يتهيب قريشاً ويحسب لها حساباً، أمَّا أنْ يحشر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، في مستنقع الفداء وهو بريء منه براءة الذئب من دم يوسف، فإنَّ ذلك من التجنيات التي أُلصقت بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ولا تجوز عليه مطلقاً.

ثمَّ كيف يتصـــور عاقل أنْ يعذب الله تعالى نبيّه على جرم لم يقترفه، وهو الذي قال: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ. ﴾[٢١١] ولا ينجو من العذاب إلَّا رجل واحد، فما هذه البلادة.ليس هناك من شـــك، في أنَّ المراد من كلِّ تلك المرويات المختلقة على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، لم يكن يراد بها غير فصل الدين عن بقية أوجه الحياة، وعزله عن دوره الشمولي في قيادة المجتمعات، اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً، وفق ما أراده الله ســبحانه وتعالى للبشـــرية، إلَّا أنَّ أعداء التشـــريع الإلهي كان لهم رأي آخر، عارضوا به أحكام الله تعالى، وعوض محجة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وأهل بيته عليهم السلام المستقيمة البيضاء، سلكوا مسالك ملتوية بعيدة عن الحق، وانقلبوا على شرعي الحكومة الإلهية، بما حاكوه من افتراءات لتبرير أفعالهم.

نزل النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالعدوة الدنيا من الوادي، ونزل المشـركون بالعدوة القصـوى، فلمّا اطلع المشــركون على عدد وعدّة المســلمين، اســتخفوا منهم وأظهروا الاســتهزاء، حتى أنَّ أبا جهل قال: ما هم إلَّا أكلة رأس لو بعثنا إليهم عبيدنا لأخذوهم أخذاً باليد[٢١٢].

كان يوماً عصــيباً لعدم تكافئ في العدد والعدّة، حمل عليٌّ راية النبيِّ صـــلَّى الله عليه وآله وســلَّم وســعد بن عبادة راية الأنصــار[٢١٣]. فاســتجاب له ربُّه بقوله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[٢١٤].

وبدأ القتال بعد أنْ رفض عرض الســلم الذي اقترحه النبيُّ صــلَّى الله عليه وآله

وســلَّم، بعدما نزلت عليه الآية: ﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا ﴾[٢١٥] بدأ المشــركون هجومهم، فرد المسلمون، ثمَّ بدأت المبارزة، وكان كبار قادة المسلمين عليّ عليه السلام وحمزة وأبو عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، في مواجهة كبار قادة المشــركين عتبة وشـيبة والوليد، وانتهت المبارزة بقتل قادة المشـركين، وقطعت سـاق عبيدة، ومات من جرائها شهيداً محتسباً.

بعد ذلك التقى الجمعان في معركة لا هوادة فيها، وكان بلاء عليٍّ عليه الســلام أكبر من أنْ يقاس، ودار في أرجاء الميدان كما تدور الرحى، وكلَّما ثار نقع هنا أو هناك كان فيه عليٌّ عليه السـلام يذبّ بسـيفه، ويدفع بسـاعده لا يكلّ ولا يملّ، وقبض النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قبضة من حصى ثمَّ رماها في اتجاه المشركين وقال: «**شاهت الوجوه اللهم أرعب قلوبهم وزلزل أقدامهم**»[٢١٦]، فلم يمضِ منتصــف النهار حتى انهزم المشـركون وولوا الأدبار، تاركين وراءهم القتلى والأسـرى، وما لم يسـتطيعوا حمله من متاع ودواب.

انتصر المسلمون وكسروا شوكة قريش فقتلوا سبعين رجلاً من المشركين، كان نصـيب عليٍّ عليه السـلام النصـف، ولبقية المسـلمين النصـف الآخر، وقد يسـتغرب القارئ من كثرة قتلى عليٍّ عليه الســلام، وقد يرى في ذلك العدد مبالغة تاريخية، لكنَّه عندما يقف على مجريات بقية الغزوات، يقتنع بأنَّ علياً عليه السلام إنسان لا يقاس به بقية الناس، لا من حيث الشخصية، ولا من حيث الخصائص التي امتلكها، وقوته التي

ظهرت في ميادين القتال، لا يمكن أنْ تكون قوة عادية كالتي تظهر عند كبار الفرسان وعظماء الشجعان، وسنأتي على ذكر قوة عليٍّ عليه السلام في غزوة خيبر، لأنَّ فيها الدليل الأكبر وضوحاً وإقناعاً.

انتهت غزوة بدر الكبرى بالنصر، وبدأت بذلك مرحلة جديدة في حياة الأُمَّة يكتنفها العزّ، بما قدمه وأبلاه عليٌّ عليه السلام في سبيل إعلاء كلمة الله، مخلصاً لم يخالطه في ذلك شيء.

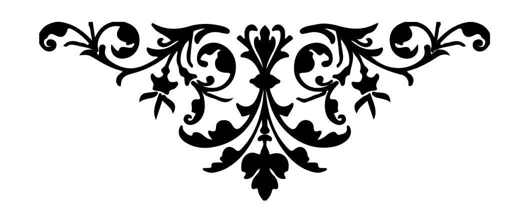
ومع ذلك مرّت بطولات عليٍّ من الباب الصغير، منها ما أهمله الرواة والحفاظ، ومنها ما كتم، في أزمنة كان يعدّ فيها إظهار فضيلة لأهل البيت عليهم السلام جريمة يعاقب عليها أشدّ العقاب، فهدم الدار والتشريد والسجن والتنكيل والقتل، ينتظر كلَّ من تسوّل له نفسه إظهار شيء من ذلك القبيل، واستمر الأمر على تلك الحال قرابة قرن، أي زمن حكم طغاة بني أُمية.

وجاءت أزمنة كان لا بد من أنْ يأخذ عليٌّ حقه، وبعد الثلّة المؤمنة التي كانت ملازمة إياه، ومن سلك نهجها في ملازمة الأطهار من ذريته، وورثة إمامته وعلمه وجهاده وتقواه وطهره، فظهر ممّا عفا عنه التاريخ والمؤرخون، ليعيد بعض حق عليٍّ وأهل بيته عليهم السلام، الذي انتهبه الظالمون، وحالوا دون وصوله إلى الناس كافة.

وإظهار مقام عليٍّ عليه السلام وإعلاء حقه، هو إظهار وإعلاء للدين ككلّ،

لأنَّ البناء الذي اســتقام بســيف عليٍّ عليه الســلام وجهده، وســقاه بعرقه الغزير، يستوجب على من تفيّء ظلاله، وتنعم ببركاته، واحتمى بهديه، أنْ يشكر النعمة بإظهار الباني والفاعل الحقيقي، فلا يلتبس الأمر على المسـلمين الذين اعتقدوا خطأً، فشـكروا أيادي اعتقاداً منهم أنَّها هي البانية، ولم تكن في واقع الأمر كذلك.

يحبُّ الله ورسوله ويحبُّه الله ورسوله



أنْ تحب الله تعالى ورسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فذلك مقام يسعى إليه كلُّ من صلحت سريرته، وخلصت نيّته، وصفا قلبه، وتجرّدت أحاسيسه من حبِّ الدنيا وتبعاتها، لذلك فإنَّه ليس من السهل على الساعي إلى الله تعالى، أنْ يدخل مجال حبِّ الله تعالى، وحبِّ رسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، دون أنْ يخرج حبَّ ما سواهما من قلبه.

أمّا أنْ يحبك الله تعالى، ورسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فهي درجة لا يمكن لسالك تحصيلها إلّا بالمعرفة، والتوجه الصادق (النية الخالصة لله تعالى كمقدمة لكلِّ عمل)، والعمل الصالح، وهذه الغاية قد لا يوفق لها أغلب الناس، بسبب الإخلال بأسباب تحقق الحبّ، وما يستتبعه من علامات القرب والرضا والقبول.

من السهل عليك أنْ تقول، إنَّك تحب الله تعالى ورسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، لكنَّه من الصعب أنْ توجد أرضية تمكنك من بناء صرح ذلك الحب، ويؤهلك لنيل ثمرته وهي الرضا، ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[٢١٧] ومبادلة الحبّ بحبٍّ أحسن

منه. وليس من السهل على السالك إلى الله تعالى أنْ ينال حبّه، وحبّ أوليائه صلّى الله عليهم جميعاً، دون أنْ يكون وعاء حبه - وهو القلب كما أسلفنا الذكر- خالياً من غيره، فينطبع الحبّ رداً على الحبِّ المقابل.

وما علامة الحب في النهاية إلّا تولياً وتبرياً، تولياً لله وأوليائه، واتباعاً لهم، وتبرياً من أعدائهم ومجانبتهم، فمن بلغ هذه المعرفة، وأعطاها ما تحتاج من ملكات، فقد أربى على عرش الحبِّ الإلهي واستوى.

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾(٢١٨).

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾(٢١٩).

الذين يحبهم الله ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم، معدن نادر وكبريت أحمر، وهم على ندرتهم وقلة عددهم، قد أُهملت أسماؤهم، وأحلّ محلها أسماء بعيدة عن الحبِّ، لم تغنم من الدين غير المظهر، وتركت الجوهر المتعلق بالاتباع والتسليم والرضا، فلم يؤثر عنها غير التطاول على النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، ورفع أصواتهم فوق صوته، والتنازع أمامه في بيته، وعصيانه والتمرد عليه على مرأى ومسمع منه، وهي أحداث وإنْ كنت اقتصرت على عناوينها الكبرى، فذلك مردّه الإشارة والتلميح، لمن

فيه بذرة من إيمان صحيح، ليعود إلى المصادر فيكتشف تداعي البنيان، الذي بني لشخصيات، ما كان لها أنْ تكون رموزاً للمسلمين.

الذي يحبّ الله ورسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ويبادله الله ورسوله الحبّ، رجل واحد، لكنّه ليس ككلّ الرجال، رعاه أفضل المخلوقات وليداً، وكفله صبياً، وصاحبه فتى يافعاً مميزاً، فكان ملازماً له كظله، لا يفارقه إلّا نادراً، وقد يتحامل علَيَّ البعض، ويفتح جراب همه علَيَّ دفعة واحدة، لكنّي أقول له صبراً، فإنَّ في الوصول إلى هذه الحقيقة بقية بحث.

بعد الهزيمة التي مني بها المسلمون في معركة أُحد، استطالت رقاب أعدائهم المنافقين في المدينة وما حولها، والمشركين من قريش وأحلافهم، واليهود المتوزعين حول المدينة، وكانت البداية أنْ نقض يهود بني النضير، وبني قريضة، وبني قينقاع عهودهم مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

انكشفت ستائر اليهود، وافتضحت دسائسهم، فلم تمرّ سنة دون أنْ تظهر نواياهم الدنيئة، ومؤامراتهم المحاكة في الخفاء، وتزداد وضوحاً للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فكان لهم الله تعالى ورسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالمرصاد، فردّت مكائد اليهود إلى نحورهم، وعادت عليهم أعمالهم الخبيثة بالوبال، فقتل منهم من قتل وسبي من سبي، وأُجلي من أُجلي.

وجاءت السنة السابعة من الهجرة المباركة، تحمل بشرى النصر المبين على آخر

معاقل اليهود، وأشـدّها قوة مناعة، وفيها ظاهر يهود خيبر، قبائل غطفان على رسـول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فتهيئ المسلمون لمقاتلتهم.

خرج النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى حصون اليهود بخيبر، في ألف وأربعمائة رجل، ومعهم مائتا فارس.

سمع اليهود بقدوم النبيِّ صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم محارباً، فاحتموا بحصـونهم، وأغلقوا عليهم أبوابها، فلم يقاتلوا إلَّا غرّة وختلاً، أو من فوق حصـونهم، فحاصـرهم النبيُّ صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم، وبدأت تلك الحصـون تتهاوى الواحد تلو الآخر، فسـقط حصـن ناعم، والقموص، والصّعب، والوطيح، و لم يبقَ في خيبر غير الحصـن الأكبر المسمى بالسلالم، الذي فيه فارس اليهود مرحب.

وباعتبار أنَّ قائد اليهود في الحصـن الأخير، هو من الذين طار صـيت شـجاعته، وحنكته ومراسـه في الحروب، فقد قاتل هو وكوكبة من خيرة فرسـانه خارج الحصـن، وردوا المسلمين على أعقابهم منهزمين خائفين في أكثر من مناسبة.استعصى إذن الحصن الأكبر على المسـلمين، كما اسـتعصـى نقل الوقائع التي دارت حوله من المؤرخين وأصحاب السير، ولعلَّ الدافع المذهبي هو الذي حدا بعدد من الحفاظ للتستر على بعض الصحابة، وعدم ذكر هزيمتهم النكراء في ذلك المشهد، فالطبري مثلاً نقل ما يلي:

كان رسـول الله صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم ربما أخذته الشـقيقة، فلم يخرج إلى

الناس، وأنَّ أبا بكر أخذ راية رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ثمَّ نهض فقاتل قتالاً شديداً ثمَّ رجع، فأخذها عمر فقاتل قتالاً شديداً، هو أشدّ من القتال الأول ثمَّ رجع، فأخبر بذلك رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقال: أمَا والله لأعطينّها غداً رجلا يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، يأخذها عنوة. قال وليس ثمَّة عليٌّ عليه السلام، فتطاولت لها قريش، ورجا كلٌّ واحد منهم أنْ يكون صاحب ذلك، فأ صبح فجاء عليٌّ على بعير له، حتى أناخ قريباً من خباء رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وهو أرمد وقد عصب عينيه بشقة برد قطري، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مالك؟**» قال: «**رمدت بعد**».

فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله و سلَّم: «**أدنُ مني**». فدنا منه فتفل في عينيه فما اشتكى وجعهما حتى مضى لسبيله، ثمَّ أعطاه الراية فنهض معه من الناس من نهض[٢٢٠].

فريق آخر من الرواة لم يذكر القتال الشديد للخليفة الأول، ولا القتال الأشد للخليفة الثاني، وعنون هزيمتهما بالرجوع فقط:

حدّث ابن إسحاق قال: بعث رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أبا بكر برايته، وكانت بيضاء إلى بعض حصون خيبر، يقاتل فرجع ولم يك فتح وقد جهد، ثمَّ بعث عمر بن الخطاب فقاتل، ثمَّ رجع ولم يك فتح وقد جهد، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله و سلَّم: «**لأعطين الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، يفتح الله**

على يديه ليس بفرّار».

الرواية الثانية وإنْ كانت تسترت على نتيجة رجوع القائدين الأولين إلَّا أنَّها فضحتهما من خلال مقالة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم والتي جاء في آخرها قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ليس بفرّار**» معنى ذلك أنَّ الأول والثاني قد انهزما وفرّا من المعركة.

وفريق آخر آثر التكتم على الشيخين فلم يذكرهما بالاسم:

أخرج الحلبي في سيرته قال: وقد دفع صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لواءه لرجل من المهاجرين، فرجع ولم يصنع شيئاً، فدفعه إلى آخر من المهاجرين، فرجع ولم يصنع شيئاً[٢٢١].

وإنْ عجبت من شيء، فأعجب من هؤلاء المنهزمين يستشرفون ويتطاولون، طمعاً في أنْ يكون أحدهم المقصود من إشارة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إليه، والمعني بقيادة الحملة الجديدة، فهل بعد هذا صلافة وقلّة حياء.

أخرج ابن سعد في طبقاته: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم يوم خيبر: «**لأدفعن الراية إلى رجل يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، ويفتح الله عليه**». قال عمر: فما أحببت الإمارة قبل يومئذ، فتطاولت لها، واستشرفت رجاء أنْ يدفعها إليَّ، فلمّا كان الغد دعا علياً فدفعها إليه.

وفي رواية الطبري تطاول لها أبو بكر وعمر.

وفي الإصابة غدوا كلّهم يرجو أنْ يعطاها. ونجد مقابل ذلك، الشخص المعني وهو عليٌّ عليه السلام، لا يستشرف لمكانته، ولا يتطاول لها، وهو العالم بها، والمتيقن من أنَّها لن تفوته إلى غيره، قد تلحف بالصبر والأناة وبُعد النظر، قد نصب همّه في ذات الله، حتى لم يعد هناك شيء أهم إليه من الله تعالى ورسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم. في أثناء التجهز لغزو خيبر، رمد عليٌّ عليه السلام، فبقي في خيمته لا يستطيع الخروج ممّا أصاب عينيه، فعقد النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لواءً لأبي بكر فانهزم ورجع، ثمَّ إنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أعطى اللواء لعمر، فرجع منهزماً يجبّن أصحابه وهم يجبّنونه، كما صرح به غير واحد من المؤرخين، كابن الأثير في تاريخه الكامل، والحاكم في المستدرك على الصحيحين، ولم يعلّق عليه الذهبي في تلخيصه بغير قوله: حديث صحيح الإسناد(٢٢٢).

وكعادة الذين يريدون التعمية على الهزيمة، والروح الانهزامية التي استولت على الشيخين، ومن كان معهما، ذكر عدد من الحفاظ رجوع القوم إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعد إرساله إياهم، دون ذكر لسبب ذلك الرجوع، والحال أنَّ بعثهم لم يكن للفسحة والتنزه، وإنّما كان للمواجهة والحرب، مجانبين الحقيقة، تحت وطأة الانتماء المذهبي.

وعليه فإنَّ رجوع هؤلاء الذين سـبقوا علياً عليه السـلام، كان بفعل عاملين: الهزيمة والرعب اللذين تملكاهم، لأنَّ الذين يجبّن بعضـهم بعضـاً، كانوا تحت وطأة الهزيمة، وتأثير الرعب الذين استوليا عليهم.

وأمام صعوبة موقف المسلمين، التفت النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى من حوله مستطلعاً الحاضرين، فلم يجد علياً عليه السلام، ولما افتقده قال: «**لأبعثنّ غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله لا يولي الدبر، يفتح الله على يديه**». فاستشرف لها الناس، وكان عليٌّ أرمداً، فقال له رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، «**سرّ**». فقال: «**ما أبصر موضعاً**»، فتفل صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في عينيه، وعقد له ودفع إليه الراية، فقال: «**يا رسول الله علام أقاتلهم؟**» فقال: «**على أنْ يشهدوا أنْ لا إله إلَّا الله، وأنّي رسول الله، فإذا فعلوا ذلك، فقد حقنوا مني دماءهم وأموالهم إلَّا بحقها، وحسابهم على الله عزَّ وجلَّ**»(٢٢٣).

وجاءت الرواية الثانية، لتتضمن التحاق عليٍّ عليه السلام بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وهو أرمد، وقد كشفت عن إصرار شديد لنصرة دين الله، قلّما توفرت في شخص آخر.

ونستشف من خلال الرواية، أنَّ الإسلام جاء ليعطي الأولوية للسلم، ولحقن الدماء والتوافق، فالحرب ليست غاية في حدِّ ذاتها، وإنَّما هي الوسيلة الأخيرة التي تعقب استنفاد الطرق السلمية، وتكون مقيدة بأحكام مشددة، ولا أدلَّ على صحة مقصدنا،

ممّا جاء من عرض الدخول في دين الله، أو القبول بالجزية، وقد رفض اليهود كلَّ تلك العروض، وأبوا الانصياع إلى حكم الله تعالى.عن سلمة قال: كان عليٌّ قد تخلف عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم في خيبر، وكان به رمد فقال: أنا أتخلف عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، فخرج عليٌّ فلحق بالنبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم، فلمّا كان مساء الليلة التي فتحها الله في صباحها، قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: لأعطين الراية -أو ليأخذن الراية- غداً، رجلاً يحبّه الله ورسوله -أو قال يحبّ الله ورسوله- يفتح الله عليه. فإذا نحن بعليٍّ وما نرجوه، فقالوا: هذا عليٌّ، فأعطاه رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم الراية، ففتح الله عليه(٢٢٤).

وكشفت الرواية عن أمل كاذب، كان يخامر الطامعين في نيل كرامة المحبة والفتح، وقد أمّلوا في غياب عليٍّ، نيل ما كان محجوباً عنهم عند حضوره، وقد خاب ما كانوا رجوه لأنفسهم لما حلّ ركبه.

ولّما جاء دور عليٍّ عليه السلام، وهو وإنْ جاء متأخراً على غير عادته، فإنَّه نتيجة رمد أصاب عينيه، وإلَّا لم يكن النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ليعدل به إلى غيره، وجد بطل الإسلام لقباً ينتظره، أعلنه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وسمعه القوم، وتمناه أغلبهم حتى أولئك الذين انهزموا.

تصريح النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، جاء مقدماً صفتين مختلفتين، وفي اتجاهين مختلفين:

الاتجاه الأوّل: وفيه عليٌّ عليه السلام، وهو الذي تطابق حبّه لله تعالى ورسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، مع حبِّ الله ورسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم له.

الاتجاه الثاني: وفيه أبو بكر وعمر ومن يعتقد إرساله قبل عليٍّ عليه السلام، وليس فيه تطابق حبّ، بل في الحديث دلالة على أنَّ هؤلاء ليس لهم من حبِّ الله ورسوله، ما يرقى إلى الاعتبار ويقام له وزن.

ولعلَّ أبلغ ما يمكننا أنْ نحتج به في هذا الشأن، اعتراف عمر نفسه بمضمون حبّه للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، حيث قال: يا رسول الله لأنت أحبّ إليَّ من كلِّ شيء إلَّا من نفسي. فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم: لا والذي نفسي بيده، حتى أكون أحبَّ إليك من نفسك. فقال له عمر: فإنَّه الآن والله لأنت أحبُّ إليَّ من نفسي. فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم: الآن يا عمر؟(٢٢٥).

وقد علق المفتونون بحبِّ هذا الرجل على هذه الفضيحة بقولهم: إنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قد زكى قول عمر بأنْ قال له: الآن كمل إيمانك، وهو فهم باطل لا يصح على ذلك الشكل، لأنَّ الإيمان لا يكتسب في لحظة، وإنَّما يأتي تدريجاً، ويكون نتيجة صلاح القلب، والمداومة على الاتباع، وصفاء النية، والعمل بمقتضى التشريع الذي جاء به النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، لذلك فإنَّ ردَّ النبيِّ على استدراك عمر بقوله: الآن يا عمر؟ ردٌّ استنكاريٌّ غير إخباري، في مضمونه لوم، وليس تأييداً

لاســـتدراك الرجل، وإخباراً لتغير حاله، هذا لمن فهم العربية وأدرك معانيها، أمّا لمن أُشرب قلبه بحبِّ ذلك الرجل، فإنَّك أسمعت لو ناديت حياً.أخرج الطبري وابن الأثير في تاريخيهما عن بريدة الأسلمي: حين نزل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بحصن أهل خيبر، أعطى اللواء عمر بن الخطاب، ونهض من نهض معه من الناس، فلقوا أهل خيبر فانكشف عمر وأصحابه، فرجعوا إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يجبّنه أصحابه ويجبّنهم، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لأعطين اللواء غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله**». فلمّا كان الغد تطاول لها أبو بكر وعمر، فدعا علياً عليه السلام وهو أرمد، فتفل في عينيه وأعطاه اللواء، ونهض معه من الناس من نهض، فلقي أهل خيبر فإذا مرحب يرتجز ويقول:

قد علمت خيبر أنِّي مرحب ... شاكي السلاح بطل مجرب
أطعن أحياناً وحيناً أضرب ... إذا الليوث أقبلت تلتهب

فردَّ عليه عليٌّ عليه السلام:

أنا الذي سمتني أُمِّي حيدرة ... أكيلكم بالسيف كيل السندرة
ليث بغابات شديد قسورة

فاختلف هو وعليٌّ ضربتين، فضربه عليٌّ على هامته حتى عض السيف منها بأضراسه، وسمع أهل العسكر صوت ضربته، فما تتام آخر الناس مع عليٍّ عليه

السلام، حتى فتح الله لأولهم[٢٢٦].

أخرج الراوندي: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم دفع الراية إلى عليٍّ عليه السلام، فأخذها وسار بها المسلمون خلفه، حتى وافى باب الحصن، فاستقبله حماة اليهود، وفي أولهم مرحب، يهدر كما يهدر البعير، فدعاهم إلى الإسلام فأبوا، ثمَّ دعاهم إلى الذمة فأبوا، فحمل عليهم فانهزموا بين يديه، ودخلوا الحصن وردّوا بابه، وكان الباب حجراً منقوراً في صخر، والباب من الحجر في ذلك الصخر المنقور، كأنَّه حجر رحى، وفي وسطه ثقب لطيف، فرمى أمير المؤمنين عليه السلام بقوسه من يديه اليسرى، وجعل يديه اليسرى في ذلك الثقب الذي وسط الحجر، دون اليمنى لأنَّ السيف كان في يده اليمنى، ثمَّ جذبه إليه فانهار الصخر المنقور، وصار الباب في يده اليسرى، فحملت عليه اليهود فجعل ذلك ترساً له، وحمل عليهم فضرب مرحباً فقتله، وانهزم اليهود من بين يديه، فرمى عند ذلك الحجر بيده اليسرى إلى خلفه، فمرَّ الحجر الذي هو الباب على رؤوس الناس من المسلمين، حتى وقع في آخر العسكر، قالوا فذرعنا المسافة التي مضى فيها الباب، فكانت أربعين ذراعاً، ثمَّ اجتمعنا على ذلك الباب لنرفعه من الأرض، وكنا أربعين رجلاً، حتى تهيأ لنا أنْ نرفعه قليلاً من الأرض[٢٢٧].

إنَّ الذين تستروا على إخفاق من سبق علياً عليه السلام، وهزيمتهم لم يلتفتوا إلى أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قد فضح أصحابهم، وجرّدهم من كلِّ علاقة مع الله ورسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وعليه يمكننا أنْ نقول بكلِّ وضوح:

كان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على علم مسبق، بفشل الحملات التي قادها من سبق علياً عليه السلام، بسبب أنَّ بعوثهم جميعاً كانت مؤسسة على طلبهم الإمارة، وحرصهم على أنْ يكونوا ضمن الوجوه الظاهرة، حتى على سبيل الشكل والمظهر، وسط المجتمع الإسلامي الفتي، وكان قصارى جهدهم منصبّاً على الحصول على مكانة ما، مهما كانت درجة وهنها وضعفها، وحب هؤلاء للإمارة، ظاهر من خلال تهافتهم على قيادة حملة جديدة، أثبتوا فشلهم في سابقاتها، بدأوها بلا عنوان، وخرجوا منها موسومين بالهزيمة والجبن.

وقد برزت حكمة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، مسدداً بالإرادة الإلهية، على إظهار حقيقة هؤلاء القوم، لمن يفهم التلميح قبل الإشارة والتصريح، فكان إعلانه: غداً أبعث رجلاً يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، كراراً غير فرار، ويفتح الله على يديه. إبرازاً لمكانة عليٍّ عليه السلام، وفي الوقت نفسه فضح لحال من سبقه.وأنا إذ أكتب هذه الاستدلالات، أنبّه إلى نقطة مهمة، وهي أنَّني لست في مجال مقارنة أمير المؤمنين عليه السلام، بالمستشرفين من الصحابة، الذين كانوا يعيشون معه في ذلك الزمن، لأنَّني لو فعلت ذلك لبخست مقام عليٍّ عليه السلام، وإنَّما أنا في هذا المجال، مبين لخصائص إمام الأُمَّة عليه السلام، من بين حجب الجهالة والعداء التي أحاطت بتلك الخصائص، فلم يبصرها غير أولياء عليٍّ عليه السلام.

بقية الأحاديث التي تؤيد مقام الحبِّ الذي حازه الإمام عليٌّ عليه السلام، نقتصر

منها على خمسة أحاديث تقوّي المقصد الأول:

عن أنس قال رسول الله: «**عنوان صحيفة المؤمن حبُّ عليٍّ بن أبي طالب**». (الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد).

حبٌّ عليٍّ عليه السلام واجب، يندرج ضمن سلسلة الولاية، التي أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بمحبتهم، والتي تتمثل بالله ورسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وأولياء أمره عليهم السلام.

وطالما أنَّنا في مجال ذكر صحيفة المؤمن، والحديث عن ظاهرة من مظاهر يوم القيامة، نستطيع أنْ نقول إنَّ ولاية أمر الدين، قد حصرها الله سبحانه وتعالى في اثني عشر ولياً، مفترض الطاعة في الدنيا، قد أعطاهم ذلك المقام نفسه في الآخرة، ليكونوا شهداء على أجيالهم التي عاشوا بينها، يعرفون كلَّ واحد بسيماه التي طبعتها أعماله. قال تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾[٢٢٨].

قد أعطاهم البارئ تعالى مقاليد الأمر والنهي والشفاعة، ودورهم الأُخروي لا يقلُّ قيمة عن دورهم الدنيوي.

قال تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ (*) أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾[٢٢٩].

وأخرج الطبراني بسنده عن أُمِّ سلمة عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله: «**من أحبَّ علياً فقد أحبّني، ومن أحبّني فقد أحبَّ الله، ومن أبغض علياً فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله**»(٢٣٠).

الحبّ لا بُدَّ لصاحبه أنْ يتفاعل مع قلبه، فيصدر عنه ما يفيد ظهوره على حياة المحبِّ، فيكون من أعراضه اتّباع المحبِّ للحبيب، وما يترتب عليه من آثار تنعكس على حياة المحبّ، بحيث تنحصر اهتماماته فقط على إرضاء الحبيب. قال تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾(٢٣١).

ومحبّة الله تعالى تستوجب علينا اتباع رسوله الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم، والاقتداء به والتأسي بخصاله، والسير على نهجه، واتباع سنته، والالتزام بطريقته المثلى.

وكلُّ حبٍّ يجب أنْ يؤخذ على هذا الأساس من الاتباع، كذلك حبّ أولياء الله تعالى، وعليٌّ عليه السلام أوّل الأولياء بعد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، من علامة الإيمان التي أشار إليها، وأكد على أهميتها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، قائلاً لعليٍّ عليه السلام: «**لا يحبّك إلَّا مؤمن ولا يبغضك إلَّا منافق**»(٢٣٢).

ومحبّة عليٍّ عليه السلام أيضاً تستوجب من مريده، اتباع نهجه واقتفاء أثره، لأنَّه الامتداد الحقيقي للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وهو من جهة أُخرى، يمثل الفطرة الصافية النقية، التي لم تتدنس بأنجاس الجاهلية، وقد انفرد دون غيره بهذه الخصوصية،

فلم يدعِ أحد امتلاكها دونه.

من أحبَّ علياً عليه السلام فقد أحبَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ومن أحبّهما فقد أحبَّ الله تعالى، هكذا اقتضت مشيئته، وانعقد حكمه. وعليٌّ عليه السلام هو عنوان أهل البيت عليهم السلام البارز بعد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، عناصر بيته هم خيرة الأُمَّة الإسلامية، وبيوتهم التي أذن الله تعالى أنْ ترفع في كلِّ عصر وجيل، هي أفضل البيوت، أُقيمت على أساس من التقوى، وخصَّ البارئ تعالى أصحابها بفضائل لم تتسنَ لغيرهم، ولعلَّ أكبر سمة ميزت صفوة الدين، إذهاب الرجس عنهم وشدّة تطهيرهم من طرف البارئ تعالى، حيث قال جلَّ من قائل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٢٣٣].

وفضل أهل البيت عليهم السلام لم يأتِ من فراغ، بل جاء بعد مجاهدة ومكابدة، واستجابة تلقائية، للوصول إلى مقام العبودية الحق، فكان جزاءهم على قدر استجابتهم وعملهم، من أجل ذلك دخلوا عوالم الاصطفاء، وتسلسلوا في إطار الذرية التي بعضها من بعض، ولم يتوقف الأمر عند ذلك الحدِّ، فصار إلى أنْ حازوا شرف رئاسة تلك السلسلة، كما حاز سيدهم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم شرف إمامة وزعامة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام.

حبُّ أهل البيت عليهم السلام واجب على كلِّ مسلم، والحبّ الذي نقصده هنا يعني الاتباع والاقتداء والتأسي، وليس حباً يدعي امتلاكه كثيرون، لكنّه مجرد من

جوهره، المتمثل في الأداء العملي الذي يترتب عليه أثر الحبّ.

وقد جاء الأمر من الله وتعالى بحبِّ أهل البيت عليهم السلام، فقال جلَّ من قائل: ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾(٢٣٤)، وحثَّ نبيه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على الإصداع به والترغيب فيه، فقال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في أحاديث عديدة وفي أكثر من مناسبة: «**من أحبّني وأحبَّ هذين وأباهما وأُمَّهما كان معي في درجتي يوم القيامة**»(٢٣٥).

ومثلما اعتادت الأيدي المحرفة الآثمة على إفساد دين المسلمين، وصرفهم عن نيل القربة، بمحبة الصفوة الطاهرة من أهل البيت عليهم السلام، افتعلوا لأجل ذلك روايات باطلة، جاءت عكس الروايات الصحيحة، منها ما روي عن عمرو بن العاص، بائع دينه لمعاوية بإمارة مصر، والخارج عن إمام زمانه، و المحارب له بكلِّ الوسائل غير المشروعة، كالمكر والخديعة، فقد نقلت رواية عن أبي عثمان قال: إنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بعث عمرو بن العاص على جيش ذات السلاسل قال فأتيته فقلت: أيُّ الناس أحبّ إليك؟ قال: عائشة قلت: من الرجال؟ قال: أبوها قلت: ثمَّ من؟ قال: عمر. فعدّ رجالاً، فسكتّ مخافة أنْ يجعلني في آخرهم(٢٣٦).

فتأمل إلى أيِّ مدى ينحدر الإسفاف بأهله، وما قول الرجل: فسكتّ مخافة أنْ يجعلني في آخرهم، إلَّا دليل على مدى الانحدار الخلقي، وضحالة عقل مختلق الرواية، الذي أراد أنْ يسدي معروفاً لمن حارب الله ورسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ليكون

هو أيضاً من ضمن إطار الولاية المفروض محبتهم واتباعهم.

والرواية المنسوبة إلى عمرو بن العاص، تعارضها أحاديث ثابتة، ثبوت وعد النصر الذي وعده الله سبحانه وتعالى أولياءه ورسله في الحياة الدنيا ويوم القيامة، نختصر منها ما يفي بالحاجة، لدحض الباطل، وقد خاب من افترى:

عن ابن بريدة عن أبيه قال: كان أحبَّ النساء إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فاطمة، ومن الرجال عليٌّ. عن جميع بن عمير التيمي قال: دخلت مع عمّتي على عائشة، فسئلت أيّ الناس كان أحبّ إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم؟ قالت فاطمة. فقيل من الرجال قالت: زوجها، إنْ كان ما علمت صواماً قواماً(٢٣٧).

وكلام النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لا يمكن أنْ يتجاوز حدود المنطق والمعقول، فينقلب إلى شطحات ليس لها ضابط، واعتقادي كما اعتقاد كلِّ عاقل، أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم منزه عن اللغو الذي نسبه إليه ابن العاص، في زمن أجهد الأُمويون أنفسهم لمحو آثار البيت الذي أذهب الله تعالى عنه الرجس وطهره تطهيراً، بيت سيدة نساء العالمين، وبيت ولي المؤمنين عليه السلام، وبيت سيدي شباب أهل الجنة عليهما السلام، ابني رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وسبطيه في الأُمَّة من بعده، فأين الثريا من الثرى؟ الأمر بمحبة أهل البيت عليهم السلام، ليس إلَّا لأنَّهم ملاذ الأُمَّة بعد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، في ما سيطرأ عليهم ويستجد من أُمور

لم تكن على عهده، وقد جاءت الآية القرآنية موضحة ذلك المقصد: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[٢٣٨].

مضافاً إلى أنَّهم المثال الحي والمعبر، للإنسان الكامل الذي تحتاجه الأُمَّة، ليكون أسوها وقدوها في كلِّ عصر.

حديث الطير المشويّ

حديث الطير المشوي، هو من الأحاديث التي رواها الحفاظ خلفاً عن سلف، وهو على صحة صدوره عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لم يرق إلى الأحاديث المتواترة، بسبب العداء لعليٍّ عليه السلام، الذي كان سمة عصر بني أُمية، ولم يدوّن الحديث إلَّا في بداية القرن الثاني، عندما اصطلح عليه بأهل السنة والجماعة، فضاعت بسبب ذلك عندهم جملة من الأحاديث، بسبب الحضر والحرق والإهمال الذي مورس على أحاديث النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وتهديد الرواة وتوعدهم بالعقوبة النفي، وانحصر التواتر في عدد قليل منها، بسبب الحرب المعلنة على أهل البيت عليهم السلام، لمحو آثارهم في الأُمَّة.

عن أنس بن مالك قال: أُهدي لرسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم طائر مشوي، فوضع بين يديه فقال: «**اللهم ائتني بأحبِّ الخلق إليك يأكل معي**». قال فجاء

عليٌّ بن أبي طالب فدقّ الباب، فقلت: من ذا؟ قال: «**أنا عليٌّ**». فقلت: النبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلّم في حاجة، حتى فعل ذلك ثلاثاً، فجاء الرابعة، فضرب الباب برجله فدخل، فقال النبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «**ما حبسك؟**» قال: قد جئت ثلاث مرّات ومنعني أنس.

فقال النبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «**ما حملك على ذلك يا أنس؟**» قال: قلت كنت أحبّ أنْ يكون رجلاً من قومي(٢٣٩)، وإنْ كنت في وضع سردي للأحاديث التي تعلقت بحبِّ عليٍّ عليه السلام، فإنّني لن أترك هذه الرواية تمرّ، دون أنْ أُشير إلى نقطة مهمة، تعلقت بنفسيات القوم التي لم يغير منها دخولها للإسلام شيئاً يذكر، فالعصبية التي حدت بأنس بن مالك أنْ يردَّ علياً عليه السلام ثلاث مرّات، طمعاً في أنْ يأتي رجل من الأنصار، ليفوز بالمقام الذي ذكره النبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، ولأنس هذا موقف آخر من عليٍّ عليه السلام بعد وفاة النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، فقد خذل أهل البيت عليهم السلام، ولم ينصرهم على من ناوأهم، وكان واحداً ممّن كتم شهادة حديث الغدير، التي أشهد الناس عليها يوم الرحبة، في فترة حكمه، فادّعى أنس نسيان الحادثة، فدعا عليه أمير المؤمنين بالبرص فبرص في مكانه، وكان يقول بعدها، لقد أصابتني دعوة الرجل الصالح.

وقد قال ابن كثير تعليقاً على حديث الطير: وقد جمع الناس في هذا الحديث مصنفات مفردة، منهم أبو بكر بن مردويه، والحافظ أبو طاهر محمّد بن أحمد بن حمدان،

فيما رواه شـــيخنا أبو عبد الله الذهبي، ورأيت مجلداً في جمع طرقه وألفاظه، لأبي جعفر بن جرير الطبري المفسر وصاحب التاريخ[٢٤٠].

عن أُمِّ سـلمة، قالت سمعت رسـول الله صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم يقول في بيتي لعليٍّ عليه السلام: «**لا يحبّك إلَّا مؤمن ولا يبغضك إلَّا منافق**».

وقول عليٍّ عليه السلام: «**والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة إنَّه لعهد النبيِّ الأُمِّي إليَّ إنَّه لا يحبّني إلَّا مؤمن ولا يبغضني إلَّا منافق**»[٢٤١].

وقد صـدع عدد من الصـحابة بحقيقة تعرفهم على المنافقين، ببغضـهم علياً عليه السلام، وذلك بعد ما أثبته في شأنه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من أنَّه لا يحبّه إلَّا مؤمن ولا يبغضــه إلَّا منافق، منهم ابن عمر، أبو ذر الغفاري، جابر بن عبد الله، أبو الدرداء، أبو سعيد الخدري الذين قالوا: ما كنّا نعرف المنافقين على عهد ر سول الله إلَّا ببغضهم علياً[٢٤٢].

مسك الختام قول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يحشر المرء مع من أحبّ**».

نسأل الله تعالى أنْ يجعلنا من موالي عليٍّ بن أبي طالب وأهل بيته عليهم السلام، ومن أنصارهم بالقلب واللسان واليد، وأنْ يحشرنا معهم وفي زمرتهم وحزبهم، ونتوجه إليه تعالى بالبراءة من أعدائهم، والموالين لهم، إنَّه سميع مجيب.

برز الإيمان كلُّه للشرك كلِّه

لم تتمكن قريش من النيل من رسـول الله صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم، والذين اتبعوه رضـوان الله تعالى عليهم، بعد موقعتي بدر وأُحد، لذلك كان غضـبها كبيراً، إلى حدٍّ جعل زعماءها المحاربين للنبيِّ صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم، يجندون كلَّ طاقاتهم، ويسـتنفرون ما طاله نفوذهم، ووصـلت إليه أيديهم، ولم يرَ في مكة وما جاورها من التجمعات السـكنية، والقبائل المعروفة بحلفها وولائها التقليدي لأهل مكة، إلَّا متهيئاً للحرب، أو داعياً لمزيد تجنيد القوى المناهضـة للدين الجديد، ولم يمضِ على ذلك الاستنفار وقت يسير، حتى امتلأت سكك ودور مكة، بالوافدين على العدو الأول لله ورسوله، أبي سفيان زعيم حزب الشرك.

كان المشـركون على غير عادهم، من الانكسار واليأس كلَّما واجهوا المسـلمين، فقد اختلطت صـيحات الثأر بطبول الحرب وترانيم الفرح، كأنَّما أيقن القرشـيون وحلفاؤهم بالانتصار هذه المرّة.

كلُّ المظاهر تشير، إلى أنَّ شيئاً ما طرأ على المحاربين لله ورسوله صلَّى الله عليه

وآله وســـلَّم، دعاهم إلى التفاؤل بما تخفيه الأيام القادمة، فقد كانوا يوم أُحد، قاب قوسين من الانتصار على المسلمين.

جموع من الناس ملتفة حول رجل فارع الطول، ضــخم الرأس، عظيم المنكبين، وطويل اليدين.. يرمقونه بعيون تكاد تطير من الفرح، فمن هو يا ترى هذا الذي غير حزب الشرك، وقلب حاله من مهزوم يائس، إلى حالم مؤمل بالنصر والغلبة؟

إنَّه فارس الجزيرة العربية الذي لا يشـــقّ له غبار، ذو بأس وجأش شـــديدين، ومراس قلَّ وجوده في فارس غيره، شـــارك في وقعة بدر، وأبلى فيها إلى جانب قريش، بلاءً لم يتوقف حتى أثخنته الجراح فســحبه أصــحابه، وتخلف عن أُحد لأنَّه لم يتعافَ، وشقَّ عليه عدم مشاركته. . الفارس الذي ذاع صيته في بلاد الحجاز، حتى لم يعد خافياً على أحد، والبطل الذي جندل الشجعان، وصياد الأسود الذي لا يشقّ له غبار، جاء إلى دار الندوة، ليجدد حلفه مع المشركين.

كلَّما مرَّ عمرو بن عبد ودّ، متقدماً في مكة نحو دار الندوة، التفّت حوله الجموع المرحبة والمهنئة بالقدوم، وظهرت الفرحة على وجوه، طالما تملكها الهمّ والغمّ، من الهزائم التي مني بها جانبهم، لذلك فهم بعد رجوع عمرو، أكثر إصراراً وتشبثاً بالحرب، بل ومهاجمة المسلمين إذا لزم الأمر في عقر دورهم.

وصـــل عمرو بن ودّ إلى دار الندوة، محمولاً على جناح أمل في نصـــر، يعيد

الاعتبار لقريش وأحلافها، وكانت الجموع المحيطة به، قد أحدثت جلبة وازدحاماً، وأثارت غباراً، زاد في المشـــهد إثارة، وكان المجتمعون في الدار ينتظرون قدومه، ولما تناهت إلى أسماع المجتمعين أصوات الجلبة والصياح، علموا بوصول عمرو، فخرج أبو سفيان ومن معه لاستقباله، وأمام دار الندوة، وقف عمرو بن ودّ ليقسم باللات والعزى وهبل، أنْ لا يدخل رأســه دهن حتى ينتقم لآلهته، ويقضـــي على أعدائه، وبانتهائه من كلماته النارية، تعالت بشـــائر قريش، وطارت بها الفرحة، والإحســـاس بالقوة والغلبة بعيداً، فلم تعد تعي شيئاً من منطق أو عقل، طالما أنَّ في جانبهم عمرو بن ود، وأسفر اجتماع المشـــركين على اســـتنهاض القبائل كافة، والاســـتعانة باليهود في مواجهتهم المصـــيرية.ولّما اســـتكمل المشـــركون عدتهم وعددهم، خرجوا متوجهين إلى يثرب مدينة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، يريدون المباغتة، وحسم المعركة حسماً نهائياً لصالحهم.

تناهت إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أخبار ما عزم عليه المشركون، وعلى رأســـهم أبو ســـفيان، فأمر بالاســـتعداد لملاقاة العدو، وكانت العيون التي تأتيه بالأخبار، جادة في تقصي كلِّ التفاصيل التي تحصل عليها، وكان العباس رضي الله عنه أول تلك العيون، وعلم النبيُّ صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم، بأنَّ المشـركين مستنصـرون بعمرو بن ود، مسـتشـعرون منه المنعة والنصـرة وقوة الجانب، لأنَّه الفارس الذي يهابه الجميع، ولا يهاب هو أحداً.

زاد عدد جنود الشـــرك إلى أضـــعاف عدد المســـلمين، بحيث أصـــبحت المواجهة

المباشرة معهم، تعتبر من قبيل الانتحار، فقد أكدت المعلومات التي وصلت للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، أنَّ المشركين تحركوا في عشرة آلاف مقاتل، وأمر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنْ يحفر خندق حول المدينة، تحسباً لأيِّ طارئ، وكان سلمان آل محمد عليه السلام، الملقب بسلمان الفارسي هو الذي أشار على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بحفره.

وكان أشدّ الناس في حفر الخندق عليٌّ عليه السلام، وسلمان، وعمار، ولئن لم تذكر الروايات مقدار جهد عليٍّ وعمار، إلَّا أنَّها ذكرت جهد سلمان، والذي قدرته بعمل عشرة من باقي الصحابة، وهنا لا يفوتنا أنْ نسائل كتبة التاريخ السلطوي المموه في محتواه: لماذا ذهلوا عن شخصيات فذّة مثل سلمان آل محمد، تاركين مقامه وما قدمه للإسلام وراء ظهورهم؟سلمان ذلك الرجل العارف، ذو البصيرة النافذة، استطاع أنْ يفهم مقاصد الوحي، وإشارات النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في شأن عليٍّ، فكان المبادر إلى الانضمام إلى حلقة مودّته، باعتبارها مودةً لله ولرسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ولأجل ذلك قال فيه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**سلمان منّا أهل البيت**»[٢٤٣].

رداً على طابور النفاق، الذي أراد تحقير سلمان والاستخفاف بشخصه.

وبمقارنة بسيطة، تركتها آثار عليٍّ عليه السلام في حياته الاجتماعية اليومية،

نستطيع أنْ نجزم أنَّ ما بذله عليٌّ عليه السلام، لا يمكن أنْ يقاس به جهد، ولو اجتمع له الناس، لأنَّ من فتح الحصون التي عجز عنها غيره، ومن قلع باب حصن خيبر، ورمى به أربعين ذراعاً، هو الذي كان يكرّ ولا يفرّ، وقد سجل التاريخ عورات غيره في الفرار، هو نفسه الذي كان في زمن السلم، وحتى عندما كان متنازعاً بين تكليف الحكم، ورعية لا تعرف أين تكمن مصلحتها، ولا تدري حقيقة ما يحاك ضدّها، كان يحفر الآبار، ثمَّ يهبها للمستضعفين، يغرسون ويزرعون ويستسقون منها، وهو في الخندق لا بُدَّ أنَّه قد حفر مقداراً لم يستطع العشرات من الصحابة أنْ يوازنوه، فأهمله المؤرخون والمحدثون، خوفاً وحسداً. وعملية الحفر تلك لم تكن بالسهلة أو الميسرة، لأنَّها محكومة بعامل مدّة إنجاز الخندق حول المدينة، وباستعداد وحزم وعزم المسلمين، الذين تجندوا لإتمام عملية الحفر.

واشتد على الصحابة في حفر الخندق محلّ صلب، فشكوا إلى رسول الله، فأخذ المعول وضرب به المكان، فصار رملاً سائلاً(٢٤٤).

ذكر أصحاب السير والتواريخ والرجال، أنَّ المسلمين أتّموا حفر الخندق في وقت قياسي، مدفوعين بعاملين أساسيين هما:

حماية المدينة ومن فيها، في صورة حصول مكروه.

التحصن بالخندق من أعداد المشركين، التي فاقت عدد المسلمين، إلى أكثر من

ثلاثة أضعاف.

وصلت جموع المشركين إلى مشارف المدينة، وجاءت طلائعها لتكتشف خندقاً عظيماً، قد حفر حول المدينة، للحيلولة دون اقتحامها، فاغتاظوا من ذلك غيظاً كبيراً، وجاء عمرو بن ود في عدد من الفرسان الشجعان، ذكر منهم الحلبي نقلاً عن الواقدي: عكرمة بن أبي جهل، وهبيرة بن أبي وهب، ونوفل بن عبد الله بن المغيرة، وحسل عمرو بن ود، وضرار بن الخطاب، فجعلوا يطوفون بالخندق يطلبون مضيقاً منه يعبرونه، حتى انتهوا إلى مكان رأوا فيه ضيقاً، فأكرهوا خيولهم فيه فعبرت... فلمّا رأى عليٌّ عليه السلام ذلك، بادر ومعه جماعة، فأخذ عليهم الثغرة التي عبروا منها ورابط عندها، فإنْ أرادوا قتاله قاتلهم، وإنْ أرادوا الرجوع منعهم، وإنْ حاول غيرهم العبور منعه.

ثمَّ تقدم عمرو وأصحابه إلى جهة عسكر المسلمين، وطلب المبارزة، فلم يجبه أحد، فلمّا سمع عليٌّ ورأى أنَّ أحداً لا يخرج إليه، ترك مكانه من الثغرة، وأبقى فيه أصحابه الذين خرجوا معه إلى الخندق، فقام بين يدي النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**أنا له**»، لأنَّ علياً لم يكن ليبارز بغير إذنه[٢٤٥].

وأخرج الحلبي عند ذكره لغزوة الخندق، التي وقعت في السنة الخامسة للهجرة (والمعروفة أيضا بغزوة الأحزاب) في سيرته: فقال عمرو بن ود: من يبارز؟ فقام عليٌّ كرم الله وجهه وقال: «**أنا له يا نبيَّ الله**»، فقال صلَّى الله عليه (وآله) وسلَّم: «**اجلس إنَّه عمرو بن ود**»، ثمَّ كرر عمرو النداء، وجعل يوبخ المسلمين ويقول: أين جنتكم التي

تزعمون أنَّه من قتل منكم دخلها ؟ أفلا تبرزون لي رجلاً ؟

وأنشد أبياتاً منها :

ولــــقد بححت من الــــــنداء بجمعكم هل من مـــــــبارز
إنَّ الشـــجاعـة في الـفـتـى والجـود مـن خـير الـغـرائـز

فقام عليٌّ كرم الله وجهه فقال : «**أنا له يا رسول الله**»، فقال : «**اجلس إنَّه عمرو بن ود**»، ثمَّ نادى الثالثة، فقام عليٌّ كرم الله وجهه، فقال : «**أنا له يا رسول الله**»، فقال : «**إنَّه عمرو بن ود**»، فقال : «**وإنْ كان عمراً**». فأذن له رسول الله صلَّى الله عليه (وآله) وسلَّم، وأنشد سيدنا عليٌّ أبياتاً منها :

لا تـــــعجلن فــــقد أتا ك مجـيـب قـولـك غـير عـاجـز
ذو نـــية وبــــصيرة والــصدق مـنـجـي كـلَّ فـــــائـز

وفي رواية، أنَّه صلَّى الله عليه (وآله) وسلَّم أعطاه سيفه ذا الفقار، وألبسه درعه الحديد، وعمّمه بعمامته، وقال : «**اللهم أعنه عليه**». وفي رواية : «**إلهي أخذت عبيدة مني يوم بدر، وحمزة يوم أحد، وهذا أخي وابن عمِّي، فلا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين**»(٢٤٦).

وعند خروج عليٍّ عليه السلام، قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم : «**برز الإيمان كلُّه للشرك كلِّه**»(٢٤٧).

فمشى إليه عليٌّ كرم الله وجهه، فقال له : «**يا عمرو إنَّك كنت قد عاهدت قومك،**

أنَّه لا يدعوك رجل من قريش، إلى واحدة من ثلاث إلَّا أخذتها منه»، قال له: أجل، فقال له عليٌّ كرم الله وجهه: **فإنِّي أدعوك أنْ تشهد أنْ لا إله إلَّا الله، وأنَّ محمداً رسول الله، وتسلم لربِّ العالمين»**، فقال: أخر عني هذه، فقال له: **«أما إنَّها خير لك لو أخذتها»**.

ثمَّ قال: **«وأُخرى أنْ ترجع إلى بلادك، فإنْ يك محمد صادقاً كنت أسعد الناس به، وإنْ يك كاذباً كان الذي تريد»**، قال: هذا ما لا تتحدث به نساء قريش أبداً، ثمَّ قال: فالثالثة ما هي؟ قال: **«البراز»**، فضحك عمرو وقال: إنَّ هذه لخصلة ما كنت أظن أنَّ أحداً من العرب يروعني بها، والله يابن أخي ما أحبّ أنْ أقتلك. فقال عليٌّ كرم الله وجهه: **«ولكنّني والله أحبّ أنْ أقتلك»**.

فحمي عمرو وأراد البراز، فقال له عليٌّ: **«كيف أُقاتلك وأنت على فرسك؟»** فنزل عمرو بن ود من على فرسه، وسلَّ سيفه، كأنَّه شعلة نار وعقر فرسه، وأقبل على عليٍّ كرم الله وجهه، فاستقبله عليٌّ بدرقته، فضربه عمرو فيها فقدَّها وأثبت فيها السيف، وأصاب رأسه فشجه، فضربه عليٌّ على حبل عاتقه فسقط عمرو، وكبّر المسلمون، فلمّا سمع النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم التكبير، عرف أنَّ علياً قتل عمرو لعنه الله، وذكر بعضهم أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: **«قتل عليٍّ لعمرو بن ود أفضل من عبادة الثقلين»**[٢٤٨].

غير أنَّ أنفساً مريضة، قد ملئت قيحاً ببغض عليٍّ عليه السلام، كابن تيمية الحراني، مبتدع البدع، وناعق بوق التطرف، ومؤسس حركته، لم يعجبه أنْ تكون ضربة

عليٍّ عليه السـلام أفضـل من عبادة الثقلين (الإنس والجن)، وذلك شـأنه دائماً كلَّما اعترضته فضيلة أو منقبة لعليٍّ عليه السلام، فطفق يوهن الحديث، بقول أخرجه الحلبي عنه في سيرته قال فيه: وهذا من الأحاديث الموضوعة، التي لم ترد في شيء من الكتب التي يعتمد عليها، ولا بسند ضعيف، وكيف يكون قتل كافر أفضل من عبادة الثقلين الإنس والجن، ومنهم الأنبياء، بل إنَّ عمرو بن ود هذا لم يعرف له ذكر، إلَّا في هذه الغزوة[٢٤٩].

ومع أنَّ الحلبي قد ردَّ على ابن تيمية بعد التعرض لكلامه، فإنَّنا نودّ أنْ نذكر من اتبع ابن تيمية ونهجه، لعلَّ الذكرى تنفعه، أنَّ علياً عليه السـلام عندما وقف ثلاث مرّات عازماً على الخروج لعمرو بن ود، لم يكن بمعزل عن المسـلمين، فكلُّهم كانوا محيطين بالخندق من الداخل، وكان النبيُّ صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم بينهم، وفي كلِّ صيحة أطلقها عمرو بن ود، كانوا يتوارون وراء بعضهم، ويخفي المنكشفون وجوههم، خشية أنْ يناديهم عمرو بأسمائهم، ويضعهم موضع الحرج والورطة، وقد أفصح الوحي عن تلك الحالة النفسية السيئة، التي بلغها أصحاب النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقال جلَّ من قائل: ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (*) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (*) وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾[٢٥٠].

واستيقاف النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لعليٍّ عليه السلام مرتين، تشديد منه

على قيمة عمرو كفارس شجاع، ومقاتل شديد المراس من ناحية، وإقامة للحجة على من كان يسمع نداء عمرو من الصحابة، وتلكأ في الخروج تهيباً وخوفاً ورعباً، كلٌّ على قدر وقع صوت الرجل في قلبه، ولما لم يكن هناك من ملبٍّ لدعوة عمرو بن ود، لم يجد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بداً من السماح لعليٍّ عليه السلام بالخروج لمبارزة الرجل.لذلك يمكن القول: إنَّ خروج عليٍّ عليه السلام لمبارزة عمرو، كان في حقيقته خروجاً للإيمان كلِّه، كما هو شأن عمرو بن ود الذي مثل الشرك كلَّه باقتحامه الخندق متحدياً المسلمين داخل تحصنهم، وطلبه المبارزة.

وما قول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عند خروج عليٍّ عليه السلام: «**لقد برز الإيمان كلُّه للشرك كلِّه**» إلَّا تقرير لواقع لا يمكن لعاقل حجبه عن شمس الحقيقة، فالنداء الذي أطلقه عمرو بن ود في مواجهة جموع الصحابة الرابضين قبالته، كافي معانيه بأنْ يدفع من به إيمان، إلى الخروج له لنيل إحدى الحسنيين، إمّا النصر وإمّا الشهادة.

والإحجام عن الخروج في تلك الحال، ليس إلَّا خوفاً وجزعاً وتهيباً من عمرو بن ود، وبطشه في القتال، ودليل أيضاً على أنَّ الإيمان لم يكن معانقاً تلك القلوب التي سمعت النداء، وصمتت عن تلبيته. ومن تلك الحالة الإيمانية التي اكتنفت علياً عليه السلام، قرر الوحي أنْ تكون ضربة عليٍّ عليه السلام أفضل من عبادة الثقلين، لأنَّه لو خسر عليٌّ وقتل عليه السلام في تلك المناجزة، لأصبح النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم

ورسالته في خطر، وقد جاء في دعائه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لعليٍّ، وهو يخرج إلى عمرو بن ود: «**ربي لا تذرني فرداً**». ما دلَّ على بقاء النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بدون سند وعضد، لو قتل عليٌّ في تلك المبارزة، وإنْ دلَّ ذلك على شيء، فإنَّما يدلُّ على أهمية ومكانة عليٍّ عليه السلام عند النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

وما معركة أُحد عن ذلك المعنى ببعيدة، فمجرد دعاية تناهت إلى أسماع المسلمين، مفادها أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قد قتل، ملئت قلوبهم رعباً، أحلت محلّ اليقين الذي بدأ ينمو في قلوبهم، إلى شك قاتل مميت للإيمان، ففروا تاركين النبيَّ يصارع المشركين مع عليٍّ عليه السلام، وعدد قليل ممّن ثاب إلى رشده.

فلو قتل عليٌّ عليه السلام في مبارزته لعمرو بن ود، لارتفعت معنويات المشركين، ولأمكنهم عبور الخندق من تلك الثغرة التي عبر منها صاحبهم، ولانقلبت الموازين كلُّها لصالحهم، وحصل مكروه للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ودينه.انتهت معركة الخندق بعد مقتل عمرو بن ود، وسارع عليٌّ عليه السلام إلى مطاردة من تجاوز الخندق مع عمرو، فقتل ابن عمرو بن ود وألحقه بأبيه، ثمَّ قتل نوفل بن عبد الله المخزومي، بعدما سقط في الخندق، وانهال عليه من بقي بالثغرة رمياً بالحجارة، فرفع صوته منادياً: يا معشر العرب قتلة أحسن من هذه.

فنزل إليه عليٌّ عليه السلام فضربه ضربة قدّته نصفين. أمَّا هبيرة، فلم يتمكن عليٌّ عليه السلام من اللحاق به، ولولا درعه التي احتقبها لقتله، فقد أصابت الضربة

الدرع فأســـقطتها، وأصـــاب منبه بن عثمان العبدري إصـــابة بليغة، فمات منها في مكة[٢٥١].

وبعليٍّ كفى الله المؤمنين القتال في تلك الوقعة. قال تعالى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾[٢٥٢].

بعليٍّ بدأ القتال، وبه انتهى، وبصـولاته الحاسمة كفي المؤمنون مؤونته، فقد أخرج الشـــيخ جلال الدين الســـيوطي في تفســـيره الدر المنثور، نقلاً عمّا اســـتدركه الحاكم النيســـابوري عن (الصـــحيحين)، والخطيب البغدادي من تاريخ بغداد، ما لفظه أنَّ الله كفى المؤمنين القتال بعليٍّ بن أبي طالب.

ذكر الحلبي أنَّ عمرو بن عبد ود كان له من العمر تسـعين سـنة آنذاك. (السـيرة الحلبية ج٢ص٣٢٨ باب غزوة الخندق).

ولئن مرَّ الحلبي على ذلك الزعم مرور الكرام ولم يعقب، فإنَّ البصـير لا يمكنه أنْ يتجاهل ما فيه من نية مبيتة، لتوهين الشخص المبارز للإمام عليٍّ عليه السلام، وتقديمه للقارئ على أنَّه شيخ طاعن في السـن، قاب قوسين أو أدنى من القبر، ومبارزته أو قتله ليس فيه ما يوجب الإكبار والتقدير، بل لعلَّ العيب في أنْ يخرج له فتى يتقد قوّة، مثل الإمام عليٍّ عليه السلام، ولو كان عمرو بن عبد ود في تلك السن، لما استطاع أنْ يجتاز الخندق، ولما هابته جموع الصـــحابة وارتاعت من ندائه، ولانبرى أضـــعفهم قتالاً إليه، ليجهز عليه بضربة واحدة.

وهذه عينة أُخرى من عينات التحريف والتزوير، التي طالت مقام الإمام عليٍّ عليه السلام، بتصغير أعماله العظيمة، والتقليل من الشأن الذي بذله يوم الخندق.

لم يكتفِ هؤلاء الأدعياء بتحاملهم على الإمام عليٍّ عليه السلام، فانثنوا على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يكيلون له التهم، ويلصقون به النقائص، التي لا تجوز حتى على بسيط القوم، فأهانوه بادعاء تافه رخيص، أخرجه الحلبي في سيرته متبعاً أثر من سبقوه فقال:

وكان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يختلف إلى ثلمة في الخندق، والثلمة الخلل في الحائط، فعن عائشة قالت كان صلَّى الله عليه وسلَّم يذهب إلى تلك الثلمة، فإذا أخذه البرد جاء فأدفأته في حضني، فإذا دفئ خرج إلى تلك الثلمة، ويقول ما أخشى أنْ يؤتى المسلمون إلَّا منها، فبينا رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم في حضني، صار يقول ليت رجلاً صالحاً يحرس هذه الثلمة الليلة، فسمع صوت السلاح، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم من هذا؟ فقال سعد بن أبي وقاص: سعد يا رسول الله أتيتك أحرسك، فقال: عليك هذه الثلمة فاحرسها، ونام رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم حتى غط[٢٥٣].

لا شك أنَّ العاقل يدرك تماماً، أنَّ السفيه الذي وضع ذلك التصور الروائي التافه، لم يكن يملك من دين ولا رجاحة العقل شيئاً، ومن نقل عنه لم يكن أقل سوءاً منه، لأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لا يفزع في مدلهمات الأُمور إلَّا إلى الله تعالى،

فلا برد يثنيه، ولا حرّ يقعده، وهو في كلِّ الأحوال ليس بمنأى عن المحيطين به، يستطيع بكلِّ يسر أنْ يأمر من يحرس ذلك المكان الضعيف، ولو اكتشف النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ضعفاً، في موضع ما من الخندق، لعالجه بكلِّ الطرق دون الطريقة التي ذكرها الرواية، ودفئ الحضن الذي افتعله الراوي ليجعله منقبة لزوجة من زوجاته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، لا ينسجم مع شخصية النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ولا يتطابق مع أجواء الاستنفار التي بلغت ذروتها، استعداداً لمواجهة عظيمة غير متكافئة العدّة والعدد، ورسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قليل النوم في الأيام العادية، فما بالك بأيام عصيبة مثل التي مرّت به في وقعة الخندق، وإنْ كان نومه قليلاً فكيف يكون غطيطه وهو الذي تنام عيناه ولا ينام قلبه؟ وهو سلوك لا ننزه عنه النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، بل ننزه عنه كلَّ قائد واعٍ يمتلك من الدراية والحكمة والنضج، وما ذكر هنا ينطبق على المراهقين والمتصابين، لا على الأنبياء العظام والقادة الكبار.

وأُلاحظ هنا أنَّه كلَّما مرّرت بنقيصة أُلصقت بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، إلَّا ووجدت وراءها من يحاول أنْ يجد لنفسه يداً على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، غير ملتفت إلى أنَّ تلك الحالة لا تتفق مع خاصيات النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ورسالته السمحة، وبحثنا المنشور على هذه الصفحة دفاعاً عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، يؤكد ذلك التمشي الخاطئ، الذي سلكه أدعياء السنة النبوية.

أمَّا الثلمة فهي الفجوة التي تظهر في البناء، ولا تنطبق على المكان الضيق أو

المخفض من الخندق، وحريٌّ به أنْ يسمي ذلك المكان الضيق بالمضيق.

وعلى ذلك نقول ما هذه السيرة والسنة التي نسبتموها للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ثمّ نسبتم أنفسكم لها؟هل تستطيعون أنْ تميزوا الخبيث من الطيب منها، وقد بانت عوراتها لمن يبصر؟

وفي خليط مثل الذي تسبحون فيه، كيف يمكنكم أنْ تعرفوا النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نفسه، حتى يمكنكم أنْ تعرفوا علياً عليه السلام؟

وفي ظل ما خلص من براثن الظلم والظالمين، كيف أمكنكم أنْ تتفيؤوا ظلال التحريف والتأويل الخاطئ؟

لماذا تنكبتم عن عليٍّ عليه السلام على الرغم من الحقائق التي تناقلتها رواتكم وكتبكم عنه؟

أليس عليٌّ عليه السلام وليَّ كلِّ مؤمن ومؤمنة بعد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؟

أليس هو فوق ما جاء فيه من نصوص، الأقرب والأحب للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، والأتقى لله تعالى، والأكثر جهاداً في سبيله، باب مدينة علمه وربيب وحيه؟

أليس فيكم من ثائب إلى رشده، يخاف الله تعالى من أنْ يحيف عليه، من أجل

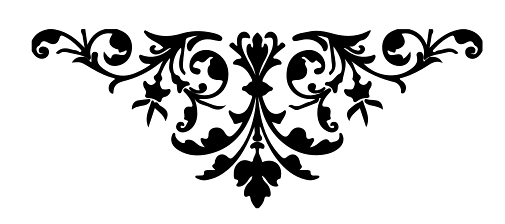
عليٍّ عليه السلام وانتصاراً لحقه المغصوب؟

صفحة عليٍّ عليه السلام في الجهاد لا تقف عند غزوة الأحزاب، بل تتعداها إلى كلِّ المعارك التي خاضها النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وصنوه، من أجل إعلاء كلمة الله تعالى، لذلك نقول إنَّ لنا عودة لذكر عليٍّ عليه السلام، في بدر وأُحد وحنين وخيبر، لسبب واحد مفاده: أنَّ اليد الطولى في كلِّ هذه المواجهات المصيرية، هي يد عليٍّ عليه السلام.

لقد أسأتم إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، قبل إساءتكم لعليٍّ عليه السلام في أكثر من موضع، من أجل إعطاء مكانة موهومة لغيره، ولو عدتم إلى كتبكم الروائية الموصوفة بالصحاح، لوجدتم فيها ضلالات ليست من الدين في شيء.

نحن لا نريد سوى إحقاق الحق، وليس لدينا غاية غير إرضاء المولى تعالى، بنصرة كلمته وإعلائها، لذلك فإنَّنا نسأله تعالى أنْ يمنَّ على بقية المسلمين ببصيرة، تدفع التحريف عن مضارب الدين الخاتم، ونفاذ رأي يدفع غائلة الجهل عنهم، ونورٍ في القلوب، ليميز من يريد تمييز الخبيث من الطيب، إنَّه سميع مجيب.

أمير المؤمنين



استمر الاعتداء على خصائص الإمام عليٍّ عليه السلام، حيث انتحل الجاهلون أهمّ ألقابه، ونسبوه إلى من هبَّ ودبَّ، من طغاة الأُمَّة وفساقها وجناتها، إلى درجة أنْ سئم منه الناس، ومجّته عقولهم، وهم يرونه مقترناً وملازماً لأسماء، عفر التاريخ صفحات سيرها، بما جنته أيديهم الآثمة من جرائم، واقترفته من فضائع.

ومنذ أنِ انتحل المبطلون لقب الإمام عليٍّ عليه السلام، وأُلقي تزلفاً وتقرباً ومخادعة، من طرف من شهد له التاريخ، بالمكر والدهاء والخديعة، ظل تتقاذفه ألسن النفاق، من سيئ إلى أسوأ، حتى هان اللقب وكان مصيره معاوية وابنه يزيد، وبقية طغاة بني أُمية، وعلى رأسهم الوليد، وما أدراك ما الوليد، صاحب المجون والخمور، والداعي إلى الفجور، ثمَّ تداعت النكبات عليه، فقرن بطغاة بني العباس من السفاح إلى المتوكل، وكان من باب أولى، أنْ يتسموا جميعاً بأُمراء الفسق والنفاق والجريمة، والاستخفاف بدين الله وأوليائه الطاهرين، ولله درّ دعبل الخزاعي في ما قال وأجاد:

ما ينفعُ الرجسُ من قرب الزكي ولا على الزَّكيِّ بقُرب الرِّجس من ضرر

هيـــهات كلُّ امرئٍ رهـــنٌ بما كسبت لــه يـــداهُ فخـــذ مـــا شئت أو فـــذرِ

أمير المؤمنين، هو أكبر ألقاب عليٍّ عليه السلام، خص به دون غيره، ولم ينتقل إلى أحد من أبنائه عليهم السلام، لمعرفتهم بأنَّه من خواص أبي الحسن عليه السلام، فهذا أبو محمّد الحسن بن عليٍّ عليهما السلام، يخلف أباه ويبايعه الناس، ومع ذلك لا ينادى عليه بأمير المؤمنين، لمحلّ اللقب من أبيه. أمّا كيف جاء؟ ففي حادثة الغدير نزل جبرائيل عليه في ذلك الموضع، في يوم الخميس في الثامن عشر من ذي الحجة، السنة العاشرة من الهجرة النبويّة المباركة، بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، حيث أمره الله سبحانه أنْ يقيم علياً إماماً للأُمَّة، ويبلغهم أمر الله سبحانه فيه.

فما كان من الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلَّا أنْ أمر بردِّ من تقدم من الناس، وحبس من تأخر منهم. ثمَّ صلَّى بهم الظهر، وبعدها قام فيهم خطيباً على أقتاب الإبل، وذلك في حرِّ الهاجرة. وأعلن، وهو آخذ بضبع علي عليه السلام: إنَّ علياً أمير المؤمنين، ووليهم، كولاية رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لهم. حيث قال: «**من كنت مولاه فعليٌّ مولاه (قاله ثلاثاً أو أربع مرات) اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وأحبّ من أحبّه، وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله**».

فنزلت الآية الكريمة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾(٢٥٤).

ثمَّ طفق القوم من الصـــحابة يهنؤون أمير المؤمنين عليه الســـلام، وفي مقدمتهم الشيخان: أبو بكر وعمر، وغيرهما من المعروفين من صحابة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

فمن كان النبيُّ صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم أولى به من نفسـه، وهو مولاه، ومن كان كذلك، فإنَّ موالاته ستكون لعليٍّ عليه السلام من بعده، وأولياء عليٍّ عليه السلام هم المؤمنون، وهو مولاهم، ومن كان كذلك، فإنَّه حقيق بأنْ يكون أميراً للمؤمنين، مختصاً بها دون غيره.

الأدلـة الأُخرى التي تتفق مع نســبـة لقـب أمير المؤمنين لعليٍّ عليـه الســـلام واختصاصه به هي:

١ـ أخرج ابن مردويه بإســناده عن أصــبغ بن نباتة قال: لما أُصــيب زيد بن صـــوحان يوم الجمل، أتاه عليٌّ عليه الســـلام وبه رمق، فوقف عليه وهو يتألم لما به، فقال: «**رحمك الله يا زيد، فو الله ما عرفتك إلَّا خفيف المؤونة، كثير المعونة**»، قال فرفع رأسه وقال: وأنت مولاي يرحمك الله، فو الله ما عرفتك إلَّا بالله عالماً، وبآياته عارفاً، والله ما قاتلت معك من جهل، ولكنِّي سمعت حذيفة بن اليمان يقول سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله يقول: «**عليٌّ أمير البررة، وقاتل الفجرة، منصور من نصره، ومخذول خذله، ألا وإنَّ الحق معه ويتبعه، ألا فميلوا معه**»(٢٥٥).

والبررة في هذا الحديث هي صفة للمؤمنين، وجمعها الثاني أبرار، ومعناها الصدق

والطاعة، كما جاء في لسان العرب، وأمير البررة والأبرار، هو أمير المؤمنين بالضرورة.

٢ - قول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله لعليٍّ عليه السلام: «**لا يحبك إلَّا مؤمن ولا يبغضك إلَّا منافق**».

وقد أفصح عليٌّ عن ذلك بقوله: «**لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أنْ يبغضني ما أبغضني، ولو صببت الدنيا برمتها على المنافق على أنْ يحبّني ما أحبّني، وذلك أنَّه قضي- فانقضى- على لسان النبيِّ الأُمِّي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنَّه قال: يا عليُّ لا يبغضك مؤمن، ولا يحبك منافق**»[٢٥٦].

فدلَّ ذلك على أنَّ الذي اجتمع المؤمنون على حبّه، وكان ذلك علامة إيمانهم، لا بُدَّ أنْ يكون أميراً لهم، فهم المؤمنون، وهو أميرهم بلا فصل.

٣ - إقرار ابن الخطاب، ومن حضر يوم الغدير وبيعته العامة، حيث كان من ضمن المبايعين بقوله: هنيئاً يابن أبي طالب، أصبحت و أمسيت مولى كلِّ مؤمن ومؤمنة[٢٥٧].

فمن كان مولى كلِّ مؤمن ومؤمنة، لابُدَّ أنْ يكون أميرهم وسيدهم وقائدهم ومقدمهم، وقد شهدوا على أنفسهم بولاية عليٍّ عليه السلام، لكنَّهم عملوا بخلافها، والله تعالى سائلهم عنها.

٤ - روى الحافظ أبو نعيم في حليته بسنده عن أنس بن مالك قال: بعثني النبيُّ

صـلَّى الله عليه وسـلَّم، إلى أبي برزة الأسـلمي، فقال له – وأنا أسمع – «**يا أبا برزة، إنَّ رب العالمين عهد إليَّ عهداً في عليٍّ بن أبي طالب، فقال: إنَّه راية الهدى، ومنارة الإيمان، وإمام أوليائي، ونور جميع من أطاعني، يا أبا برزة: إنَّ عليَّ بن أبي طالب، أميني غداً في القيامة، وصاحب رايتي، عليٌّ مفاتيح خزائن رحمة ربِّي**»(٢٥٨)

٥ – أخرج الطبراني وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: ما أنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلَّا وعليٌّ أميرها وشريفها، ولقد عاتب الله أصحاب محمّد في غير مكان، وما ذكر علياً إلَّا بخير(٢٥٩).

٦ – أخرج ابن عساكر عن ابن عباس قال: ما نزل في أحد من كتاب الله تعالى ما نزل في عليٍّ(٢٦٠).

وبعد أنْ عرفنا أنَّ لقب أمير المؤمنين، لا يمكن أنْ يعدو علياً عليه السلام، ننتقل إلى البحث عمّن صرفه عنه، تعدياً وتجاوزاً لحق كان له خاصة، وسبب ذلك؟

عن ابن شهاب، عن سليمان بن أبي خيثمة، عن جدته الشفاء –وكانت من المهاجرات الأُول– وإنَّ عمر إذا دخل السوق أتاها، قال: سألتها من أول من كتب: (عمر أمير المؤمنين؟) قالت: كتب عمر إلى عامله على العراقين: أنِ ابعث إليّ برجلين جلدين نبيلين، أسألهما عن أمر الناس، قال: فبعث إليه بعدي بن حاتم، ولبيد بن ربيعة، فأناخا راحلتيهما بفناء المسجد، ثمَّ دخلا المسجد، فاستقبلا عمرو بن العاص،

فقالا: استأذن لنا على أمير المؤمنين. فقلت: أنتما والله أصبتما اسمه، وهو الأمير، ونحن المؤمنون. فانطلقت حتى دخلت على عمر، فقلت: يا أمير المؤمنين. فقال: لتخرجن ممّا قلت أو لأفعلن قلت: يا أمير المؤمنين، بعث عامل العراقين بعدي بن حاتم ولبيد بن ربيعة، فأناخا راحلتيهما بفناء المسجد، ثمّ استقبلاني فقالا: استأذن لنا على أمير المؤمنين، فقلت: أنتما والله أصبتما، اسمه هو الأمير، ونحن المؤمنون.

وكان قبل ذلك يكتب: من عمر خليفة خليفة رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، فجرى الكتاب من عمر أمير المؤمنين من ذلك اليوم.

وقيل: إنَّ المغيرة بن شعبة قال له: يا خليفة الله، فقال عمر: ذاك نبيُّ الله داود، قال: يا خليفة رسول الله، قال: ذاك صاحبكم المفقود (أي أبو بكر)، قال: يا خليفة خليفة رسول الله، قال: ذاك أمر يطول، قال: يا عمر، قال: لا تبخس مقامي شرفه، أنتم المؤمنون وأنا أميركم، فقال المغيرة: يا أمير المؤمنين[٢٦١].

ولنا مؤاخذات في متن الرواية، بعد الطعن في صحة سندها، الذي يكفيه بطلاناً وجود المغيرة بن شعبة فيه، وما أدراك ما مغيرة الفسق والبهتان والبغي، فلقب خليفة الله ليست حكراً بنبيِّ الله داود عليه السلام، بل تشمل جميع خلفاء الله في أرضه، بدءاً من آدم عليه السلام، وانتهاء بالنبيِّ الأكرم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فلا معنى لحصرها في النبيِّ داود عليه السلام فقط، وقول ابن الخطاب إنَّ خليفة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم هو ابن أبي قحافة، مخالف لما ألزم به نفسه هو وصاحبه وجماعتهم، من أنَّ

النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لم يستخلف، فكيف يجوز لهم إطلاق لقب خليفة رسول الله على من لم يستخلفه؟

فإنْ قيل إنَّه استخلفه ليصلِّي بالناس، قلنا إنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ما كان له أنْ يعطي أمرين في وقت واحد، فمن غير الممكن أنْ يسند رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مهمتين مختلفتين لشخص واحد، لامتناع تحقق ذلك من جهة الزمن والمسافة والقدرة، ذلك أنَّ الذي أرسله في جيش أسامة بن زيد مع صاحبيه في السقيفة، لا يمكن أن يعينه للصلاة بالناس، وهو يعلم محلّه بمركز تجميع الجيش.

ولو صحّ التعيين المزعوم، لما بادر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وهو على تلك الحال من المرض والوهن - روحي له الفداء- إلى إبطال تلك الصلاة، وعزل متقلد إمامتها، فتبين أنَّ زعم الصلاة بالناس المنسوب لابن أبي قحافة، مفتعل انتبه إليه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وأبطله بتحركه المبارك، وأداً للفتنة التي استشرت في أواخر أيام حياته الشريفة.

من هنا، تبين أنَّ لقب أمير المؤمنين، قد انتحله شخصان لابن الخطاب، عمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وكلاهما غير مأمونين، لمحلِّ الدهاء والمكر والخديعة فيهما، فالأول كما هو معلوم صاحب معاوية، ومؤسس دولة ظلمه، ومنقذه من هزيمة محققة في حرب صفين، عندما أشار عليه برفع المصاحف، ومحله في جيش البغاة كمستشار أول لمعاوية، في مقابل ولاية مصر.

والثاني داهية الدواهي، ومصيبة المصائب، قتل أصحابه غرة وغدراً، واستولى على عطاياهم، ثمَّ هرب إلى المدينة ليعلن إسلامه، خوفاً من ثأر قريش منه، فقبل الرسول إسلامه، ولم يقبل منه ماله. كان من أول المبادرين إلى معاوية، فاستعمله في أسوأ الأعمال، وهي الدعاية المفرطة ضدَّ الإمام عليٍّ عليه السلام، وسبّه والكذب عليه وعلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وكان على الكوفة والمدينة، من أشدّ الأُمويين ضراوة على أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم.لقد استهدف تراث أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام، طيلة العصر الأُموي، فوق ما مهده الغاصبون الأوائل لحكومته، مع ما رافق ذلك من إجراءات المنع والتتبع والتصفية الفكرية والجسدية، ولولا ربانية هذا الخط، لما بقيت له باقية بعد طول المدّة وقسوة العدوان.

هذه أدلتنا على أحقية أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام بجملة ألقابه المنهوبة، بينتها لمن طاب معدنه، وطهر مولده، وصفت روحه، وعزّت نفسه عن مجاراة اللئام، في تطاولها على موائد الكرام، ليحيا من حيّ على بينة، ويموت من مات على بينة، وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربِّ العالمين.

الفاتح العظيم

«لولا مال خديجة وسيف علي لما قام للإسلام قائمة»



كذلك صدع بها النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وهو الصادق الأمين، بيضاء من غير سوء، إلى الآذان الواعية، من طلاب الهداية والنجاة، فلم تترك كلماته تلك، على اختصار مفرداتها، ووضوح معانيها، مجالاً للتأويل، ولا باباً لبلوغ الحقيقة المرجوّة، غير باب الإقرار بأنَّ للإسلام الذي جاء به النبيُّ الأعظم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، له على الناس أفضال وأيادٍ، ما عدا خديجة وعليّاً عليهما السلام، فإنَّ لكلٍّ منهما فضلاً ويداً، أبطلت ادّعاء من ادّعى بأنَّ لزيد أو لعمرو مالاً وضعاه تحت تصرف النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

أمّا فضل خديجة عليها السلام، فهي التي أنفقت مالها، إلى الحدِّ الذي لم يعد لها شيء منه، فأعتقت رقاباً من المستضعفين، كانت قاب قوسين أو أدنى من الهلاك، على أيدي مشركي مكة، وهم تحت وطأة التعذيب، فأنس بها النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ووسعه قبلها الكبير حباً وحناناً، فبشرها الله على مواساتها الكبرى، بمنزلة في

الجنة، لا توازيها فيها سوى ابنتها فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين[٢٦٢].

وأمّا فضل عليٍّ عليه السلام، فهو الذي التزمه صغيراً، وأعانه يافعاً في مرحلة الدعوة السرية والعلنية، وكان له فيها دور لا يقل أهمية وقيمة عن بقية أدواره، التي حاول من حاول غبنها وإقالتها، ولئن بخل التاريخ عن ذكر تفاصيل تلك المرحلة- تجنّياً وإجحافاً من كتبته- فإنَّ ما تضمنه من مواقف، تشير إلى البلاء الذي أبلاه عليٌّ عليه السلام قبل الهجرة، وهو الذي أدار رحى الحرب على الشرك، وبرى أسنتها وحدّ شفرتها، وأعدّ عدّتها، وأبلى فيها بلاءً لو اجتمع له الإنس والجن، ما استطاعوا أن يبلغوا معشار ما قدّمه عليٌّ عليه السلام.

وبقدر ما اجتهد عليٌّ عليه السلام، وبذل من أجل إعلاء كلمة الله تعالى، بقدر ما أجهد أعداؤه أنفسهم وطاقاتهم من أجل إعفاء مقامه الحميد، ومحو أثره التليد، ما أمكنهم من فضائله وخصائصه، التي انفرد بها عن غيره، ولم يشاركه فيها أحد.أيادي عليٍّ عليه السلام، وصولاته وجولاته، لم تكن العنوان البارز، والعامل المؤثر، والسمة التي لا تنمحي في كبرى المعارك، التي عنونت المواجهة بين قوى الإيمان، على قلة عدّتها وعددها، في مواجهة الشرك، طوال مسيرة الرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم، بل امتدت إلى أنْ طالت كلَّ الغزوات والسرايا التي شارك فيها، باستثناء غزوة تبوك، حيث أمره رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بعدم المشاركة فيها، واستبقاه أميراً على المدينة، ليحميها من غدر المنافقين، الذين خططوا وأعدّوا العدّة للاستيلاء عليها

في غياب حماتها، ولم يغادرها النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، حتى أوضح للمسلمين مكانة عليٍّ عليه السلام، ومنزلته بالنسبة إليه قائلاً له: «**أما ترضى أنْ تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلَّا أنَّه لا نبيَّ بعدي**»، فكان تصريح النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وإفادته بمنزلة عليٍّ عليه السلام بحق، خير وسام وضع على صدره.

وعليٌّ عليه السلام يعتبر الوحيد الذي لم يستشرف لإمارة، ولم يتطاول لقيادة، وكان دائماً خلاف غيره، لا يهمه شيء من أمر الإمارة، ومع أنَّه كان يرى أنَّ الجهاد في سبيل الله، والبذل والتضحية من أجله، أولى من البقاء وتسنّم مقاليد الإمارة، أمّا إذا كانت رغبة الله ورسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في بقائه، فليس له إلَّا السمع والطاعة والتنفيذ، بلا تردد وكان ذلك ديدنه دائماً.

وفوق ما قاله النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لعليٍّ عليه السلام، عند إبقائه أميراً على المدينة في غزوة تبوك، يتراءى لنا دوره العظيم والمهم في حماية عاصمة الدولة الإسلامية من نزو المنافقين، وردعهم عن اقتراف أيِّ حماقة، وهو ما حصل فعلاً فلم يحصل شيء فيها يكدر صفو المستضعفين فيها، ومن هنا نستطيع أنْ نخلص إلى أنَّ علياً عليه السلام كان وحده جبهة وجيشاً، وبمفرده يستطيع أنْ يغير نتيجة المواجهة. تحدثت سابقاً عن كبريات المعارك التي خاضها النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وذكرت فيها ما أمكن للتاريخ أنْ ينقله على تحيز وتحرف، ما خلاصته:

إنَّ بلاء عليٍّ عليه السلام في تلك الغزوات أوضح من الشمس في رابعة النهار،

ولولا عليٌّ عليه السلام لما قام للإسلام قائمة، وقد صدق النبيُّ فيما صرح به، شخص كعليٍّ عليه السلام من المفترض أنْ يكون محبوباً من جميع المحيطين به، لأنَّ بلاءه الذي أبلاه قد فاض عليهم يمناً وبركة وعزة، لكنّنا نرى أنَّ الواقع كان خلاف المتوقع، حيث تكاثر الأعداء من حوله، على مرأى ومسمع من النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، رغم نهيه وتنبيهه على خطورة معاداة عليٍّ عليه السلام، فلم تجد نصائحه ونداءاته آذاناً صاغية، باستثناء قليل من العارفين بمقامه الكبير.ولا عجب من كثرة أعداء عليٍّ عليه السلام، وهو بما قدمه من أجل إعلاء كلمة الله تعالى، ونصرة نبيّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، قد استوى على منزلة المحبة الإلهية، أحبّ الله ورسوله ووالاهما، وقدم من أجلهما ما يعبر عن تلك المحبة وذلك الولاء، فأحبّه الله ورسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وبادلاه حبّاً بحبٍّ أكبر وأعظم.

لم تمر مواجهة بين الإيمان والشرك إلَّا وترك عليٌّ بصماته جلية عليها، بحيث كان ثقلاً فيها وحده، وانتصاراً وحده.

أمّا في بقية المواجهات الثانوية، والتي عرفت بالسرايا، فهي أيضاً موسومة بعليٍّ سمة المملوك للمالك، وحق له بذلك أنْ تنقاد لإرادته طائعة مستكينة.

وحتى نعطي صورة أوضح، لما جاد به التاريخ منها، لا بُدَّ لنا من التعريج عليها بشيء من الإيجاز.كانت غزوة بني النضير في السنة الرابعة من الهجرة المباركة، عندما بدأ اليهود ينقضون عهودهم، وكان عليٌّ عليه السلام فيها حاسماً كعادته، فقد كمن في

الليل لصـــنديد من صـــناديد اليهود اسمه عزول، وكان رامياً لا تخطئ رميته، وقد فقد المسلمون علياً، فأخبروا النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقال لهم: «**دعوه فإنَّه في بعض شـأنكم**». فلم يلبث أنْ جاء برأس غزول، وأخبر النبيَّ بأنَّ اليهودي خرج من حصـنه، وجاء يطلب غرّة من المسـلمين، فكمن له وشـدَّ عليه فقتله، وفرَّ من كان معه، فأرسـل النبيُّ صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم مع عليٍّ عليه السـلام أبا دجانة، وسـهل بن حنيف في عشرة، فأدركوا بقية اليهود فقتلوهم(٢٦٣).

وفي غزوة بني المصطلق في السنة الخامسة للهجرة المباركة، قتل عليٌّ عليه السلام مالكاً وابنه، وكان السـبب في غنم ما غنم المسـلمون من الأنعام، وسـبي جويرية بنت الحارث فأسـلمت، وأعتقها النبيُّ صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم وتزوجها، وقد ذكر ابن هشـام في سـيرته، أنَّ علياً عليه السـلام حارب في هذه الغزوة كفار الجن، بأمر من النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم(٢٦٤).

وفي سرية إلى بني سعد بن بكر في نواحي فدك، وفي شعبان سنة ست من الهجرة المباركة، قبل فتح خيبر، بعث النبيُّ علياً في مائة رجل، فجعل يسـير الليل ويكمن بالنهار، فلمَّا وصـل بهم إلى ماء بين خيبر وفدك، وجد عليه رجلاً اعترف بأنَّه عين لبني سـعد، وأنَّه مرسـل إلى يهود بني خيبر يعرض عليهم نصـرهم، على أنْ يجعلوا لهم من تمرها ما جعلوا لغيرهم. ودلّهم على مكان القوم، وكانوا قد جمعوا نحو مائتي رجل، ولّما وصلوا لم يجدوا أحداً سوى الرعاء، الذين فروا تاركين النعم، وهي خمسمائة بعير وألفا

شاة، اختار منها عليٌّ عليه السلام لرسول الله ناقة لقوحاً، وقسم الباقي على أصحابه، بعد أنْ أخرج خمس الغنائم(٢٦٥).

ويوم الحديبية، عندما نزل النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على غير ماء، أرسل من يستسقي للمسلمين، لكنَّ الذين أرسلهم رجعوا خائفين، متهيبين مذعورين من طلائع المشركين، وكان عليٌّ عليه السلام حاضراً في المهمات الصعبة، التي يعجز غيره عن القيام بها، فأرسله النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فلم يرجع إلَّا ومعه الماء، فسر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بذلك سروراً عظيماً(٢٦٦).

وفي فتح مكة، حين طاف باحثاً عن أعداء رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ممّن كان قد أهدر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم دماءهم، فقتل منهم من قتل، ونجا الباقون بعد استجارتهم بأُخته أُمِّ هانئ، وعثمان بن عفان.

وفي غزوة ذات السلاسل، ويقال لها سرية وادي الرمل، وقد وقعت بعد سنة ثمان، لمّا قدم عليه أحد الأعراب ناصحاً ومحذراً، من قوم قد اجتمعوا لقتاله، فنادى مناديه بالصلاة جامعة، فخطب فيهم وأذّن لأبي بكر بقيادة السرية، فلم يفلح ورجع منهزماً، وقد قتل من أصحابه من قتل، فأرسل من بعده عمرو بن العاص، لكنَّه لم يكن أحسن حظاً من سابقه، فلم يجد النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بُداً من إرسال عليٍّ عليه السلام، فخرج بالمقاتلين خروجاً لم يعهدوه في البعثات السابقة، كان يكمن بالنهار ويسير ليلاً، ونقل السيد محسن الأمين في موسوعته قوله:

فلمّا قرب من الوادي أمر أصحابه أنْ يعكوا الخيل، ووقفهم مكاناً وقال: «**لا تبرحوا**». وانتبذ أمامهم فأقام ناحية منهم، فلمّا رأى عمرو بن العاص ما صنع، لم يشك أنَّ الفتح يكون له، فقال لأبي بكر إنِّي أعلم بهذه البلاد من عليٍّ، وفيها من هو أشدّ علينا من بني سليم، وهي الضباع والذئاب، فإنْ خرجت علينا خفت أنْ تقطعنا، فكلمه يخلِّ عنا نعلو الوادي، فانطلق فكلمه فأطال، فلم يجبه عليٌّ حرفاً واحداً، فرجع إليهم فقال: لا والله ما أجابني حرفاً واحداً، فقال عمرو بن العاص لعمر: أنت أقوى عليه، فانطلق عمر فخاطبه، فصنع به ما صنع بأبي بكر، فرجع فأخبرهم، فقال عمرو: إنَّه لا ينبغي أنْ نضيع أنفسنا، انطلقوا بنا نعلو الوادي، فقال له المسلمون: لا والله ما نفعل، أمرنا رسول الله أنْ نسمع لعليٍّ ونطيع، فنترك أمره ونطيع لك ونسمع.فما زالوا كذلك حتى أحسّ عليٌّ بالفجر، فكبس القوم وهم غارون، فأمكنه الله تعالى منهم، ونزلت على النبيِّ ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ إلى آخرها، فبشر أصحابه بالفتح، وأمرهم أنْ يستقبلوا أمير المؤمنين، فاستقبلوه والنبيُّ يقدمهم، فقاموا له صفين، فلمّا بصر بالنبيِّ ترجل عن فرسه، فقال له النبيُّ: «**اركب فإنَّ الله ورسوله عنك راضيان**»، فبكى أمير المؤمنين فرحاً، فقال له النبيُّ: «**يا علي لولا أنَّني أُشفق أنْ تقول فيك طوائف من أُمَّتي، ما قالت النصارى في عيسى ابن مريم، لقلت فيك اليوم مقالاً، لا تمرُّ بملأ من الناس، إلَّا أخذوا التراب من تحت قدميك**»[٢٦٧].

وفي بعثه الأول إلى اليمن، سنة ثمان بعد فتح مكة، أرسل النبيُّ صلَّى الله عليه

وآله وسلَّم خالد بن الوليد إلى أهل اليمن، يدعوهم إلى الإسلام، وأنفذ معه جماعة من المسلمين، فيهم البراء بن عازب، وأقام خالد بن الوليد على القوم ستة أشهر يدعوهم، فلم يجبه أحد منهم، فساء ذلك النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فدعا علياً، فأمره أنْ يقفل خالداً ومن معه، وقال له: «**إذا أراد أحد ممّن مع خالد أنْ يعقب معك فاتركه**»، قال البراء: كنت ممّن عقب معه، فلمّا انتهينا إلى أوائل أهل اليمن، وبلغ القوم الخبر تجمعوا له، فصلَّى بنا عليٌّ الفجر، ثمّ تقدم بين أيدينا، فحمد الله وأثنى عليه، ثمَّ قرأ على القوم كتاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فأسلمت همدان كلُّها في يوم واحد، وكتب بذلك أمير المؤمنين عليه السلام، إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فلمّا قرأ كتابه، استبشر وابتهج، وخرَّ ساجداً شكراً لله تعالى، ثمَّ رفع رأسه وجلس وقال: «**السلام على همدان**»، ثمَّ تتابع إسلام أهل اليمن بعد إسلام همدان[٢٦٨].

أمّا بعثه الثاني إلى اليمن فقد كان سنة تسع، حيث أرسله النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قاضياً، جاء في سيرة دحلان، عن أبي داود وغيره من حديث عليٍّ عليه السلام قال: «**بعثني النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى اليمن، فقلت: يا رسول الله تبعثني إلى قوم أسنّ مني، وأنا حديث السن لا أبصر القضاء، فوضع يده على صدري فقال: اللهم ثبت لسانه واهد قلبه، وقال: يا علي إذا جلس إليك الخصمان، فلا تقضِ بينهما حتى تسمع من الآخر، فإنَّك إذا فعلت ذلك، تبين لك القضاء**»، قال عليٌّ عليه السلام: «**والله ما شككت في قضاء بين اثنين**»[٢٦٩].

ذكر نموذج من قضـاياه في اليمن: أخرج أحمد في مسـنده، أنَّه رفع إليه خبر زبية حفرت لأسد، فوقع فيها، فاجتمع عليها الناس، فزلت قدم أحدهم فتعلق بثانٍ، وتعلق الثاني بثالث، وتعلق الثالث برابع، فقتلهم الأسد جميعاً، فقضى عليه السلام أنْ للأول ثلث الدية، وللثاني ثلثا الدية، وللثالث نصـف الدية، وللرابع دية كاملة، فبلغ ذلك رسـول الله صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم فقال: «**لقد قضى أبو الحسـن فيهم بقضـاء الله عزَّ وجلَّ فوق عرشه**».

وفي الطائف بعد حنين قتل شـهاباً ونافعاً، وكسـر الأصـنام، وانهزم بسـبب ذلك الأعراب والمشركون، ذكر أصحاب السير أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، لما انهزم أبو سـفيان ومن معه في الطائف، سـار إليها وحاصـر أهلها أياماً، ثم إنَّه أنفذ علياً في خيل، وأمره أنْ يطأ ما وجده ويكسـر كلَّ صـنم، فخرج عليه السـلام حتى لقيته خيل خثعم في جمع كثير، فبرز له رجل من القوم يقال له شهاب في غبش من الصبح، فقال: هل من مبارز؟ فقال أمير المؤمنين: «**من له؟**» فلم يجبه أحد، فقام إليه أمير المؤمنين عليه السلام، فوثب أبو العاص بن الربيع، زوج زينب بنت النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقال: أتكفاه أيّها الأمير؟ فقال: «**لا ولكن إنْ قتلتُ فأنت على الناس**». فبرز إليه عليٌّ عليه السـلام، ثمَّ ضـربه وقتله، ومضـى في تلك الخيل حتى كسـر الأصـنام، وعاد إلى رسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وهو محاصر لأهل الطائف، فلمّا رآه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسـلَّم كبّر للفتح، وأخذ بيده فخلا به وناجاه طويلاً، فأتاه بعض المهاجرين

فقال: أتناجيه دوننا وتخلو به، فقال: «**ما أنا ناجيته بل الله انتجاه**»(٢٧٠) فأعرض وهو يقول: هذا كما قلت لنا يوم الحديبية ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ فلم ندخله و صددنا عنه. فناداه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله و سلَّم: «**لم أقل لكم إنَّكم تدخلونه من ذلك العام**».

ثمَّ خرج من حصن الطائف، نافع بن غيلان بن متعب في خيل من ثقيف، فلقيه عليٌّ عليه السلام فقتله، وانهزم المشركون، ولحق القوم الرعب، فنزل منهم جماعة إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فاسلموا.

وفي بعثه إلى قبيلة طيء، ذكر ابن سعد أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعث علياً في خمسين ومائة رجل من الأنصار، ومعهم راية سوداء ولواء أبيض، إلى صنم الفلس ليهدمه فشنوا الغارة على محلة آل حاتم مع الفجر فهدموا الفلس وخربوه وملؤوا أيديهم من السبي والنعم والشاء، وفي السبي أُخت عدي بن حاتم، وهرب عدي إلى الشام، فقسم عليٌّ عليه السلام بين أصحابه الغنائم واستثنى آل حاتم الذين استبقاهم ليحكم فيهم رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بأمره(٢٧١).

أمَّا بعثه الثالث إلى اليمن فقد كان سنة عشر من الهجرة المباركة.

أخرج ابن سعد في الطبقات الكبرى: بعث رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم علياً إلى اليمن، وعقد له لواءً وعمّمه بيده، وقال: «**امض ولا تلتفت، فإذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك**»، فخرج في ثلاثمائة فارس، وكانت أول خيل دخلت

تلك البلاد وهي بلاد مذحج، ففرق أصحابه فأتوا بنهب وغنائم ونساء وأطفال ونعم وشاء وغير ذلك، وجعل على الغنائم بريدة بن الخصيب الأسلمي، فجمع إليه ما أصابوا ثمّ لقي جمعهم فدعاهم إلى الإسلام فأبوا، ورموا بالنبل والحجارة، فصف أصحابه، ودفع لواءه إلى مسعود بن سنان السلمي، ثمّ حمل عليهم عليٌّ بأصحابه فقتل منهم عشرين رجلاً، فتفرقوا وانهزموا فكفَّ عن طلبهم، ثمّ دعاهم إلى الإسلام فأسرعوا وأجابوا وبايعه نفر من رؤسائهم على الإسلام وقالوا نحن على من ورائنا من قومنا، وهذه صدقاتنا فخذ منها حق الله، وجمع عليٌّ الغنائم، فجزأها على خمسة أجزاء، فكتب في سهم منها الله وأقرع، فخرج أول السهام سهم الخمس، وقسم عليٌّ على أصحابه بقية المغنم، ثمّ قفل فوافى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بمكة، قد قدمها للحج سنة عشر، وهي حجة الوداع(٢٧٢).

هذا ما باح بسرٍّ تدوينه الحفاظ، أمّا ما سقط بفعل السياسة التي كانت حاكمة، بمنع خصائص وخصال عليٍّ عليه السلام، من أنْ تتداولها الألسن والأقلام، فلا يعلم مقداره إلَّا الله تعالى، وفي هذه العجالة، ما يقيم الدليل على أنَّ ما قدمه هذا الرجل الفذّ لله تعالى، ولرسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ولدينه وللمسلمين، أكبر من أنْ يقيّم أو يقاس، ولو أمعنا النظر في حركة عليٍّ عليه السلام الدؤوبة نحو إرضاء خالقه، لتبين لنا أنَّه لو لم يكن لها عليٌّ، لما أمكن للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، أنْ تكون مسيرته الرسالية بذلك النجاح والنصر الباهرين.

ومقابل هذا، أ ستغرب من هؤلاء الذين يقيسون الحقيقة بالوهم، ويفا ضلون بين عليٍّ عليه السلام وغيره، فيفضلونهم ويقدمونهم عليه، وليس في جرابهم ما يقوى، على الوقوف أمام عمل واحد، من أعمال عليٍّ عليه السلام الجليلة، التي نصرت الإسلام وأعزت المسلمين.

لكنّي أعود فأقول ما قاله تعالى في محكم كتابه: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ (*) وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ (*) وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ (*) وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ (*) إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾(٢٧٣).

عليٌّ عليه السلام والجهاد

الجهاد في سبيل الله تعالى هو قدر عليٍّ عليه السلام، والشهادة من أجل تحقيق مسك الختام، جائزة أرادها له المولى سبحانه، لتكون تتويجاً لمسيرة مضنية، كلّها جهد وبذل وعطاء وتضحية، عرق في النهار من خدمة الله وأوليائه، ودموع بالليل تهجد وطلب للقرب من الخالق، ودماء في سوح النزال، لإعلاء كلمته ونصرة دينه، وقد كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في ذلك كلِّه، المعلم والمربي والمراقب لعليٍّ عليه السلام، منذ أنْ وجد، في حركاته وسكناته، فوعى عليٌّ عليه السلام تلك الإحاطة، وتلقى تلك الإفاضة، ولما اشتد عوده، صار يلاحقه بنظرات الرضا، ويتبعه بدعوات الحفظ والنصر على الأعداء.

أخبره ذات يوم قائلاً: «**يا عليُّ أتدري من أشقى الأولين؟**» قال: «**الله ورسوله أعلم**». فقال: «**عاقر ناقة صالح**». ثمّ قال: «**أتدري من أشقى الآخرين؟**» قال: «**الله ورسوله أعلم**». قال: «**قاتلك، وإنَّه ليخضب هذه من هذه (مشيراً إلى هامته ولحيته)** »[٢٧٤].

أناخ الجهاد عند باب عليٍّ عليه السلام، وقبض بأزمّته فلم يبارحه، وحطت

الشجاعة والقوة في رحاله فلم تغادره، وعانقه النصر والظفر معانقة حبيب لحبيبه، ممّا أدار إليه أعناق الحاسدين، ومع ذلك مضى عليٌّ سالكاً طريقه الصعب، الذي اختاره لنفسه، وعهد عليٌّ عليه السلام دائماً عندما يتخير، أنْ يختار من الأُمور أصعبها، إلى الموعد الذي خصّه الله تعالى به، ومضى راضياً عن نفسه، مرضياً عليه من رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وربّه تبارك وتعالى، وكما نسج الحبّ العلاقة بينهم، مصداق قوله تعالى ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[٢٧٥]، كان له من الخاتمة مسكها.

تحدثت فيما مضى من حلقات، عن بعض تفاصيل جهاد عليٍّ عليه السلام، فلا فائدة في تكرار ما أشرت إليه، لكنّه بقي أنْ أختتم باب جهاد عليٍّ عليه السلام، بطرف من بليغ كلامه، وشيء من بديع معانيه.

كلام عليٍّ عليه السلام وخطبه ومواعظه، ووصاياه عن الجهاد في سبيل الله كثيرة، وما عفا عنه التدوين أكثر، وقد ارتأيت أنْ أنقل في هذه الحلقة بعضاً من فضول كلمه، ومواعظ حكمه، ومنتهى القول في هذا الموضوع لديه:

قال عليه السلام متحدثاً عن الجهاد:

«أمّا بعد فإنَّ الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة، وجنته الوثيقة، فمن تركه رغبة عنه، ألبسه الله ثوب الذل، وشمله البلاء، وديث بالصغار والقماءة، وضرب على قلبه بالإسهاب، وأديل الحق منه بتضييع الجهاد، وسيم الخسف، ومنع النصف»[٢٧٦].

حِكم الإمام عليٍّ عليه السلام في مقاله هذا، تظهر لنا حال الأُمَّة الإسلامية اليوم، وهي تاركة لباب الجهاد موصداً، وحال طائفة قد فتحته، وألبسته من مسوح الجهل ما أبلى وجهه، وطائفة لا تزال مقيمة على الحق، قد وضعت الجهاد موضعه، وأعطته من بيان حقيقته، فشرفته وزادته رونقاً، بقوافل شهدائها البررة، لتحقيق العزة للأُمَّة الإسلامية.

فالجهاد بطريقيه جهاد النفس، وجهاد حفظ بيضة الدين من أعدائه، منتهى بلوغ الغاية من طاعة المولى تعالى، وتاركه متخل عن رباطه الأُخروي، راكن إلى الدنيا راض بزائلها، عليه تقع تبعات اختياره.كان عليه السلام يتأوّه ويتحسر، على فراق وفقد إخوانه في الجهاد، ويستشعر الغربة والوحشة لفقدهم، مع أنَّه كان محاطاً بالناس، لكنَّهم مع كثرتهم قد ملأوا قلبه قيحاً، وحولوا حياته سآمة وضجراً.

يقول عليه السلام مشيراً إلى فقد أصفيائه:«**أين القوم الذين دُعوا إلى الإسلام فقبلوه؟ وقرأوا القرآن فأحكموه؟ وهيجوا إلى الجهاد، فولهوا اللقاح أولادها، وسلبوا السيوف أغمادها، وأخذوا بأطراف الأرض زحفاً زحفاً، وصفاً صفاً؟ بعض هلك وبعض نجا، لا يبشرون بالأحياء ولا يعزون عن الموتى، مره العيون من البكاء، خمص البطون من الصيام، ذبل الشفاه من الدعاء، صفر الألوان من السهر، على وجوههم غبرة الخاشعين، أولئك إخواني الذاهبون، فحق لنا أنْ نظمأ إليهم، ونعضّ الأيدي على فراقهم. قال تعالى:** ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (*) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾**، ميدانكم الأول أنفسكم، إن انتصرتم عليها كنتم على**

غيرها أقدر، وإنْ خذلتم فيها، كنتم عن غيرها أعجز»[٢٧٧].

ذهب أكثر الناس في عصر عليٍّ عليه السلام، أنَّ الجهاد في سبيل الله، هو إعداد لامة الحرب، من درع وسيف ورمح ونبل وخيل وزاد، ولم ينتبه منهم إلَّا القليل إلى أنَّ الجهاد الحقيقي، وحجر الأساس لبقية أصناف الجهاد هو جهاد النفس، وتهذيبها ومقاومة انحرافها وكبح شهواتها، ولقد تمكن عليٌّ عليه السلام من نفسه فقادها بعد أنْ طوعها لخالقها، ثمّ أمضاها نحو كلِّ فضيلة، فسبقت جميع الأنفس بعد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

وإخضاع النفس إلى إرادة خالقها، ليس بالأمر الهيِّن والسهل، فدونه معاناة ومكابدة، لأنَّ معلم النفس ومؤدبها، أحق بالتقدير من معلم الناس ومؤدبهم، كما كان يقول عليٌّ عليه السلام.

عندما نلتفت إلى جهاد عليٍّ عليه السلام على عهد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وهو صاحب رايته، وحامل لوائه، نجد أنَّه قد صدق وواسى، وقدم أروع الأمثلة على مدى حياته الشريفة، في الوفاء والتضحية والصبر والثبات، ولو لم يكن هناك عليٌّ، لما كان هناك نصر، كما دلّت عليه الوقائع من بلاء عليٍّ عليه السلام، ومادة حسمه وتفريجه عن المؤمنين وكفايتهم به.

لقد جاهد عليٌّ عليه السلام الجهادين، أخضع نفسه ومنعها هواها، وركبها إلى خياراته الصعبة، فلم ترَ منه من المباح سوى ما سدَّ به رمقها، وكان ضنيناً عليها في

وقت اليســـر، وأشـــدَّ عليها في العســـر، فبلغ بها مقام العبودية الحق، فأحبّه الله تعالى ورسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وأثنيا عليه وأحبّاه.

عليٌّ عليه السـلام لم يصـب من الدنيا، إلَّا ما أراده منها لتحصـيل الآجل، فكان طعامه الجشب، ولباسه الخشن، ينتعل ليف النخل، ويحتطب ويستقي ويحفر الآبار ليهبها للمســـتضـــعفين، ويعين أهله في البيت باعتباره واجباً، لأنَّ الزوجة لم تؤخذ للخدمة، وإنَّما تزوج بها لغرض البناء والتأسيس للأجيال الإسلامية، أكثر وعياً وتحملاً لمسؤولية إقرار العبودية لله، في المجتمعات كلِّها.

لكنَّ المتتبع لتاريخ وسـيرة عليٍّ عليه السـلام، يلاحظ توقفاً في عطائه العسـكري على عهد الغا صبين لحكومته، دلَّ على أنَّ امتناعه عن موا صلة نمط حياته، على النحو الذي كان على عهد رســـول الله صـــلَّى الله عليه وآله وســـلَّم، كان بدافع أحقيته في الحكم، من جهة النصـــوص التي وردت فيه قرآناً وســـنةً نبوية، ومن جهة اســـتحقاقه العملي، حيث كان الفاعل الأول بعد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، على الصعيدين السياسي والقضائي، فقد كان ممثلاً للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ونائباً له في المدينة، عندما اســـتخلفه عليها أميراً ووالياً في غزوة تبوك، كان قوله فيه إمضـــاءً لذلك الا ستخلاف، تأكيداً على ا ستمرار تلك المنزلة بعده: «**أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلَّا أنَّه لا نبيَّ بعدي**»[٢٧٨]، وكان عليه الســـلام إماماً وقائداً ومؤدياً عنه صـــلَّى الله عليه وآله وسـلَّم في الحج الأكبر، عندما صـرح النبيُّ صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم قائلاً: «**عليٌّ**

منّي وأنا من عليٍّ ولا يؤدي عنّي إلَّا أنا أو عليٌّ»[٢٧٩].

لذلك فإنَّ إحجام عليٍّ عليه السلام عن الاسترسال في الدور العسكري، جاء من جهة الاستحقاق الذي أعدّ له وهيئ من أجله، من طرف النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم والوحي، وهو الذي لم يعهد له تقصير في نجدة الدين وأهله، إلى أنْ لقي ربَّه مظلوماً مهضوم الجانب، من أُمَّة أبت إلَّا السير في طريق الانحراف، مباشرة بعد وفاة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.وقد عرف عليٌّ عليه السلام بالمبادرة إلى كلِّ الفضائل والمكارم، ولم يثنهِ شيء من حطام أو متاع، عن السبق إلى الله تعالى، والكدح في سبيله بصورة ندر أنْ وجدت في غيره، ومن أجل ذلك جاءت منه هذه الإشارة، ليلفت نظر المؤمنين إلى استحقاقه السياسي، بعد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ففهم من فهم وبقي على الجهالة من بقي.

لم يتحرك عليٌّ عليه السلام لنصرة الإسلام، إلَّا عندما رآه قد حفت به المخاطر، فضمد جراح قلبه الحزين، وقام في الأُمَّة يطلب عزّها، وينشد إعادها إلى المسار الذي أراده الله تعالى لها، صراطاً مستقيماً ونهجاً قويماً، فكانت معاركه الثلاث التي قادها بنفسه، بعد رجوع المسلمين إليه، مصيرية وحاسمة، انتصر في معركتين منهما بالحسم العسكري، بعد استنفاده للحل السلمي، وكاد أنْ ينتصر في الأخيرة ويريحنا بذلك من أُسرة متعفنة، حاربت الإسلام طيلة ثلاث وعشرين سنة، ولم تهدأ فيها ولم تتوقف ثائرتها على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ودينه، إلَّا بعد أنْ فتح معقلها، ولم يعد لها

شيء تقدمه في مواجهة المدِّ الإسلامي، وقابل النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بسماحته ورحمته، انكسار شوكتهم فلم يعاقبهم، مع أنَّهم مستحقون لأقسى العقوبات، وأطلقهم إلى أنفسهم، ولم يلزمهم بشيء لمعرفته بما يضمرون، فلم يسلموا ولم يحسن إسلامهم كما روج لهم، لولا المكر والخديعة، التي لجأ إليها الطلقاء لتفكك جيش عليٍّ عليه السلام، وحدثت فيه فتنة، نسفت النصر من أساسه، ولو كان الدهاء من مكارم الأخلاق، لكان عليٌّ أدهى العرب، كلمة قالها عليٌّ عليه السلام، بقيت مضرباً للأمثال، يكبرها أصحاب النفوس المترفعة عن الخبث والسوء.

ليس صعباً أنْ يلتجئ عليٌّ عليه السلام إلى التعامل مع الخارجين عن ولايته الشرعية، إلى الأُسلوب نفسه الذي تعامل به ضدّه أعداؤه، الحاجز الذي منعه من ذلك، أنَّه تربية سيد الخلق صلَّى الله عليه وآله و سلَّم، ومكارم الأخلاق التي تشبع بها منه، تصطدم بالامتناع عن حالة التعامل بوجهين وأُسلوبين، والظهور بمظهرين، وهذا كلُّه يمقته الله تعالى، ولا يرضاه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ولقد طرقتا بابه، وكان الطارق أبو سفيان نفسه، عندما عرض عليه نصرته على الغاصبين لحكومته من أصحاب السقيفة، فلم يلتفت إلى دعوته، مع أنَّه كان في أمسِّ الحاجة إلى من ينصره، بين أُمَّة قد ذهلت عن مكانته، وتناست حقوقه عليها، لكنَّه رضي أنْ يُظلم، ولم يرضَ مقارعة النفاق بأسلحة الخسة والوضاعة.

إذا ترك عليٌّ عليه السلام معركة صفين مكرهاً ومرغماً، تحت إصرار أصحابه

على توقيف القتال، لما رأوا المصاحف على أسنة رماح جيش بني أُمية، اعتقاداً منهم بأنَّ الدعوة إلى كتاب الله من مصدرها صادقة، ولكنَّ نداءات عليٍّ عليه السلام ومنا شدته للقوم، لم تجد غير الصدِّ وإدارة الأعناق، فتوقفت الحرب، وقد لاحت أعلام النصر على البغاة، وقد أبلى مالك الأشتر رضوان الله تعالى عليه في ذلك اليوم، بما وفى به من عهد لمولاه الإمام عليٍّ عليه السلام.

لم يغادر عليٌّ عليه السلام الدنيا، إلَّا وقد أرسى دعائم الجهاد النظري والعملي، فترك لنا سيرة عطرة من مجاهدة نفسه، ومقارعة أعداء دينه الأشد فتكاً والأكثر خطراً، الناكثين لعهده وبيعته، والقاسطين لحكومته، والمارقين عن ولايته، التي هي من ولاية الله تعالى.

فأمكننا بذلك أنْ نجزم، بأنَّ علياً عليه السلام قد تفرد عن غيره، بشخصية لم يجد بها التاريخ مثيلاً، إذا استثنينا نفسه التوأم النبيَّ الأعظم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ومع ذلك عشيت أعين الأُمَّة عن إبصار نوره، فلم تتحسس مقاماته، بسبب الدعاية المغرضة، التي مارسها طغاة بني أُميّة عليه، طيلة ثلاثة أجيال، ساموا فيها الأُمَّة الإسلامية، صنوف الخداع والمكر والدهاء، ما غيب الصورة الحقيقية للإسلام المحمّدي الأصيل وهداته الأبرار، ولولا ربانية شخصه، لطوته الدعاية، وأغرقت شخصه أبواق الغواية، والله تعالى قد عاهد أنْ يدافع عن أوليائه، فذهب الأفاكون على عليٍّ عليه السلام بجرائمهم، وغادروا الدنيا بأوزار مع أوزارهم، وبقي عليٌّ عليه السلام علياً

متعالياً كالطود الشـامخ، ينحدر عنه السـيل ولا يرقى إليه الطير، عنوان هدى ورحمة، وكهفاً للمتحيرين في ما ادلهمّت به الخطوب، ومعلماً للجهاد بقسـميه جهاد النفس ومقارعة المعتدين، ملخصاً فلسفة الحياة تجاه الظلم والظالمين بقوله: «**الموت في حياتكم مقهورين، والحياة في موتكم قاهرين**»[٢٨٠].

إذ لا معنى للحياة في ظل حكومة الظلم، وهي موت لكلِّ نفس بشـرية، تواقة للعدل والحرية، وإنَّ الموت في مواجهة قوى الظلم والاسـتكبار، حياة لمن سـيأتي بعد ذلك، ليقلع عروش الظالمين، ناسجاً على منوال الأُباة، وحياة أيضاً من المنظور الغيبي، لأنَّ المقتول في سبيل الله حيٌّ عند ربِّه برزق.

وليُّ كلِّ مؤمن ومؤمنة

حلّت الســنة العاشــرة من الهجرة المباركة بطيئة كئيبة، تحمل بين ثناياها علامات ودلائل، تؤشــر على قرب رحيل النبيِّ صــلَّى الله عليه وآله وســلَّم، ومغادرته للدار الدنيا، والتحاقه بالرفيق الأعلى.

وعلى غير ما جرت عليه عادة الوحي، راجع جبرائيل النبيَّ صــلَّى الله عليه وآله وســلَّم القرآن مرتين، وكان ذلك إشــعاراً له فهم منه قرب دنو أجله، وكان لا بُدَّ من الا ستعداد لذلك اليوم، بأداء ما بقي من الشعائر إلى الأُمَّة، فأعلن عزمه على الحج إلى بيت الله الحرام، فتجهز الناس معه للحج، وخرج قاصداً أداء تلك الشعيرة.

لم يكن عليٌّ عليه الســلام موجوداً وقتئذٍ في المدينة، فقد كان أرســله صــلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى بعث اليمن، في شهر رمضان من السنة نفسها، وبعد أنْ أتمَّ عليٌّ عليه الســلام مهمته التي أوكلت إليه، وعاد من اليمن غانماً مظفراً، ووافى رســول الله صــلَّى الله عليه وآله وســلَّم في حجته تلك، وأهلّ بما أهلّ به النبيُّ صــلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

فقد أخرج أصحاب السير والتاريخ، أنَّه لّما جاء عليٌّ عليه السلام إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وأعلمه بأنَّه استهلّ في إحرامه باستهلاله، فما كان منه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلَّا أنْ أمره، فمكث على إحرامه، وحجّ هو ورسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حج قران، وحج بقية الناس حج تمتع(٢٨١).

وقد خالف مؤسس حزب التحرير (تقي الدين النبهاني)، في كتابه (الشخصية الإسلامية)، وتحديداً في باب الشرع لم يعيّن خليفة، السياق التاريخي، الذي لم يحجب حق عليٍّ عليه السلام، في إدراكه لتلك الحجة، ولست أدري من أيِّ مستنقع آسن أخذ فريته على الواقع والتاريخ الصحيحين، وقد كانت إحدى أهم براهينه، في اعتبار عدم صحة حادثة الغدير وحديثه، غياب عليٍّ عليه السلام عن تلك الحجة، وقد استدل بها بعض كوادر حزبه في مدينة قابس/تونس، أثناء جلسة مناقشة وحوار دارت بيننا، معتبرين ما تفتقت به معارف شيخهم ومؤسس حزبهم، هو بمثابة الضربة القاضية لحديث الغدير وحادثته، واللذين يعتبران من أقوى ما تمسك به الإمام عليٌّ عليه السلام وشيعته، على أحقيته في قيادة الأُمَّة الإسلامية، مباشرة بعد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

إنَّ ما توصل إليه تقي الدين النبهاني، لم يكن بدعاً من القول، لأنَّه قد جاء نتيجة لتراكم فهم تأويلي خاطئ، وأثر سلبي لعقلية سلطوية، أظهرت من العداء لعليٍّ وأهل بيته عليهم السلام ومن شايعهم، وحربهم بكلِّ وسيلة، بدءاً من الدعاية الكاذبة،

وخلوصاً إلى القتل، بنيت بها عقيدة الغالبية العظمى من الأُمَّة، زادهما انغراساً في وجدانها، التزكية لمسلكها المنحرف، من طرف علماء البلاط، ووعاظ سلاطين الظلم والجور.

أتمَّ النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حجته، وانصرف عائداً إلى المدينة، وعند مفترق طرق القوافل بماء يدعى خماً، نزل عليه جبرائيل بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾(٢٨٢).

عندها أمر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الجموع بالتوقف، وكان الوقت ظهيرة شديد الحرارة، وفي موضع لا يحتمل المسافر فيه التوقف، لذلك لا يمكننا أنْ نصرف النظر عن الزمن والمكان، اللذين حصلت فيهما الحادثة، دون أنْ نجعلهما طرفاً في فهم بقية التفاصيل التي حفّت بها.

لا شك أنَّ أمر التبليغ، الذي نزل به جبرائيل عليه السلام، على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، يكتسي أهمية كبرى، بدليل أنَّه لم يكن في وسعه تأجيل ذلك إلى حين، فصدع بالأمر وهو في مجموع قوافل، اقتربت من الافتراق، مثلما اقترب عمره الشريف من الاختتام، ولو لم يكن أمر التبليغ بذلك المقدار من الأهمية، وبتلك القيمة من التشريع، لكان تأجيله أولى من إذاعته، لما فيه من المشقة والجهد والحرج على الناس، فحبسهم في ذلك المكان القفر، وفي وقت بلغت فيه الحرارة ذروتها، بحيث لا يتحمل

المسـافر فيه التوقف، إلَّا بمعاناة ومشـقة كبيرتين، والله تعالى يريد بمخلوقاته اليسـر، ولا يريد بهم العسر.

وما دمنا في سـياق نزول الآية، فمن الواجب الالتفات، إلى أنَّها نزلت في آخر عمر التبليغ، من حياة النبيِّ صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم، وذلك باتفاق جميع الحفاظ، بمعنى أنَّ مفادها، لا ينصـرف حتماً إلى تبليغ، ما كان رسـول الله صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم قد بلغه من قبل، لأنَّه قد تمّ تبليغه للناس، وتكرار التبليغ يعتبر تذكيراً وليس تبليغاً، لا يتطلب التوقف في ذلك المكان القاسي، وتحميل الناس مشقة قد تسبب الأذى لبعضهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٢٨٣).

لذلك يمتنع أنْ يكون مقصد الوحي من أمره في الآية، هو تبليغ ما سبق أنْ وقع تبليغه، لأنَّ الإعجاز القرآني، لا يمكنه أنْ ينزل إلى ما دون مستوى كلام المخلوقين، من ذوي البلاغة والفصـاحة، ممّن كان يفهم بالتلميح والإشـارة، ولا يحتاج في فهمه إلى البيان والتوضيح.

ولا إلى الاعتقاد بأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مخير بين تبليغ بعض الوحي، وإرجاء البعض الآخر إلى وقت لاحق، لأنَّ مسـألة الوحي متعلقة بإنفاذ كلِّ أمر في حينه، فلا مجال لأيِّ تأخير في أيِّ شـأن من شـؤونه، ولا إلى ما ذهب إليه مخالفو خط الإمامة، من أنَّ النبيَّ صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم، أوقف الناس في ذلك المكان، ليقول

لهم أحبوا علياً، وبمعنى أدق، لم يبقَ من أمر التبليغ بعد أنْ عرف الناس مناسك حجهم، غير مسألة واحدة تحتاج التوضيح بعد الإشارة والتلميح، حسب ما نقل عن الوحي من نصٍّ صحيح والتنصيب بعد البيان والترجيح (سيكون عليكم اثنا عشر رجلاً من بعدي)[٢٨٤] و(فوا ببيعة الأول فالأول، أعطوهم حقهم، فإنَّ الله سائلهم عمّا استرعاهم)[٢٨٥] وهي مسألة القيادة وطريقة الحكم.

والمقصود من البلاغ في هذه الآية- لمن يعقل - هو إعلام المسلمين بأمر جديد، لم يكن قد صدر من قبل، وهو من الأهمية بحيث جاء في الآية، أنَّ عدم تبليغه يساوي عدم تبليغ الرسالة كلِّها، ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ وهو من الخطورة بما استوجب أنْ يكون النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فيه محفوظاً من الله تعالى، ومصاناً من ردّة فعلٍ قد يحتمل وقوعها من أولئك الرافضين، والمعارضين للأمر الجديد ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾.

نزلت الآية كما هو متفق عليه ومعروف، في اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة، من السنة العاشرة للهجرة المباركة، والروايات التي استفاضت في نقل حادثة الغدير، قد ذكرت نزولها في ذلك المكان، وكانت مقدمة لحبس الناس، وخطاب النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالمناسبة، وتنصيبه لعليٍّ عليه السلام، إماماً وقائداً للأُمَّة من بعده، وأمره الذي صدر بعد ذلك، بمبايعة وتهنئة عليٍّ عليه السلام مولى للمؤمنين.

الحادثة نقلها المؤرخون والمحدثون وأصحاب السيرة، فلم يشذ عن نقلها أحد

تقريباً، منهم من استفاض في سردها، ومنهم من اختصر تفاصيلها، ومنهم من أوقف الحادثة على خاتمة الخطبة، وهي قول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه**» كلٌّ حسب منطلقه الفكري والمذهبي، الدافع الذي يلجأ عادة إلى التعامل مع الروايات، بناءً على المسلَّمات والقناعات الحاصلة، وإنْ خالفت النصوص الواضحة والمقاصد الجلية.

وما إنْ نزل الأمر الإلهي بالتوقف، حتى أرسل النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى المتقدمين عن موكبه، وأمرهم بالرجوع، وفي انتظار أنْ يلتحق به المتأخرون، هيئ له مكاناً مرتفعاً تحت شجرات، وظلل له عليهن بثوب.

ولما استكمل الجمع عددهم، ورجع المتقدمون، والتحق المتأخرون، صلَّى النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالناس صلاتي الظهيرة قصراً، ثمَّ قام إلى مكان هيئ له من أقتاب وأحلاس الإبل، فصعد عليه وخطب الناس قائلاً:

«**الحمد لله، نحمده ونستعينه ونؤمن به، ونتوكل عليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، الذي لا هادي لمن أضل، ولا مضل لمن هدى، وأشهد أنْ لا إله إلَّا الله، وأنَّ محمداً عبده ورسوله. أمّا بعد أيّها الناس، قد نبأني اللطيف الخبير، أنِّي أوشك أنْ أُدعى فأُجيب، وإنِّي مسؤول وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟**»

قالوا: نشهد أنَّك قد بلّغت ونصحت وجاهدت، فجزاك الله خيراً.

قال: «**ألستم تشهدون أنْ لا إله إلَّا الله، وأنَّ محمداً عبده ورسوله، وأنَّ جنته حق،**

وناره حق، وأنَّ الموت حق، وأنَّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنَّ الله يبعث من في القبور؟»

قالوا: بلى نشهد بذلك. قال: «**اللهم اشهد**». ثمَّ قال: «**أيّها الناس ألا تسمعون؟**» قالوا: نعم.

قال: فإنِّي فرط على الحوض، وأنتم واردون عليَّ الحوض، وأنَّ عرضه ما بين صنعاء وبصرى، فيه أقداح عدد النجوم من فضة، فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين».

فنادى مناد: وما الثقلان يا رسول الله؟

قال: «**الثقل الأكبر كتاب الله، طرف بيد الله عزَّ وجلَّ، وطرف بأيديكم، فتمسكوا به لا تضلوا، والآخر الأصغر عترتي، وإنَّ اللطيف الخبير نبأني أنَّهما لن يفترقا، حتى يردا عليَّ الحوض، فسألت ذلك لهما ربِّي، فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا**».

ثمَّ أخذ بيد عليٍّ فرفعها، حتى رؤي بياض آباطهما، وعرفه القوم أجمعون، فقال: «**أيّها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: «**إنَّ الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه، فعليٌّ مولاه**» (يقولها ثلاثاً) ثمَّ قال: «**اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وأحبَّ من أحبّه، وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار، ألا فليبلغ الشاهد الغائب**»[٢٨٦].

قلت: إنَّ الخطبة بطولها، لم ينقلها غير نزر يسير ممّن عرف حقيقة ذلك اليوم، أمَّا

البقية فنقلوها مختصرة، موقوفة على ما رأوه جائزاً، ولا يمسّ في نظرهم مؤسساتهم في الحكم، ولا نظريتهم التي أسندوها إلى الشورى، والشورى منها براء.

عن البراء بن عازب قال: كنّا مع رسول الله صلَّى الله عليه (وآله) وسلَّم في سفر، فنزلنا بغدير خم، فنودي فينا الصلاة جامعة، وكسح لرسول الله صلَّى الله عليه (وآله) وسلَّم تحت شجرتين، فصلَّى الظهر وأخذ بيد عليٍّ رضي الله تعالى عنه فقال: «**ألستم تعلمون أنِّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟**» قالوا: بلى. قال: «**ألستم تعلمون أنِّي أولى بكلِّ مؤمن من نفسه؟**» قالوا: بلى. قال فأخذ بيد عليٍّ فقال: «**من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه**». قال فلقيه عمر بعد ذلك فقال: هنيئاً يابن أبي طالب، أصبحت وأمسيت مولى كلِّ مؤمن ومؤمنة(٢٨٧).

عن زيد بن أرقم قال: نزلنا مع رسول الله صلَّى الله عليه (وآله) وسلَّم بواد، يقال له وادي خم، فأمر بالصلاة فصلاها بهجير، قال فخطبنا، وظلل لرسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بثوب، على شجرة سمرة من الشمس، فقال: **ألستم تعلمون أو لستم تشهدون أنِّي أولى بكلِّ مؤمن من نفسه**. قالوا: بلى. قال: **فمن كنت مولاه، فإنَّ علياً مولاه، اللهم عادِ من عاداه، ووالِ من والاه**(٢٨٨).

لم يأبه البخاري لحديث الغدير، فلم يخرجه في كتابه مطولاً ولا مختصراً، وعدم إخراجه له ليس نابعاً من تكذيبه للحديث، لأنَّه قد نقل عنه أنَّه كان يحفظ مائة ألف حديث صحيح، لكنَّه لم يخرج في كتابه سوى نزر يسير منها، ومردّه في ذلك، كونه لم

يعتمد إلَّا على الروايات التي جانبت خصــائص عليٍّ، وأهل بيته عليهم الســلام، حتى على مســتوى الرواة، زيادة على أنَّه أضــرب عن نقل رواية واحدة متصــلة بأحد أئمة أهل البيت عليهم الســلام، باســتثناء روايات قليلة انتهى ســندها إلى الإمام عليٍّ وفيها نظر، على الرغم من أنَّه اعتمد على رواة شــيعة في كتابه المعنون بالجامع الصــحيح، وعوض أنْ ينقل من الصحيح الأصحّ والأجدى للأُمَّة، خبط خبط عشواء، واستقر به النوى على تلّة من الخرافات الإسرائيلية، وجاء المتعصبون له من بعده، ليضفوا قداسة غير مســتحقة، على كتاب أقل ما يقال فيه إنَّه مشــبوه، فلم يعد عنوان الصــحة الذي جلببوه به مجدياً، بعد أنْ أحصــيت عوراته، وانفرط عقد خرافاته، فهوى من علياء صرح الوهم.

أمَّا مسلم، فلم يذكر من حادثة غدير خم، سوى اسم المكان الذي وقعت فيه، والإشــارة إلى خطبة النبيِّ صــلَّى الله عليه وآله وســلَّم، والاختصــار منها على حديث الثقلين، أورده في باب فضائل أهل البيت عليهم السلام.ولا يمكننا فهم حديث الغدير، دون أنْ نقرأ للحادثة حســاباً، وما اشــتملت عليه من ظروف وأســباب، وما تخلل ذلك كلّه من مؤيدات، صبّت كلُّها في خانة الرأي القائل بتنصيب عليٍّ عليه الســلام، إماماً وعلماً وهادياً للأُمَّة بعد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

تُرى ما الذي فهمه الحاضــرون من حادثة الغدير؟ وما الذي فهمته أنا منها؟ وما الذي يجب أنْ يفهمه القارئ؟ وكيف يعقل أنْ يعتقد أحد بانتهاء مرحلة النبوة، وبعد

أنْ تمَّ تأسيس مجتمع ودولة، يعملان بمقتضى التشريع الإلهي، دون تحديدٍ لنظام الحكم بعد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ومؤهلات الحاكم وخصائصه؟ترى هل فهم الحاضرون آنذاك، مقصد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من قوله: «**من كنت مولاه فعليٌّ مولاه؟**» أليست اللغة التي استعملها النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، واضحة ومفهومة من الجميع؟ وهي اللغة نفسها التي اعتاد عليها سكان تلك المنطقة من عرب الجزيرة، أليس في ما جاء من مقدمات كقوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنِّي أُوشك أنْ أُدعى فأُجيب**».

وقوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم**». وما استتبعه من أمر بالتهنئة التي تعتبر في مضمونها، فهماً لمقصد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، واعترافاً من الحاضرين بولاية عليٍّ عليه السلام، وبيعته الملزمة في أعناقهم.وما جاء من دعاء للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، مبيناً المقصد من تنصيب عليٍّ عليه السلام، علماً وقائداً وإماماً للأُمَّة، كما في لفظ إمام الحنابلة: «**اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وأحبّ من أحبّه، وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر معه الحق حيث دار**». وما جاء من أمر للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى الحاضرين، بتبليغ ما سمعوه منه بقوله: «**ألا فليبلغ الشاهد الغائب**». واختتام ذلك كلِّه بنزول آية عظيمة، دلَّت على عظم ذلك اليوم، وقيمته المهمة في الإسلام، بحيث لم يتفرق الحاضرون، حتى نزل أمين وحي الله بقوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ

وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾[٢٨٩]. وبعد نزول الآية قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضا الربِّ برسالتي، والولاية لعليٍّ من بعدي**»[٢٩٠].

ثمَّ إنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، قام فعمّم علياً عليه السلام بعمامته السوداء المسماة (السّحاب)، وفي ذلك يقول عليٌّ عليه السلام: «**عمّمني رسول الله يوم غدير خم بعمامة، فسدلها خلفي**»[٢٩١].

وما تلا ذلك من تهنئة عليٍّ عليه السلام بالولاية، وممّن هنأه في مقدم الأصحاب، الشيخان أبو بكر وعمر كلٌّ يقول: بخ بخ يابن أبي طالب، أصبحت وأمسيت مولاي، ومولى كلِّ مؤمن ومؤمنة. فقال ابن عباس: وجبت والله في أعناق القوم[٢٩٢].

وما استتبع ذلك من قول حسان بن ثابت: ائذن لي يا رسول الله أنْ أقول في عليٍّ أبيات تسمعهن. فقال: قل على بركة الله، فقال حسان:

يناديهم يوم الغدير نبيهم بخم ... وأسمع بالرسول مناديا

فقال: فمن مولاكم ونبيكم؟ ... فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا

إلهك مولانا وأنت نبينا ... ولم تلق منا في الولاية عاصيا

فقال: له قم يا عليُّ فإنَّني ... رضيتك من بعدي إماماً وهاديا

فمن كنت مولاه فهذا وليّه ... فكونوا له أنصار صدق مواليا

هناك دعا اللهم والِ وليّه ... وكن للذي عادى علياً معاديا[٢٩٣].

إذا كان يوم الغدير بحق عملية تنصيب واضحة المعالم، من طرف النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لعليٍّ عليه السلام، ليكون الحاكم والمرجع والقائد والقدوة للمسلمين، من بعد رحيله عن دار الدنيا، وكلُّ منصف عاقل متتبع لأحداث ذلك اليوم، وما اشتملت عليه سيرة النبيِّ العطرة، من تنويه وإشادة بشخص عليٍّ عليه السلام، تؤيد حقيقة التنصيب، وتستبعد ترك الأُمَّة الإسلامية وشريعتها هملاً بلا راع.

ولا نستطيع أنْ ننتقل عن عملية التهنئة والبيعة، دون أنْ نلفت انتباه القارئ الكريم إلى حقيقة تلك العملية، زيادة في توضيح الصورة، ونقلها بأكثر أمانة ووعي، لقد أشرت في البداية، إلى أنَّ الجموع المتواجدة مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، تربو على مئة وعشرين ألفاً، وهو ما يرجح مقالة بقاء الناس، إلى حين انتهاء مراسم التهنئة والبيعة، يوماً كاملاً، إذا ما اقتصر على زعماء القبائل ووجوه القوم، وإذا ما أُطلقت التهنئة للجميع، فإنَّها ستأخذ من الوقت أكثر من ذلك.

شعراء حادثة الغدير كثيرون، لا يكاد يخلو منهم جيل من الأجيال، بدءاً بحسان بن ثابت شاعر الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ومروراً بفطاحل شعراء القرون الأُولى، كالشاعر العبدي الكوفي، وأبي تمام الطائي، والكميت الأسدي، ودعبل الخزاعي، وابن الرومي، وأبي فراس الحمداني، وأبي الفتح كشاجم، والصاحب بن عباد، والشريف الرضي، ومهيار الديلمي، والشريف المرتضى، وأبي العلاء المعري، وغيرهم لارتباط ذلك اليوم بوجدان وعقيدة الشعراء، المخلدين لذكراه العطرة، وإذ لا يحتمل

المجال لنقل حتى المميز والمنتخب من ذلك الشعر، فإنّي أكتفي بالشاعر الكميت الأسدي، تلميحاً إلى عامل آخر من التوثيق، الذي درج عليه العرب القدامى، في إثبات واقعة حصلت على مرأى ومسمع منهم، فانبرى لها كلُّ شاعر سلمت عنقه من موالاة الظالمين، إشادة واعترافاً بوقوعها، وتسليماً لمضامينها.

قال أبو المستهل الكميت الأسدي(٦٠/١٢٦ هجرية):

نَفَى عَن عَينِكَ الأَرَقُ الهُجُوعَا	وَهَمٌّ يَمتَرِي مِنها الدُّمُوعَا
دَخِيلٌ في الفَؤَادِ يَهِيجُ سُقماً	وَحُزناً كانَ من جَذَلٍ مَنُوعَاً
وَتوكَافُ الدُّمُوعِ على اكتِئَابٍ	أَحَلَّ الدَّهرُ مَوُجِعَهُ الضُّلُوعَا
يُرَقرِقُ أسجُمَاً دِرَرَاً وَسكبَاً	يُشَبَّهُ سَحُّها غَربَاً هَمُوعَا
لِفُقدَانِ الخَضَاوِمِ مِن قُرَيشٍ	وَخَيرِ الشَّافِعِينَ مَعَاً شَفِيعَا
لَدَى الرَحمَنِ يَصدَعُ بالمَثَانِي	وكَانَ له أَبُو حَسَنٍ مُطِيعَاً
حَطُوطَاً في مَسَرَّتِهِ وَمَولَىً	الى مَرضَاةِ خَالِقِهِ سَرِيعَا
وأصفَاهُ النَّبِيُّ على اختِيَارٍ	بِمَا أعيَى الرُّفُوضَ له المُذِيعَا
وَيَومَ الدَّوحِ دَوحِ غَدِيرِ خُمٍّ	أَبَانَ لَهُ الوِلاَيَةَ لو أُطِيعَا
ولكِنَّ الرِّجالَ تَبَايَعُوهَا	فَلَم أرَ مِثلَهَا خَطَرَاً مَبِيعَا
ولم أرَ مثل ذاك اليوم يوماً	ولم أرَ مثله حقاً أُضيعا
فَلَم أبلُغ بِهِم لَعنَاً وَلَكِن	أَسَاءَ بِذَاكَ أَوَّلُهم صَنِيعَا

فَصَـــارَ بِـذَاكَ أَقـرَبُهُـم لِـعَـدلٍ إلى جَـورٍ وأحفَـظُهُـم مُضِــيعَـا
أضَـــاعُوا أمرَ قَـائِـدِهم فَضَــلُّوا وأقـوَمِـهِـم لَـدَى الحَـدَثَـانِ رِيعَـا
تـــناسوا حـــقه وبـغوا عـــليه بـــلا تـــرة وكـان لـــهم قـــريعا
فَـقُـل لِـبَـنِـي أُمَـيَّـةَ حَيثُ حَلُّـوا وإن خِـفـتَ المُـهَـنَّدَ والـقـطِـيعَـا
ألاَ أُفٍ لِـدَهـرٍ كُـنـتُ فِـيـهِ هِـدَانَـاً طَـائِـعـاً لَـكُـمُ مُـطِـيعَـا
أجَـاعَ اللهُ مَـن أشـــبَـعـتُـمُـوهُ وأشـــبَـعَ مَـن بِـجَـورِكُـمُ أُجِـيعَـا
وَيَـلـعَـنُ فَـذَّ أُمَّـتِـهِ جِـهَـارَاً إِذَا سَـــاسَ الـبَرِيَّـةَ والخَـلِـيعَـا
بِمَرضِيِّ السِّـــيَاسَـــةِ هَـاشِـمِيٍّ يَـكُـونُ حَـيَـاً لأُمَّـتِـهِ رَبِـيـعَـا
وَلـيـثـاً فِي المَشَـــاهِـدِ غَـيرَ نِـكسٍ لِـتَـقـوِيـمِ الـبَرِيَّـةِ مُســـتَـطِـيعَـا
يـــقيم أُمورها ويـــذبُّ عـــنها ويـــترك جـــدبها أبـــداً مريعا(٢٩٤)

إلَّا أنَّني وفي المقابل، لا بُدَّ لي من أنْ أُندد وأُشــهّر بعملية تغييب تلك القصــائد، لما تضـمنته من إفادات، دلّت على فهم واستيعاب، من رواد اللغة لمقصـد الحديث والحادثة، من طرف الذين انبروا لنقل نماذج من جميل الشــعر، وضــمنوه كتباً نشــرت بالأســواق، تناولت نخب الشــعر والشــعراء في العهدين الأُموي والعباســي، فنقلوا الغزل الفاضــح والمديح المفرط في البعد عن حقيقة الممدوح، والخمريات الماجنة، وعزفوا وانصــرفوا عن نقل الأشعار المتعلقة بحادثة الغدير خصوصاً، والذاكرة لمآثر أهل بيت النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسـلَّم عموماً، السـبب في ذلك كما هو معلوم، راجع إلى التعصـب المذهبي، الذي

يحجب عادة أصحابه عن رؤية الحقائق، ولا يراها إلَّا من خلال زاويته الضيقة المحدودة.

لم يكن حديث الغدير المجمع على تواتره، وصحة صدوره عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، بياناً أوّلاً لخاصية انفرد بها عليٌّ عليه السلام، دون غيره ممّن عاصر النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقد سبق أنْ أعلن عنها سابقاً في مناسبات عدّة، تناغمت في معانيها مع حديث الغدير، فشكلت في مجموعها تضافراً معنوياً، يقطع شكّ كلِّ مرتاب، من بين تلك الأحاديث: عن عمران بن حصين قال: بعث رسول الله سرية، وأمّر عليها عليَّ بن أبي طالب، فأحدث شيئاً في سفره، فتعاقد أربعة من أ صحاب محمّد، أنْ يذكروا لأمره إلى ر سول الله، قال عمران: وكنّا إذا قدمنا من سفر بدأنا برسول الله فسلَّمنا عليه، قال: فدخلوا عليه فقام رجل منهم فقال: يا رسول الله إنَّ علياً فعل كذا وكذا، فأعرض عنه، ثمَّ قام الثاني فقال: يا رسول الله إنَّ علياً فعل كذا وكذا. فأعرض عنه، ثمَّ قام الثالث، فقال: يا رسول الله إنَّ علياً فعل كذا وكذا، ثمَّ قام الرابع فقال: يا رسول الله إنَّ علياً فعل كذا وكذا. قال: فأقبل رسول الله على الرابع، وقد تغير وجهه وقال: «**دعوا علياً، دعوا علياً، إنَّ علياً منِّي وأنا منه، وهو وليُّ كلِّ مؤمن بعدي**»[٢٩٥].

وأخرجه الترمذي بلفظ: «**ما تريدون من عليٍّ، ما تريدون من عليٍّ، ما تريدون من عليٍّ؟ إنَّ علياً منِّي وأنا منه، وهو وليُّ كلِّ مؤمن بعدي**»[٢٩٦].

عن ابن عباس: إنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال لعليٍّ عليه

السلام: «**أنت وليُّ كلِّ مؤمن بعدي**»(٢٩٧).

عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**من سره أنْ يحيى حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنة عدن غرسها ربِّي، فليوالِ علياً من بعدي، وليوالِ وليّه وليقتد بالأئمة من بعدي، فإنَّهم عترتي، خلقوا من طينتي، رزقوا فهماً وعلماً، وويل للمكذبين بفضلهم من أُمَّتي، القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي**»(٢٩٨).

نزول آية الولاية في عليٍّ عليه السلام ليس هذا فقط، إنَّما أخرج أيضاً جمع من الحفاظ نزول آية الولاية في عليٍّ عليه السلام، عندما تصدق بخاتمه في مسجد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وهو راكع:

عن أبي ذر قال: صلّيت مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يوماً صلاة الظهر، فسأل سائل في المسجد، فلم يعطه أحد شيئاً فرفع السائل يده إلى السماء وقال: اللهم اشهد إنِّي سألت في مسجد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فلم يعطني أحد شيئاً، وكان عليٌّ راكعاً، فأومأ بخنصره اليمنى إليه، وكان يتختم فيها، فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خنصره، وذلك بعين رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فلمّا فرغ النبيُّ من صلاته، رفع رأسه إلى السماء فقال: «**اللهم إنَّ أخي موسى سألك فقال:** ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾.. **إلى قوله** ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (*) هَارُونَ أَخِي (*) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي..﴾ **فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً** ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ..﴾، **اللهم وأنا محمّد نبيّك و صفيّك، اللهم فاشرح لي صدري، ويسر لي أمري، واجعل لي وزيراً من أهلي،**

علياً اشــدد به ظهري»، قال أبو ذر: فوالله ما اســتتم رســول الله الكلمة، حتى نزل عليه جبرائيل فقال: «**يا محمّد اقرأ:** ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾(٢٩٩).

وعليه يمكن القول، إنَّ حديث الغدير قد جاء في ســياق أحاديث أُخرى، تؤكد على مولوية عليٍّ عليه السلام للأُمَّة بعد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وما توقفه في ذلك الموضع، وبيانه ذلك الذي أعلنه في خاتمة مسيرة النبوة، إلَّا تنصيباً له لما بعد مولوية النبوّة، على صاحبها وعلى آله أفضل صلاة وأزكى تسليم.

ذكر علماء اللغة من معاني المولى:

١-الربّ٢-العمّ٣-ابن العمّ٤-الابن٥-ابن الأُخت٦-المعتق٧-المعتق٨-العبد٩-المالك١٠-التابع١١-المنعم عليه١٢-الشريك١٣-الحليف١٤-الصاحب١٥-الجار١٦-النزيل١٧-الصهر١٨-القريب١٩-المنعم ٢٠-العقيد٢١-الولي٢٢-الأَولى بالشيء٢٣-السيد غير المالك والمعتق٢٤-المحب٢٥-الناصر٢٦-المتصرف في الأمر٢٧-المتولي في الأمر

ولئن لاذ من لاذ بهذه المعاني جميعاً، وادّعى اختلاط الأمر عليه، هرباً من الإقرار بحقيقة ولاية عليٍّ عليه السلام على الأُمَّة، فإنَّه كالمستجير من الرمضاء بالنار، قد هرب من الاعتراف بالمعنى الحقيقي للولي والمولى، إلى تعداد معانٍ لا يمكن لأغلبها أنْ تكون

المقصـد الحقيقي للوحي، في ذلك المكان الصـعب من الصـحراء الشـديدة الحرارة، وفي وقت ظهيرة لا يكاد المرء من تلك الجموع الحاشـــدة، يقف فيها على قدميه دون أنْ يبردهما ببعض ثيابه، وعلى ذلك، وبالنظر إلى جملة المفردات التي تعلل بها معارضو المعنى الحقيقي للفظ مولى، فإنَّنا ومعنا كلُّ من ألقى رواسب التبعية العمياء من عقله، وفرَّ من الأوهام التي تذرع بها أصحاب المذاهب، لنصرة مقالاتهم المبنية على أساس من الحيف، لا بُدَّ أنْ نقر بحقيقة ولاية أمر عليٍّ عليه السلام على الأُمَّة بعد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسـلَّم، لأنَّ التوقيت الذي حدده المولى سبحانه وتعالى، ليقيم علياً عليه السـلام علماً وهادياً للأُمَّة من بعده، لا يحتمل ترجيح شـــيء آخر غير ما كان يريده الوحي، وما خطبته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وكلامه الذي نطق به بعد بيانه، وأمره للجموع بمبايعة عليٍّ عليه السلام وتهنئته بالولاية، ونزول ما نزل من القرآن، إلَّا دليل على أنَّ الدين قد كمل، بتنصـيب إمام الأُمَّة بعد النبيِّ صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم وهذا تظافر وإفادة إلى ذلك المعنى.

إنَّ المتتبع لخطبة النبيِّ صـــلَّى الله عليه وآله وســـلَّم يوم الغدير، والتي نقلها حفاظ العامة، من غير التفات إلى الحقائق التي تضمنتها، يستطيع أنْ يتعرف بيسر على أنَّ ذلك اليوم، قد كان مخصوصاً بتنصيب عليٍّ عليه السلام إماماً للأُمَّة الإسلامية، فقد افتتح صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كلامه، بأنَّه يوشك أنْ يدعى فيجيب، ثمّ ثنّاه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بقوله: «**ألست أولى بكم من أنفسكم؟**»

ثمَّ اختتمه بقوله: «**فمن كنت مولاه فعليٌّ مولاه**»، ليس على سبيل إطلاق معنى الولي والمولى، بل كان الغرض منه حصر المعنى في الحكومة وولاية الأمر، فقط دون غيرها من المعاني، لأنَّ غير ذلك لا يتفق مع الأجواء الحافة بالحادثة، ولا أغلب المعاني التي استمسك بترادفها، من هرب من الاعتراف بالمقصد الحقيقي الذي أراده النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

إنَّ تخطئة القائلين بالنصِّ على إمامة عليٍّ عليه السلام، ووصفهم بالمبتدعة والروافض، جلبة غير عاقلة، لا يمكنها أنْ تحجب عنا حقيقة أنَّ الكيان الإسلامي الناشئ، بكافة هياكله السياسية والاجتماعية والاقتصادية، لا بُدَّ له من قائد منصوص عليه من طرف الوحي لسبب وجيه مفاده أنَّ اللطف الإلهي بالأُمَّة الإسلامية يستوجب اختيار من يقوم مقام النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في مرحلة دقيقة وخطيرة، ولا مناص من ذلك الاختيار، ويتأكد ذلك خصوصاً، إذا أخذ بعين الاعتبار خاتمية الرسالة الإسلامية.

أكمل الله تعالى دينه باستمرار الولاية العامة، التي كانت للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على المسلمين من بعده، وتمت نعمته عليهم بتعيين عليِّ بن أبي طالب عليه السلام مولى للمؤمنين، وفي مشهد عظيم من قوافل الحجاج، نفذ النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الأمر الإلهي، بتنصيب عليٍّ عليه السلام إماماً وعلماً للمسلمين، وأمرهم بمبايعته على ذلك، وكانت التهنئة التي صدرت عن المبايعين، علامة تأكيد على فهمهم

لمقصد الوحي من التنصيب، وتفرقت قوافل الحجاج كلٌّ إلى وجهته، وعاد المسلمون إلى ديارهم، بعد أداء شعائر الحج مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ومراسم البيعة لعليٍّ مولى للمسلمين.

أخرج الثعلبي في تفسيره، أنَّ سفيان بن عيينة سئل عن قوله عزَّ وجلَّ: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ في من نزلت؟

فقال للسائل: سألتني عن مسألة ما سألني أحد قبلك، حدثني أبي عن جعفر بن محمد عن آبائه صلوات الله عليهم قال: «**لما كان رسول الله بغدير خم، نادى الناس فاجتمعوا، فأخذ بيد عليٍّ فقال: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، فشاع ذلك وطار في البلاد، فبلغ الحارث بن النعمان الفهري، فأتى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على ناقة له حتى أتى الأبطح فنزل عن ناقته فأناخها فقال: يا محمد أمرتنا عن الله أنْ نشهد أنْ لا إله إلَّا الله وأنَّك رسول الله فقبلناه، وأمرتنا أنْ نصلّي خمساً فقبلناه منك، وأمرتنا بالزكاة فقبلناه منك، وأمرتنا أنْ نصوم شهراً فقبلنا، وأمرتنا بالحج فقبلنا، ثمَّ لم ترضَ بهذا، حتى رفعت بضبعي ابن عمِّك ففضلته علينا، وقلت: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، فهذا شيء من عندك أم من الله؟ فقال: والذي لا إله إلَّا هو إنَّ هذا من الله. فولّى الحارث بن النعمان يريد راحلته وهو يقول: اللهم إنْ كان ما يقوله محمّد حقاً، فأمطر علينا حجارة من السماء، أو ائتنا بعذاب أليم، فما وصل إليها ،حتى رماه الله تعالى بحجر، فسقط على هامته، وخرج من دبره وقتله، فأنزل الله عزَّ وجل:**

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (*) لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (*) مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾[٣٠٠].

لم يظهر يوم الغدير كقيمة عقائدية، متضمنة لأكبر أعياد المسلمين الشيعة، متأخراً عن تاريخ حدوثه، فهذا رسول الله قد أعلن على الملأ قيمته، عندما صرح في رواية نقلها عنه أبو هريرة تقول: من صام يوم الثامن عشر من ذي الحجة، كتب له صيام ستين شهراً، وهو يوم غدير خم، لما أخذ النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بيد عليٍّ بن أبي طالب. الحديث[٣٠١].

وتعهد الموالون لعليٍّ عليه السلام، والمتمسكون بولايته وولاية الأئمة الأطهار من ذريته بيوم الغدير، غير خافٍ في التاريخ الإسلامي، ومن حاول الادّعاء بأنَّ ذلك العيد العظيم هو من اختلاق الدولة الفاطمية، غير منصف بالمرّة، وإنَّما هو سائق أرتال الدعاية التي أسسها من جاء قبله، وما إقامة التهنئة من طرف النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وما استتبع ذلك من نزول آية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي...﴾ وما جاء من تعظيم صيام ذلك اليوم، إلَّا دليل على مقدار ذلك اليوم، الذي لم يتركه عليٌّ والأئمة من ولده عليهم السلام، وشيعتهم الكرام البررة، فكانوا يحيونه في كلِّ عام، واستمروا على ذلك جيلاً خلفاً عن جيل، إلى أنْ يرث الله الأرض ومن عليها. عدَّ حديث «**من كنت مولاه فعليٌّ مولاه**»، من بين الأحاديث المتواترة، فقد أورده السيوطي في الأزهار المتناثرة، عن ثمانية عشر طريقاً، وأخرجه الكتاني في نظم المتناثر، كتاب المناقب، واعترف الحافظ ابن حجر بتواتره قائلاً: حديث «**من كنت مولاه فعليٌّ مولاه**»، أخرجه الترمذي والنسائي، وهو كثير الطرق جداً، وقد استوعبها ابن عقدة في

مؤلف منفرد، وأكثر أسانيدها صحيح أو حسن، كما أخرجه الزبيدي في كتابه لقط اللآلي المتناثرة(٣٠٢).

وقد نقل عن الشيخ سليمان القندوزي الحنفي في كتابه، قال: حكي عن الشيخ أبي المعالي الجويني الملقب بإمام الحرمين، أستاذ أبي حامد الغزالي يتعجب ويقول: رأيت مجلداً في بغداد في يد صحّاف، فيه روايات خبر غدير خم، مكتوب عليه المجلدة الثامنة والعشرون، من طرق قوله صلَّى الله على وآله: **«من كنت مولاه فعليٌّ مولاه»، يتلوه المجلد التاسعة والعشرون**(٣٠٣).

وقد أجاد العلامة الفاضل الشيخ الأميني طيب الله ثراه، وجعل الجنة مأواه، في تأليفه النفيس الذي سماه الغدير في الكتاب والسنة والأدب، الذي استوعبه في أحد عشر مجلداً، لم يترك فيه شاردة ولا واردة تعلقت بالحادثة والحديث، إلَّا أوضحها وبينها وجلاها، وردّ دعاوى الباطل ونعيق الأفاكين، إلى حيث يجب أنْ تكون، في خانة الكذب على الله ورسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

تتبع الشيخ الأميني طرق حديث الغدير، فأرباه على المائة وعشرة من الصحابة، وأربعة وثمانين تابعياً، وثلاثمائة وستين عالماً ومفسراً، وذكر من أفرد بالتأليف عن الحادثة، ستة وعشرين عالماً، موشحاً كتابه بروائع القصائد، لجهابذة الشعراء، وفطاحل الأدباء، على مدى أربعة عشر قرناً، فعدّ بحق موسوعة اختصت بالحديث، وتفرعت منه إلى بقية فضائل وخصائص عليٍّ وأهل بيته عليهم السلام.ولو قدر للروايات التي

تعلقت به، أنْ تمرَّ من بين أيدي المانعين لتداول السنة النبوية، في عهد أبي بكر وعمر، ومن مهدا له ليكون ملكاً على تراثهما، الطليق بن الطلقاء معاوية بن هند، لكان بحق أول الأحاديث ضخامة من حيث طرقه، لأنَّ الحديث والحادثة وقعت على مرأى ومسمع من أكثر من مئة وعشرين ألف حاج، لكن ماذا يقول لسان حالي عندما تعترضني رزية الخميس، التي أعلن فيها عمر بن الخطاب عن موقفه من النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وسنته، وقد دون الحفاظ مقالته: (إنَّ النبيَّ ليهجر، وعندنا القرآن.. حسبنا كتاب الله)[٣٠٤].

لم تكن كلمة ابن الخطاب، في بيت النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وفي محضر منه، عفويّة ولا مرتجلة بالمرّة، فقد أثبت التاريخ بعدها، أنَّ الرجل كان يضمر أُموراً عدّة، لعلّ أهمها وأخطرها على الأُمَّة الإسلامية، منع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من كتابة وصيته المهمة، ثمَّ تحالف مع ابن أبي قحافة، من أجل منع السنة النبويّة من التداول بين الناس، بالإكراه والتهديد والضرب بالدّرة والنفي، وباستعمال الحيلة، بمناشدة الناس أنْ يأتوا بالأحاديث المكتوبة إلى الخليفة ليجمعها، فأحرق هؤلاء الزاعمون بأنَّهم أتباع سنة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، عدداً مهماً من الأحاديث المكتوبة الصحيحة، وأوعز أنصارهم ذلك الإجراء إلى الخشية من اختلاطها بالقرآن، وربَّ عذر أقبح من ذنب، لأنَّ القرآن إعجازيٌّ في ألفاظه ومعانيه، لا يمكن أنْ يختلط بالقرآن، ولو فصلت آياته وخلطت بالسنة النبوية.

ولو كانت نية القوم حيال السـنة سـليمة، ولم يكن القصـد منها التخلص من احتجاج عليٍّ عليه السـلام ومناصـريه بها، لانصـرفوا إلى جمعها، بعد أنْ أنهوا جمعهم المزعوم للقرآن، وقد ارتفعت خشية اختلاطها به.

مع أنَّ دعوى ترك النبيِّ صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم للقرآن دون جمع، واهية وزعم مؤداه، نسـبة التقصـير له في أداء كتابه، وهو ممّا لا يجوز على الله تعالى، وجمع كالذي ادّعاه هؤلاء يفتح باباً من الشك في سلامة ذلك الجمع.

كما لا يفوتنا في هذا المجال، أنْ نكشـف عن حقيقة ظلت مغيبة عن الأُمَّة الإسـلامية، بسـبب الحجر والمنع وتزوير الحقائق، وطمس الجرائم التي ارتكبت في حق الأُمَّة وشـريعتها، وهي ردّ الدعوى القائلة، إنَّ جميع الحروب التي خاضـها أبو بكر بعد توليه للحكم، كانت حروب ردّة عن الدين، وإقامة دعوى مضـادة تقول، إنَّ جانباً من تلك الحروب، كان إخضـاعاً للقبائل بالقوّة لحكومة أصـحاب السقيفة، ولم يكن مانعوا الزكاة الذين حاربهم أبو بكر، في معظمهم غير أولئك الذين شـهدوا بيعة الغدير، فرفضوا تسليم الحقوق الشرعية، لمن اغتصب السلطة من عليٍّ عليه السلام، فحورب هؤلاء تحت غطاء الردّة عن الدين، وفي ذلك ما فيه من الادّعاء الكاذب، كذب رواة تلك الأحداث، كسيف بن عمر، والسري وغيرهما، ممّن قال علماء الجرح والتعديل من خط السـقيفة، بجهالة بعضـهم وعدم عدالة البعض الآخر، وأكبر دليل على أنَّ تلك الحروب كانت في معظمها سياسية وغير عقائدية، ما جاء فيها من قتل لمالك بن نويرة،

الذي خلفه رسـول الله على قومه، والدخول بزوجته في اليوم نفسه، من طرف بن الوليد بن المغيرة، وعدم إقامة الحدِّ على قاتله، بعذر أنَّه قد تأوّل وأخطأ، وربَّ عذر أقبح من ذنب.

أمّا من تفطن إلى حقيقة مجريات تلك الأحداث الدامية والمحزنة، من خط الوراثة الأعمى كالدكتور علي عبد الرازق، في كتابه الإسلام وأُصول الحكم، فإنَّه عوض أنْ يعود إلى حقيقة تنصيب عليٍّ السلام إماماً وقائداً للأُمَّة الإسلامية، فيعترف بأنَّ الإسلام الذي جاء به النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، هو منظومة متكاملة السلطات، أوغل في الادّعاء الباطل، وبنى على ما أسسه الأولون، قائلاً بفصل الدين عن الحياة.

إنَّ الافتراء على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، والادّعاء عليه بأنَّه قد ترك الأُمَّة وشريعته (كتابه وسنته) غير مجموعين، هو من قبيل الادعاء نفسه، بأنَّه ترك الأُمَّة بلا إمام وقائد، يسلك بها سبيل الهداية، ويمنع عنها سبل الانحراف.ولا أعتقد أنَّ عاقلاً يقول بإهمال الأُمَّة، وترك الشريعة الخاتمة بين الناس، يفعلون بها ما يرونه، والدين قد كمل والنعمة قد تمّت، وأيُّ كمال للدين يدّعى في نظر القائلين بخلاف النصّ ونظام الحكم مغيب؟ وأيّ تمام للنعمة عند هؤلاء، ولم يقع تعيين من سيقوم مقام النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، في حفظ الدين، وقيادة المسلمين، والحكم بينهم بالعدل والسوية؟

ولاية أُمور المسلمين، واستلامها من النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لمرحلة ما بعد النبوة، أمر لازم لا يستطيع إنكاره عاقل، وادّعاء إهمال هذا المنصب الحساس

والخطير من طرف الوحي، باطل لا سند له عقلاً ولا نقلاً، لأنَّ ولاية الأمر أساس من أساسات الشريعة الخاتمة، لا يمكن بأيِّ حال من الأحوال غض الطرف عنها، والذي ادّعى إهمال ذلك الأمر المهم، رادٌّ على الله سبحانه وتعالى، ورادٌّ على رسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ومن القائلين بفصل الدين عن الحياة.

وعلى الرغم من احتجاج عليٍّ عليه السلام، ومطالبته بحقه منذ أنْ تناهت إليه أخبار السقيفة وأصحابها، فإنَّ الذين تمسكوا بالرأي القائل بإهمال الحكومة بعد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وترك أمرها للناس، لم يجدوا بُداً من الادّعاء بسكوت عليٍّ عليه السلام عن حقه، دفعاً لحجة دامغة قد تقوض ما بنوه من زيف، وتغييباً لصوت صاحب قضية ظلت تتراوح بين أفراد الأُمَّة الإسلامية قروناً طويلة، وهي بين مؤيد موالٍ، ومفندٍ قالٍ، كلٌّ حسب الشرب الذي ارتوى منه، أو قل كلٌّ حسب الموروث الذي وجد نفسه فيه.

لكن هل من مصلحة الأُمَّة اليوم أنْ تواصل السير في طريق هجران أساس من أساسات الدين، وركن من أركانه المهمة؟ بعد ما تبين سقم نظرية الشورى، وسوء تطبيقها من طرف الداعين لها، وآثارها السلبية المدمرة لمعلم مهم في الأُمَّة، احتاجته في أُولى مراحل نشأته، وحرمت منه، بسبب الهوى والطمع والحرص على الدنيا، وهو ولاية أمرها.

لا أعتقد أنَّ هناك مسلماً عاقلاً، يرى الاستمرار في السير على طريق، لم يجلب

للإسلام غير سوء الفهم، وجهالة التطبيق، لأنَّ فاقد الشيء لا يعطيه، لذلك فإنَّه من الضروري مراجعة ما بني على أساس حادثة السقيفة، لأنَّ ذلك البناء مشتمل على نظريات، فيها تشكيك بسلامة الدين وتمامه، ويفتقد إلى عديد الإجابات عن مسائل مهمة متعلقة بالدين، فيه دعوة صريحة إلى فصل الدين عن الحياة، وموالاة الظالمين وطاعتهم، والسقيفة في حدِّ ذاتها هي فصل لدور المسجد، وتأسيس لأُسلوب مغاير لما ربى عليه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أُمَّته. إنَّ النص على إمامة عليٍّ عليه السلام للأُمَّة بعد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، هو الضمان الوحيد لسير عملية التربية والإصلاح والتعليم، والاعتقاد الصحيح للدين والحياة، واعتماد مرحلة النصّ على من سيلي أمر الأُمَّة بعد النبوة، هي الضمان الوحيد لمواصلة تلك المرحلة، والأداء بالاتجاه نفسه والوتيرة نفسها.

لم يسكت عليٌّ عليه السلام طوال حياته عن حقّه المشروع في قيادة الأُمَّة، والذي اغتصبه منه أصحاب السقيفة في غفلة، وهو يؤدي واجباً كبيراً، تمثل في تجهيز النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ودفنه، فقد أعلن أحقيته في أكثر من مناسبة، فلم يترك مجالاً ولا مكاناً، إلَّا أقام فيه الحجة على الناس، وعدم إخراج من تعود على السكوت عن الحق لتلك الحقيقة، لا يعني عدم وجودها أو بطلانها، بل بالعكس، فإنَّ الذين أداروا ظهورهم لاحتجاجات عليٍّ عليه السلام، لم يتفطنوا إلى أنَّهم أوقعوا أنفسهم موقع التهمة والشك والريبة، في ما نقلوه من موافقة وسكوت مريبين، لا يعبران عادة إلَّا عن

شـــخص مغاير تماماً لشـــخص عليٍّ عليه الســـلام، وهو الذي كان إذا خير بين أمرين، اختار أشدّهما عليه.

احتجاجات ومناشدات عليٍّ عليه السلام على حقّه المسلوب كثيرة، لكنَّ التاريخ المشـوّه والمؤرخين المنحازين لأنظمة بنت أســاســاهَا على أنقاض الســقيفة، حال دون وصـــول أكثر تلك المناشـــدات، لذلك نكتفي بالقدر الذي مرَّ إلينا من بين هؤلاء.عند وفاة النبيِّ صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم، عمدت عصـابة تعاهدت من قبل، على صـرف القيادة عن عليٍّ عليه الســـلام، بدعوى أنَّ قريشـــاً كرهت أنْ تكون النبوة والخلافة في بيت النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

وتحرك عليٌّ عليه الســـلام، فلم يترك مكاناً يدلي فيه بحجته إلَّا اتجه إليه، فأقام الحجة على أهل المدينة، وكانت معه فاطمة بنت محمّد صـــلَّى الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها، تشـــدّ أزره وتشـــحذ همّته، وتحرك عواطف المســـلمين إليه بحضـــورها ومســـاندهَا، إلَّا أنَّ الناس كانوا قد أعطوا بيعتهم لابن أبي قحافة طوعاً وكرهاً، وهَيبوا خلعها.

لقد احتجت فاطمة عليها الســـلام على أهل المدينة في مناســـبتين، الأُولى تمّت عندما بلغها نبأ مؤامرة الســـقيفة، وقد خرجت إلى أحياء الأوس والخزرج، ليلاً برفقة زوجها، مذكرة ناصحة.

والثانية عندما أرادت أنْ تقيم الحجة على ابن أبي قحافة في مســـجد أبيها، بعدما

منعها نحلتها وميراثها وسهم ذي القربى، برواية مفتراة متعارضة مع كتاب الله، ينفر منها العاقل، فلو كانت صحيحة، لكانت سيدة نساء العالمين أَولى بمعرفتها من غيرها، وأهل البيت أَولى بالذي فيه، وكانت خطبتها في غاية من البلاغة والحجة. وما شهادة الصديقة الطاهرة عليها السلام، وسرعة لحاقها بأبيها صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وخروجها من دار الدنيا وهي سيدة نساء العالمين، غاضبة ساخطة متبرمة، وقالية لغدر الغادرين، وعنقها خالية من بيعة الغاصبين، إلَّا دليل على أحقية بعلها أمير المؤمنين، وسيد المتقين عليه السلام، لأنَّ من يموت وليس في عنقه بيعة، تكون ميتته جاهلية، كما صرح بذلك النبيُّ الأكرم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وفاطمة عليها السلام لم تبايع سوى زوجها، بيعة الطاعة والرضا، بما اختاره الله ورسوله للأُمَّة الإسلامية.

واستمر احتجاج عليٍّ عليه السلام كلّما سنحت له فرصة، ففي شورى الستة الذين اختارهم الخليفة الثاني، وقف محذراً ومذكراً، أولئك الذين اشرأبت نفوسهم وتاقت إلى السلطة، بأنَّه أَولى منهم بتقلدها، لكنَّ كلامه لم يستقر في أُذن واحد منهم، وهي خصائص لو كانت لواحد من هؤلاء، لتسلَّم السلطة بكلِّ يسر.

مناشدة الإمام عليٍّ عليه السلام يوم الرحبة

نقل الحفاظ احتجاج عليٍّ عليه السلام، واستدلاله على أحقيته وأولويته في قيادة الأُمَّة الإسلامية، في فترة إمامته عندما كان في الكوفة، ناشد الناس: «من سمع

النبيَّ يوم الغدير يقول من كنت مولاه فعليٌّ مولاه؟».

عن رياح بن الحارث، قال: جاء رهط إلى عليٍّ بالرحبة فقالوا: السلام عليك يا مولانا. قال: «**كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب؟**» قالوا: سمعنا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يوم غدير خم يقول: «**من كنت مولاه فإنَّ هذا مولاه**». قال رياح: فلمّا مضوا تبعتهم فسألت من هؤلاء؟ قالوا: نفر من الأنصار، فيهم أبو أيوب الأنصاري. حدثنا أبو أحمد حدثنا حنش عن رياح بن الحارث قال: رأيت قوماً من الأنصار، قدموا على عليٍّ في الرحبة فقال: «**من القوم؟**» قالوا: مواليك يا أمير المؤمنين(٣٠٥).

عن زيد بن أرقم قال: استشهد عليٌّ الناسَ فقال: «**أُنشد الله رجلاً سمع النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: اللهم من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه**». قال: فقام ستة عشر رجلاً فشهدوا(٣٠٦).

عن أبي الطفيل قال: جمع عليٌّ رضي الله تعالى عنه الناس في الرحبة ثمَّ قال لهم: «**أُنشد الله كلَّ امرئ مسلم سمع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول يوم غدير خم ما سمع لما قام**» فقام ثلاثون من الناس.

وقال أبو نعيم: فقام ناس كثير، فشهدوا حين أخذه بيده. فقال للناس: «**أتعلمون أنِّي أَولى بالمؤمنين من أنفسهم؟**». قالوا: نعم يا رسول الله. قال: «**من كنت مولاه، فهذا مولاه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه**». قال: فخرجت وكأنَّ في نفسي

شـيئاً، فلقيت زيد بن أرقم، فقلت: له إنِّي سمعت علياً رضـي الله تعالى عنه يقول كذا وكذا. قال: فما تنكر؟ قد سمعت رسـول الله صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم يقول ذلك له[٣٠٧].

دعاء أمير المؤمنين على الذين كتموا شهادتهم يوم الرحبة:

لما أنشد عليٌّ عليه السلام من حضر يوم الغدير، أنْ يقوم للشهادة، وقد اجتمع الناس على اختلاف أهوائهم ومشاربهم، بادر من بادر إلى الإقرار بذلك، والشهادة بما سمع يومها من النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وتلكأ وأحجم من أحجم، هنالك دعا: «**اللهم من كتم هذه الشهادة وهو يعرفها، فلا تخرجه من الدنيا حتى تجعل به آية يعرف بها**»[٣٠٨].

وكان من بين الحضور: أنس بن مالك، والبراء بن عازب، وزيد بن أرقم، وجرير بن عبد الله البجلي، فبرص أنس بن مالك، وعمي زيد بن أرقم، والبراء بن عازب، وارتد جرير بن عبد الله البجلي أعرابياً.

أمَّا أنس فقد سأله عليٌّ عليه السلام قائلاً: «**لقد حضرتها فمالك؟**» فقال: يا أمير المؤمنين لقد كبرت سني، وصار ما أنساه أكثر ممّا أذكره. فقال له: «**إنْ كنت كاذباً فضربك الله بها بيضاء لا تواريها العمامة**»، فما مات حتى أصابه البرص. وقد عُدَّ أنس بن مالك من المنحرفين عن عليٍّ عليه السلام[٣٠٩].

أقول: وحديث الطير المشوي، يزيد خبر انحراف أنس عن عليٍّ عليه السلام تأكيداً.

سؤال الناس عن حديث الولاية المعروف بحديث الغدير

عن عطية العوفي، قال: سألت زيد بن أرقم، فقلت له: إنَّ ختناً لي حدثني عنك بحديث في شـــأن عليٍّ رضـــي الله تعالى عنه يوم غدير خم، فأنا أحبّ أنْ أسمعه منك. فقال: إنَّكم معشر أهل العراق فيكم ما فيكم. فقلت له: ليس عليك مني بأس. فقال: نعم كنّا بالجحفة، فخرج رسول الله صلَّى الله عليه (وآله) وسلَّم إلينا ظهراً، وهو آخذ بعضد عليٍّ رضي الله تعالى عنه، فقال: «**يا أيّها الناس ألستم تعلمون أنِّي أَولى بالمؤمنين من أنفسهم؟**» قالوا: بلى.

قال: «**فمن كنت مولاه، فعليٌّ مولاه**». قال فقلت: له هل قال اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه؟ قال: إنَّما أخبرك كما سمعت[٣١٠].

معاوية الطليق ينال من عليٍّ عليه السلام

عن سعد بن أبي وقاص قال: قدم معاوية في بعض حجاته، فدخل عليه سعد، فذكروا علياً فنال منه، فغضب سعد وقال: تقول هذا لرجل سمعت رسول الله صلَّى الله عليه (وآله) وســـلَّم يقول: «**من كنت مولاه، فعليٌّ مولاه**»، وسمعته يقول: «**أنت منّي بمنزلة هارون من موســـى إلَّا أنَّه لا نبيَّ بعدي**». وسمعته يقول: «**لأُعطين الراية اليوم رجلاً يحبّ الله ورسوله**»[٣١١].

وأخيراً، إذا نحن نظرنا إلى تظافر الأحاديث النبوية، التي أخبرت بولاية عليٍّ عليه السلام على الأُمَّة الإسلامية، وقايسناها بشخصية ذلك الرجل الفريد، وسيرته الملأى بالعمل والعلم والبذل والفداء، وما كان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يوليه من التعهد والعناية لشخصه، وما خصّه منذ صغره إلى أنْ خرج من دار الدنيا، مضافاً إلى المهام التي أوكلها إليه، من قيادة للجيوش، وإمارة للمدينة، وقضاء بين الناس، سواء كان ذلك بحضوره أو في غيابه، تأكد لدينا أنَّ مسألة تولي السلطة من بعده، حتى وإنْ كانت غير محسومة بالتعيين، ومتروكة للناس اختياراً، لترك النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم آلية تحقق الاختيار الأمثل، ولكان أرشد الناس إلى كيفية القيام بتلك المهمة الجسيمة، ولكن بماذا يمكننا أنْ نعرّف عملية استلام للسلطة في أجواء مشحونة، وفي غياب عليٍّ عليه السلام، ومن كان معه في مصيبته من بني هاشم وخلص الصحابة، الذين أبقاهم واجب أداء حق النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في تجهيزه والصلاة عليه ودفنه، ألا يعتبر تعدياً على شخص النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وعدم احترام له، وانقلاباً على سلطانه في غفلة من المؤهلين لتسلَّم السلطة من بعده.

ولم يرد عليٌّ عليه السلام تمزيق صفِّ الأُمَّة، وجرّها إلى التناحر والحرب، فقد امتنع عن تصعيد الأمر إلى مستوى المواجهة، امتثالاً لنصيحة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، عندما أمره بالصبر عند غياب الناصر، بذلك ضرب لنا مثلاً آخر ينمُّ عن شخصية، قلَّ مثيلها في الإنسانية، دلّت على أنَّ علياً كان يعيش ويحيا من أجل غيره من

بني البشر، لذلك فإنَّه لم يدّخر جهداً من أجل غيره، وخرج من الدنيا وهو يحاول تثبيت أساسات الدولة الإسلامية، التي حدّد معالمها النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وحرّف معالمها أصحاب السقيفة، إلى حدٍّ أصبح الإسلام مفرغاً من السياسة والحكم، ولا علاقة بين هذا وذاك في الحياة.ورغم هذا وذاك، فإنَّ من لاذ بولاية غير عليٍّ عليه السلام لم يصب خيراً، وما ضرَّ عليّاً عليه السلام من هروب الناس عن ولايته شيئاً، إنَّما أضروا بذلك دينهم وأنفسهم، ولم يصيبوا من دنياهم شيئاً يأملونه لآخرتهم، وبقي عليٌّ عليه السلام هو نفسه علم الهداية والعلم والشجاعة والخير والعزة، وليّ كلِّ مؤمن ومؤمنة، زاده النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم تشريفاً بقوله: «**لا يحبُّ علياً غير مؤمن طاهر الولادة، ولا يبغض علياً - وعلامة البغض تقديم من دونه عليه- إلَّا منافق خبيث الولادة**»،

وحسبنا من هذه الدنيا أنْ نتزود بحبِّ وولاية عليٍّ عليه السلام وأولاده الهداة، ونقتبس من آثارهم ما يهيئ لنا مكاناً لشفاعتهم، وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربِّ العالمين.

لا يؤدي عنك إلَّا أنت أو أحد منك

في السنة التاسعة من الهجرة المباركة، صدر أمر من النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم للناس، بالتجهّز للحج، وقد كان دأب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، تأمير رجل على كلِّ بعث يرسله، سلماً كانت غايته أم حرباً.

ولما قرب حلول شهر ذي الحجة، وأتمّ الناس استعداداهم للخروج إلى بيت الله الحرام، أمّر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أبا بكر بن أبي قحافة على الجموع، وحمّله سورة براءة، ليقرأها على الناس في الموسم.

ولم يكن ذلك التعيين تفضيلاً للرجل على بقية الصحابة، فضلاً عن عليٍّ عليه السلام، لسبب واحد وبسيط أعقب ذلك التعيين، وهو عزله عن أدائه، ولقد كان عيّنه من قبل على سرية ذات السلاسل، وخيبر فلم يفلح في تحقيق شيء، وكانت الهزيمة نصيبه مرتين.لم يبتعد ركب الحجاج كثيراً عن المدينة، حتى نزل جبرائيل عليه السلام بأمر الله تعالى، قائلاً للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ الله يقرئك السلام ويقول لك، لا يؤدي عنك إلَّا أنت أو رجل منك**». فاستدعى علياً وقال له: «**اركب ناقتي العضباء،**

والحق أبا بكر فخذ براءة من يده، وامض بها إلى مكة، وانبذ بها عهد المشركين إليهم، وخير أبا بكر بين أنْ يسير مع ركابك، أو يرجع إليَّ».

فركب أمير المؤمنين ناقة رسول الله العضباء، وسار حتى لحق بأبي بكر، فلمّا رآه فزع من لحوقه به، واستقبله فقال: فيم جئت يا أبا الحسن؟ أسائر أنت أم لغير ذلك؟ فقال: «**من رسول الله أمرني أنْ ألحقك، فأقبض منك الآيات من براءة، وأنبذ بها عهد المشركين إليهم، وأمرني أنْ أُخيرك بين أنْ تسير معي، أو ترجع إليه**»، فقال بل أرجع إليه.

وعاد إلى النبيِّ، فلمّا دخل عليه قال: يا رسول الله إنَّك أهلتني لأمر طالت الأعناق إليَّ فيه، فلمّا توجهت له رددتني عنه، مالي أنزل فيَّ قرآن؟ فقال: «**لا، ولكنَّ الأمين جبرائيل هبط إليَّ عن الله عزَّ وجلَّ، بأنَّه لا يؤدي عنّي إلَّا أنا أو رجل منّي، وعليٌّ مني ولا يؤدي عني إلَّا عليٌّ**»(٣١١).

ذكرت الرواية أنَّ الرجل قد رجع إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، بعد أنْ خيّره عليٌّ عليه السلام بين البقاء تحت إمرته وبين الرجوع، وهي لعمري دليل على تذبذب في شخصيته، وتردد في إيمانه، لأنَّه لو لم يكن همّه طلب الإمارة والرئاسة، لخيّر البقاء في وفد الحج، لما في ذلك من الأجر العميم والخير الوفير.

ومثلما اعتاد فريق التحريف على نسج خيوط عناكبه، في استبدال الحقائق بأوهام من وحي شياطينهم، فقد التفت إلى خطورة الإقالة والعزل على صاحبهم،

وإنَّها لو بقيت بلا رديف معارض، أو تحريف مناقض، فإنَّها ستكشف بالدليل على عدم أهلية قيادة ابن أبي قحافة في السلم، كما ثبت عدم أهليته في الحرب، ومثلما عزله رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن الصلاة، عندما سمع صوته، وهو يؤم المصلين بمسجده دون إذن منه، وهو الذي أوعبه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في جيش أُسامة، ومن المفروض أنْ يكون تواجده في معسكر الجيش خارج المدينة، إحباطاً لمؤامرة الصلاة بالناس للتمويه على المسلمين، وعزله النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم هذه المرّة، بعدما قلّده إمارة الحج، لينبّه الناس أنَّ الرجل لا يصلح لأمر، وعليٌّ عليه السلام موجود بين ظهراني هؤلاء المتربصين بالزعامة والقيادة.

تحريف الحادثة، جاء ليبقي ابن أبي قحافة أميراً على الحج، ويوقف دور عليٍّ عليه السلام على تلاوة الآيات من سورة براءة:

عن جابر، أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم حين رجع من عمرة الجعرانة، بعث أبا بكر على الحج، فأقبلنا معه حتى إذا كان بالعرج، ثوّب بالصبح ثمّ استوى ليكبر، فسمع الرغوة خلف ظهره، فوقف على التكبير، فقال: هذه رغوة ناقة رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم الجدعاء، لقد بدا لرسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم في الحج، فلعلّه أنْ يكون رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فنصلّي معه، فإذا عليٌّ عليها، فقال له أبو بكر: أمير أم رسول؟ قال: «**لا بل رسول أرسلني رسول الله صلَّى الله عليه -وآله- وسلَّم ببراءة، أقرأها على الناس في مواقف الحج**. فقدمنا مكة، فلمّا كان قبل التروية بيوم، قام أبو بكر

رضي الله عنه فخطب الناس فحدثهم عن مناسكهم، حتى إذا فرغ، قام عليٌّ رضي الله عنه فقرأ على الناس براءة حتى ختمها، ثمَّ خرجنا معه، حتى إذا كان يوم عرفة، قام أبو بكر فخطب الناس فحدثهم عن مناســكهم، حتى إذا فرغ قام عليٌّ، فقرأ على الناس براءة حتى ختمها، ثمَّ كان يوم النحر فأفضنا، فلمّا رجع أبو بكر، خطب الناس فحدثهم عن إفاضتهم، وعن نحرهم، وعن مناسكهم، فلمَّا فرغ قام عليٌّ فقرأ على الناس براءة حتى ختمها، فلمّا كان يوم النفر الأول، قام أبو بكر فخطب الناس، فحدثهم كيف ينفرون وكيف يرمون، فعلمهم مناســكهم، فلمّا فرغ قام عليٌّ فقرأ براءة على الناس حتى ختمها[٣١٢].

الرواية بما حوته من تداعيات، ينطبق عليها المثل الذي يقول: كاد المريب أنْ يقول خذوني.

من المسلَّم به أنَّ علياً عليه السلام لم يتأمر عليه أحد مطلقاً، باستثناء رسول الله صــلَّى الله عليه وآله وســلَّم، لذلك فإنَّه من البهتان المفضــوح، الادّعاء بخلاف تلك الحقيقة الواضحة وضوح الشمس، فمن قال غير ذلك فهو مفترٍ كذاب على الله ورسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، هذا من ناحية القيادة، أمّا من ناحية البلاغة والفقه والقضاء والعلم والمعرفة، فإنَّ علياً لا يقاس به أحد أبداً، ولئن كان النبيُّ قد أجاز له أنْ يقضــي بين الخصــوم في حضــوره، وأرســله عدّة مرّات لفصــل النزاع والصــلح وأداء الحقوق لمستحقيها، والسيرة شاهدة على ما تميز به عليٌّ عليه السلام، فإنَّ غير عليٍّ عليه السلام

لم يُرَ له أثر يذكر في قيادة موفقة، أو كلام وبلاغ مرضي لله ورسوله، وما حصل من إعراض النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن ابن أبي قحافة، عندما تكلم يوم بدر بكلام لم يعجبه دليل على عدم توفيقه، وقد أشرت إلى ذلك في الحلقة الخاصة ببدر، والتي حملت عنوان: (سيف الله المسلول).

أمّا ما جاء من دعوى إقامة شعائر الحج في تلك السنة، على الوجه المعروف، فإنَّ ذلك يحتاج إلى إثبات، بل لعلَّ الصواب هو القول، إنَّ بيان مناسك الحج جاء في السنة العاشرة من الهجرة، عندما حجَّ النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حجته الوحيدة، المعروفة بحجة الوداع، ليُعلم الناس آخر شعائرهم ويتمم لهم دينهم، ثمَّ من أين لابن أبي قحافة القدرة على تعليم الناس مناسك حجهم، وهي شعيرة لم يطبقها النبيُّ، حتى يأخذها بقية الصحابة عنه، أتراه وحيٌ نزل عليه فلا نعلمه؟ أم أنَّ فرائض الحج وسننه وأركانه ومحرماته ومكروهاته، كيفية بدئه وانتهائه، هي من خواص ابن أبي قحافة دون النبيِّ؟ وما عشت أراك الله الدهر عجباً. ولا عجب في ما اقترفته الأيدي الآثمة في حق عليٍّ عليه السلام، لكنَّ العجب يأخذك أيَّ مأخذ، عندما ترى أولئك الذين غابت عقولهم عن وعي إدراك الحقيقة، والتمييز بين الصدق والكذب، تنطلي عليهم مثل هذه الروايات، العارية تماماً من قرينة الإقناع، بما حوته من دسٍّ لا يمتُّ إلى واقع الأمر بصلة، فعليٌّ عليه السلام لم يتأمر عليه أحد في حياة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، سواء أرسله للغزو والحرب، أم أرسله للمصالحة والمفاوضة والسلم، حتى عندما تركه

في المدينة عند ذهابه إلى غزو الروم، جعله والياً عليها وأميراً مقدماً فيها، أوكل إليه المهام التي كان مباشـراً لها بنفسـه، لعلمه بأنَّه أكفأ من هو موجود حوله، ليكون وحده صـــمام الأمان للمدينة، من منافقين أعدوا العدّة للاســتيلاء عليها، وفي تلك الحادثة صرح النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قائلاً لعليٍّ عليه السلام: «**أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلَّا أنَّه لا نبيَّ بعدي**»(٣١٣) أخرجه جميع الحفاظ باتفاق.

وحديث المنزلة، لمن تتبع منزلة هارون من موســى في كتاب الله، يجد لعليٍّ عليه السلام فيه مقام التبليغ من بين بقية المقامات، كالأُخوّة والوزارة وشدّ الأزر والإشراك في الأمر. قـال تعـالى: ﴿.. وَأَخِي هَـارُونُ هُوَ أَفْصَـحُ مِنِّي لِسَـانًا فَـأَرْسِـلْـهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي.. ﴾(٣١٤).

وفصاحة عليٍّ عليه السلام ليست من الدعاوى الخالية من قرينة الإثبات، فهذه خطبه العجيبة المجموعة في كتاب نهج البلاغة، متداولة بين الناس ينهلون منها روي البيان، وفنون البلاغة والبديع، ولم يأنس بها أحد ورجع من حياضـها ظامئاً، وما توجه تلقاءها متعلم ورجع خالي الوفاض، حتى قال القائل في كلام عليٍّ عليه الســلام: هو دون كلام الله تعالى، وفوق كلام البشر.

وابن أبي قحافة لم يُعرف في الخطباء، ولم يصـــنف من العلماء، ومنتهى القول فيه أنَّه كان نسابة، ولا أراه يفوق صاحبه في السقيفة، عندما عجز عن معرفة الأبّ، فقال

مقالته الشـهيرة على منبر النبيِّ صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾(٣١٥) وما يدريكم ما الأبّ؟ ما عرفتموه من كتاب الله فخذوا به، وما لم تعرفوا فكلوه إلى ربِّه.لقد كان رسـول الله متيقناً من عليٍّ عليه السـلام، ووزنه الكبير في الجيش الإسـلامي، لكنَّه مع ذلك تركه لمهمة لا تقل قيمة عن مشـاركته الغزو، فقد قال له وقتها: «**يجب أنْ تبقى أو أنْ أبقى**»، لذلك فإنَّه من بذيء الكلام، أنْ نلوك ما اجتره أعداء عليٍّ عليه السـلام، من سقيم القول في شأنه.

من الآيات التي نزلت في حق عليٍّ عليه السلام، وكانت من خصوصياته التي لم يشـاركه فيها أحد، هذه الآية المتعلقة بالحج الأكبر، التي نسـبت له صـفة مهمة وعظيمة متصـلة بالتبليغ، فقد أضـافت الآية لعليٍّ عليه السـلام لقباً آخر، لا يقل قيمة عن بقية الألقاب التي حازها، وانفرد بها دون بقية الصـحابة، وهي كونه آذاناً من الله ورسـوله صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم، ولم يصـف المولى تعالى الحج بالأكبر، إلَّا لمحلِّ عليٍّ عليه السـلام فيه من قيادة وإدارة وبلاغ، ومن قال خلاف ذلك، فإنَّه إلى التحريف وتزييف الحقائق والمسـلَّمات، أقرب منه إلى أيِّ شـيء آخر.قال تعالى: ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ...﴾(٣١٦).

عن الحارث بن مالك قال:

أتيت مكة فلقيت سـعد بن أبي وقاص، فقلت: هل سمعت لعليٍّ منقبة؟ قال: لقد شـهدت له أربعاً، لأنْ تكون لي واحدة منهن أحبّ إليَّ من الدنيا، أعمر فيها مثل

عمر نوح، إنَّ رسول الله بعث أبا بكر ببراءة إلى مشركي قريش، فسار بها يوماً وليلة، ثمَّ قال لعليٍّ: «**اتبع أبا بكر فخذها وبلغها**» فردّ عليٌّ أبا بكر، فرجع يبكي، فقال: يا رسول الله أنزل فيَّ شيء؟ قال: «**لا إلَّا خيراً، إنَّه ليس يبلغ عنّي إلَّا أنا أو رجل مني**»[٣١٧].

عن أنس بن مالك قال: بعث النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم ببراءة مع أبي بكر، ثمَّ دعاه فقال: «**لا ينبغي لأحد أنْ يبلغ هذا إلَّا رجل من أهلي**». فدعا علياً فأعطاه إياها[٣١٨].

وقد عثرت في أثناء بحثي على روايتين لأبي هريرة، واحدة ذهبت في طريق تحريف حقيقة أنَّ علياً عليه السلام كان أميراً على الحجّ الأكبر، والرواية الثانية جاءت بخلاف الأُولى، وقد تضمنت اعترافاً بأنَّ الرجل قد جاء مع عليٍّ عليه السلام، حين بعثه ببراءة، وأنا إذ استبعد وجود أبي هريرة من أساسه في ذلك البعث، لكون الرجل في البحرين مع العلاء الحضرمي، وإذا اختلفت الروايتان، سقطت التي لم تجد أُخرى تؤيدها.

عن المحرر بن أبي هريرة عن أبيه قال جئت مع عليٍّ بن أبي طالب حين بعثه رسول الله صلَّى الله عليه و سلَّم إلى أهل مكة ببراءة قال: «**ما كنتم تنادون؟**» قال: كنا نادي إنَّه لا يدخل الجنة إلَّا نفس مؤمنة، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم عهد، فأجله أو أمدّه إلى أربعة أشهر، فإذا مضت الأربعة أشهر فإنَّ ﴿اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾، ولا يحج بعد العام مشرك».

فكنت أنادي حتى صحل صوتي[٣١٩].

وأبو هريرة هذا، من الذين كانوا لا يتورعون عن الكذب، من أجل نوال نصيب من الدنيا، فقد كان من الذين خيروا الانزواء بعيداً عن الجهاد في سبيل الله، ونصرة الإمام المفترض الطاعة عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام، في مواجهة فتنة معاوية الطليق، عمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومروان بن الحكم، وبني أُمية ومن ناصرهم على جرائمهم، حتى إذا ما استطال الباطل على الحق، كان الرجل مع من التحق بالشام طلباً للدنيا، ومن جملة المهنئين، وفي عداد المؤيدين بلسانه، أمّا قلبه فنوكله إلى الله تعالى، لأنَّه العالم بما في الصدور، فقرّبه المناوئون لعليٍّ عليه السلام، ووجدوا فيه مادة دسمة للكذب على الله ورسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فكان يوافقهم على سياساتهم، وينشر لهم من مزود كذبه، ما يقيمون به ظلمهم.

لقائل أنْ يقول لماذا أرسل النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أبا بكر أميراً على بعث الحج، ولم يرسل علياً عليه السلام منذ البداية؟

وفي جوابه نقول: إنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان يرغب في إبقاء عليٍّ عليه السلام إلى جانبه، ويفضل إرسال غيره في المهمات السهلة، التي لا تتطلب من متقلدها جهداً ورأياً، كالذي عند عليٍّ عليه السلام، والملتفت إلى إنفاذ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لابن أبي قحافة، أميراً على الحج الأكبر في المرّة الأُولى، يقف على سماحته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وبُعد نظره ومداراته للقرشيين، الذين كانوا لا

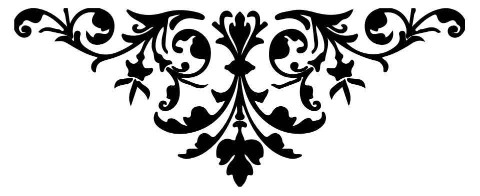
يطيقون علياً عليه السلام، لأنَّه وترهم صناديدهم، وقتل ذوي أرحامهم، فكانت نيته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من ذلك التعيين، منصرفة إلى تهدئة خواطر أولئك الوافدين الجدد على دين الله، والذين لا تزال قلوبهم تختزن من البغض والضغينة له ولعليٍّ عليه السلام.

إلَّا أنَّ الوحي كان له رأي آخر، وهو عزل ابن أبي قحافة، للتدليل على كونه لا يصلح للإمارة، وعليٌّ عليه السلام موجود، كما أنَّ البلاغ المزمع إذاعته على المشركين، لا يؤديه إلَّا واحد من اثنين: إمَّا النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أو عليٌّ عليه السلام.

دلالات أحقية عليٍّ عليه السلام وفضله ومكانته، أكبر من أنْ تستوعبها ورقات، أو تأتي على آخرها حلقات هذا البيان، وإنَّه لمن الظلم مقايسة عليٍّ عليه السلام بمن لا يساويه في شيء أبداً، فقد تستقيم مقايسة الذهب بالتبر الخالص، لمعرفة أيّهما أغلى وأفضل، ولكن لا تستقيم مقايسة التبر بالتبن، لأنَّه لا علاقة بين الثريا والثرى في شيء أبداً.

ومهما رفع الظالمون من مقامات أوليائهم، ليجاروا مقام عليٍّ عليه السلام، فإنَّ تلك المحاولات مفضوحة، لا تستند إلى أدلة صحيحة، وهي في أغلبها، مبنية على الوهم والكذب والافتراء على الله ورسوله. ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾(٣٢٠).

نجيُّ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم



لم يكن أحمد بن حنبل مغالياً عندما قال: ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من الفضائل ما جاء لعليٍّ بن أبي طالب(٣٢١).

فقد تقاطرت عليه أحاديث فضائله بغزارة، وقف إمام الحنابلة عليها، وقوف مقرٍّ بصحة نسبتها، ومذعن لسلامة مواردها، فنقل منها في مسنده ما نقل، اعترافاً منه بأنَّها منطوق الوحي بلا شك، في صحة صدورها، ودلالة واضحة لمكانة عليٍّ عليه السلام، عند الله سبحانه وتعالى، وعند رسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

ولو لم يروِ التاريخ الإسلامي بأفواه مشبوهة، وأقلام موبوءة، كما هي شأن الفترة التي أعقبت وفاة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، حيث سقط الطبري في نقل روايات سيف بن عمر الضبي، التي فاقت الثمانمائة وخمسين رواية، راوية أجمع رجال الجرح على اتهامه بالكذب والوضع، ولو مرّت إلينا السيرة المطهرة كما هي، من غير بترٍ لعدد من تفاصيلها، لأمكننا أنْ نمسك بكثير من خصائص الإمام عليٍّ، ممّا حظر أعداؤه من بني أُمية وبني العباس نشره بين المسلمين.

تفاصـيل تعلقت بمقام الإمامة في معناها العام، الذي حصـروه في الصـلاة دون الولاية والقدوة والهداية، وإبراهيم عليه السـلام عندما جعله الله للناس إماماً، لم يكن ليحصر تلك الوظيفة العالية الشريفة، في شعيرة واحدة وهي الصلاة، وإنَّما كان يقصد منها بقية الأعمال، التي تنفع الناس في معاشـهم ومعادهم، وقد لخص ذلك كلّه في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ﴾(٣٢٢) ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ﴾(٣٢٣).

إنَّ مسـألة المفاضـلة التي نراها اليوم في كتبنا الروائية، لم يكن لها أصـل على عهد النبيِّ صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم، ووقع افتعالها بعده في زمن الطلقاء وأبنائهم، ليلتبس الأمر على المسـلمين، في معرفة الأَولى والأَحق بالولاية عليهم بعد مرحلة النبوّة، ونجحت خطة هؤلاء المحرفين، في إبعاد الأُمَّة عن واجبها الكبير تجاه أهل بيت نبيّها صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، المتمثل في مودتهم وموالاتهم.

وعلى سـبيل المثال، عندما أطلقوا على عثمان لقب (ذو النورين)، لم يروا لعليٍّ نوراً واحداً في شخصه، فوق نور فاطمة سيدة نساء العالمين، من شملتها آية التطهير، وما تعنيه من دلالات، ومن في قلبه ذرة من إيمان لا يمكنه أنْ يبخسها مقامها، ولم يلتفتوا إلى نور الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، والعاقل لا يستبدل أنوار الصفوة الطاهرة، بلقب لا يقوم مقام ما ذكرته.

أمَّا حفاظ الحديث، ممّن أخّر علياً عن مكانته وأقصـاه عن حقه، فإنَّ ميزان التصـحيح والتقديم، من قلّت روايته لفضـائل أئمة الهدى من أهل بيت المصـطفى، فهو

المرجح عندهم، وما حواه كتابه صحيح، فعدوا جامع البخاري الأصح، وهو الأقل رواية لفضائل الإمام عليٍّ، ونسبة ما لم ينطق به من حديث إليه، وثنّوه بمسلم النيسابوري ثمَّ البقية.

إلَّا أنَّ الباحث عن الحقيقة، والمصرّ على إدراك تفاصيلها، لا تعوقه عراقيل المحرّفين، بل تزيده دفعاً إلى تحقيق مبتغاه في كشف النقاب، عمّا ستره عن أعيننا تبع الهوى وعبيد الدنيا.

لم تنبنِ شخصية أمير المؤمنين على وهم توهمه متقرب منه، ولا قامت فضائله على أحلام تأولها متأول، وأقامها مقام الواقع، وأرغم المسلمين بدهاء السلطان وبطشه على التقيد بها، وإنَّما ظهر شخصه، من خلال مواقفه الصادقة، ومبادئه الثابتة، وإنجازاته الرائعة وعلمه الغزير، كلامه الأثير الذي تلقفته آذان واعية، فآمنت بكلِّ حرف من أحرف نوره، وأجهدت أنفسها في اقتباس شيء من سيرته وسلوكه، التي تعتبر في مجموعها، تطبيقات الإنسان الكامل، الناسج على منوال أخيه الإنسان الأكمل صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

علاقة عليٍّ بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، غير محصورة في جلسة أو وقفة أو تكليف، وإنَّما هي أبعد من أنْ تنحصر، في ظاهر ما وصلنا من أحداث ووقائع وتقريرات، كللت حياة الإمام عليٍّ بوسام السابق الأول إلى دين الله، والصّدِّيق الأكبر، فصدّق وواسى في مواطن عزَّ فيها الصديق والمواسي، والفاروق الذي فرق بين الحق

والباطل في الأحزاب، وبه عُرف المؤمن من المنافق، وسيف الله المسلول، الذي لم يتلطخ بدم المسلمين، ولم يسلّ سوى على أعداء الله ورسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وكان وحده الحاسم في مواجهات المسلمين مع المشركين، كبدر وأُحد وخيبر وذات السلاسل وغيرها، هو مولى المؤمنين بعد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وأميرهم رغم كلِّ دعيٍّ، وأقربهم إلى الله ورسوله حباً وطاعةً وولاءً، أشدّهم في ذات الله، وأكثرهم اهتماماً بما عنده. بينما أنا أبحث في خصائص أمير المؤمنين، صادفتني رواية أظهرت مقام عليٍّ من الله ورسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وتميزت ببُعدها الروحي، الذي شكل عامل حسد وبغض لعليٍّ، من طرف أولئك الذين اختاروا طريق معاداته، والتبرم من كلِّ ما من شأنه أنْ يظهره متميزاً رفيعاً، ومقدماً من الله ورسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.عن جابر قال: لما كان يوم الطائف دعا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم علياً فناجاه طويلاً، فقال بعض أصحابه: لقد أطال نجوى ابن عمِّه. قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ما أنا انتجيته، ولكنَّ الله انتجاه**»(٣٢٤).

في الحديث دلالة على خصوصية في الإمام عليٍّ انفرد بها، ليست موجودة في من عاصره من الصحابة، قدّمته وجعلته في مقام تجلي الفيض الإلهي عليه، ومن كان ربيب الوحي، وأخا النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وزوج بضعته، وصاحب لوائه وعيبة علمه، ومستودع سننه، وباب مدينة علمه، ومستحفظ شريعته، والناطق عنه صدقاً وعدلاً، بعد أنْ كان الأذن الواعية، التي لقفت ما فات سواه، ووعت ما غفل عنه من

هم دونه، قدم للإسـلام ما حيّر المتابعين، وأعطى للدين، فلم يبخل عليه بجهده وعرقه ودمه، عطاء بلا حساب، وتطوعاً بلا كلل.

وفي مقابل ذلك، كان لله ورسـوله صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم موقف متميز من الإمام عليٍّ، وصـــل إلى مقام الحبِّ والقرب الذي انفرد به، ففي خيبر عندما انهزمت حملات المسـلمين على الحصـن الأكبر لليهود قال صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم: «**لأبعثن غداً رجلاً يحبُّ الله ورســوله، ويحبّه الله ورســوله**»[٣٢٥]، فكان علياً، وكان الفتح الذي لم يتوفق إليه أغلب كبار الصّــحابة، وعاد من عاد من خيبر منهزماً، يجّبن أصـــحابه وهم يجّبنونه.

ومقام الحبّ والقرب لا تتهيأ شرفات إشراقه، إلَّا إذا كان متبادلاً، فلا اعتبار لحبّ من جانب العاشــق، إذا لم يلتفت إليه معشــوقه، ليبادله الحبّ بحبّ مثله أو أكبر، وهذا الذي يترتب عليه حركة، عادة ما سـلكها العشـاق والمحبون، وهي المناجاة، التي تكون في خلوة من المتطفلين، مناجاة يسرّ فيها كلُّ طرف بمشاعره للطرف الآخر.

ناجى، يناجي، مناجاة، لغة: نجاه نجوى بمعنى سـارّه، والنّجوى والنّجيّ: السّـر والنّجو: السّـر بين اثنين، يقال: نجوته نجواً أي سـاررته، وكذلك ناجيته، وفي التّنزيل: ﴿إِذْ هُمْ نَجْوَى﴾. فجعلهم هم النجوى، وإنّما النّجوى فعلهم[٣٢٦].

قال تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾[٣٢٧]. وبمقايسة بسيطة،

نجد أنَّ موسى عليه السلام ناجاه الله، من جانب الطور الأيمن من الشجرة المباركة، بينما ناجى علياً بأفضل الكائنات، محمّد بن عبد الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وفي هذا فضل عظيم، لا يدركه إلَّا كريم، أمَّا من خبث معدنه فهو في الفتنة يركس.

عليٌّ نجيٌّ الله على لسان حبيبه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ما أنا انتجيته لكن الله انتجاه**»، لو صرّحت بهذا المقام لكفرك الكثيرون ممّن جهلوا مقام عليٍّ، وفضائله التي نفذت بجلدها من قذفهم، أولوها وحملوها على غير محملها كحديث المنزلة: «**أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلَّا أنَّه لا نبيَّ بعدي**»(٣٢٨).

حيث استبدلوا خلافته في قومه بمعنى الخلافة في الأهل، وهذا منتهى التجني.

وكعادة من كان لا يعجبه قرب عليٍّ، وتقديم الله ورسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم له، تظهر علائم توجسهم وقلقهم، من فضائل تذروا رياحها وهم مفا ضلات، خالية من مضامين التقديم والتمييز الحقيقي، خاوية على عروشها، فتراهم يركنون إلى أقوال من عشيت أعينهم عن عليٍّ، ومدى ارتباطه الوثيق بالله ورسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

قال عليٌّ: «**إنَّ في كتاب الله عزَّ وجلَ لآية ما عمل بها أحد قبلي، ولا يعمل بها أحد بعدي**» ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾(٣٢٩).

قال: «**فرضت ثمَّ نسخت، كان لي دينار فصرفته، فكنت إذا ناجيته، تصدقت بدرهم حتى**

نفد، فنسخت بالآية: ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ﴾[٣٣٠] [٣٣١].

أين الذين قيل عنهم إنَّهم جهزوا جيشاً بأكمله من أموالهم؟ لماذا اشفقوا من مناجاة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وأحجموا عن تقديم صدقة ولو بسيطة؟

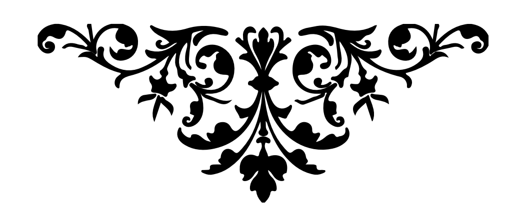
روى النسائي بسنده عن أُمِّ سلمة قالت: إنَّ أقرب الناس عهداً برسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عليٌّ، قالت: لمّا كان غدوة قبض رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فأرسل إليه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وأظنه كان بعثه في حاجة، فجعل يقول: «**جاء عليٌّ؟**» ثلاث مرّات، فجاء قبل طلوع الشمس، فلمّا أنْ جاء عرفنا أنَّ له إليه حاجة، فخرجنا من البيت، وكنّا عند رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يومئذٍ في بيت عائشة، وكنت في آخر من خرج من البيت، ثمّ جلست من وراء الباب، فكنت أدناهم إلى الباب، فأكب عليه عليٌّ، فكان آخر الناس به عهداً، فجعل يساره ويناجيه[٣٣٢].

وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس قال: كنا نتحدث أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عهد إلى عليٍّ سبعين عهداً لم يعهده إلى غيره[٣٣٣].

ومن أجل ذلك أنكروا وجوب الوصية، وادّعوا أنَّ النبيَّ مات ولم يوصِ بشيء، فكيف يصدق عاقل أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رحل عن دار الدنيا، وترك أهم منصب في الأُمَّة خالياً من صاحبه، ولم يتطرق إليه حتى على سبيل المناصحة؟

عن عمار بن ياسر قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول لعليٍّ بن أبي طالب: «**يا عليُّ إنَّ الله عزَّ وجلَّ قد زيّنك بزينة، لم يتزين العباد بزينة أحبّ إليه منها: الزهد في الدنيا، فجعلك لا تنال منها شيئاً، ولا تنال منك شيئاً، ووهب لك حبَّ المساكين، ورضوا بك إماماً، ورضيت بهم أتباعاً، فطوبى لمن أحبّك، وويل لمن أبغضك وكذب عليك، فأمّا الذين أحبّوك وصدقوا فيك، فهم جيرانك في دارك، ورفقاؤك في قصرك، وأمَّا الذين أبغضوك وكذبوا عليك، فحق على الله أنْ يوقفهم موقف الكذابين يوم القيامة**»[٣٣٤].

العالِم بالتنزيل والمقاتل على التأويل



لأنَّ علياً هو التلميذ الأنجب للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ليس من جهة قربه الدموي منه، فذاك تحصيل حاصل، ولكنْ من جهة كونه الأسرع والأكثر قابلية، في استيعاب والتقاط ما كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يبلغه ويبينه للناس، وليس أدلّ على ذلك ما قاله بخصوصه في عدد من الأحاديث منها:

«**أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها**»[٣٣٥].

«**أنا دار الحكمة وعليٌّ بابها**»[٣٣٦].

«**وعليٌّ مع القرآن والقرآن مع عليٍّ لا يفترقان**»[٣٣٧].

«**أقضاكم عليٌّ**»[٣٣٨].

وما صرّح به عليٌّ نفسه، بما استشف منه، أنَّ ذلك المقام العالي قد خصّ به، فلم يبلغ مداه ولا قارب قمته أحد، ينحدر عنه السيل ولا يرقى إليه الطير[٣٣٩].

لقد صرّح بها النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم خصائص عالية المضامين، لا لبس

فيها، فوعاها من وعى، وذهل عنها من ذهل، في مجمع من أصحابه، كأنَّه أراد وضعهم أمام مقام، تململ من تمناه منهم، واشرأبّ بعنقه إليه، لعلّه يكون له منه نصيب، على قلّة الجهد وبُعد المنال، مثلما كان الشأن في غزوة خيبر، التي كان فيها عليٌّ الحاضر الأكبر، وقد تساقطت حصونها على يديه، لكنَّ رمداً أصاب عينيه منعه من الحضور، وقد عجزت حملات الصحابة عن فتح الحصن الأكبر والأخير لليهود: «**غداً أبعث رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله كراراً غير فرار يفتح الله على يديه**».

تفقد النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أصحابه فلم يجد علياً، وسأل عنه فقيل له إنَّه يشكو رمداً، وليس في مقدوره أنْ يكون حاضراً، ومع ذلك أمر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بإحضاره وهو على تلك الحال، ليظهره مجدداً أمام الملأ، ويوسّمه بوسام العشق الإلهي والنبويِّ، ويكون الفاتح الذي حقق ما عجز عنه غيره، فقدر عليٍّ أرساه على ساحل المهام الصعبة، وكان صاحبها بلا منازع.

من منا لم يطلع على جهاد أمير المؤمنين عليٍّ، ومن الذي لم يتعرف على تضحياته، وبلائه في كبرى الغزوات، التي أعزَّ الله بها الإسلام والمسلمين، وإنْ جاءت رواياتها خالية من تفاصيل حركته الربانية، إلَّا أنَّها أشّرت - في عمومها - إلى النتيجة السعيدة، التي ما كان لها أنْ تحصل، لولا وجوده المبارك، وثباته وصبره، وإصراره على تحقيق النصر، إيماناً منه بأنَّ الله معه، طالما أنَّه مع الله، وهو الذي كان يقول: «**ما أقدمت على شيء، إلَّا ورأيت الله قبله وفيه وبعده**».

عليٌّ الذي سطر أروع ملاحم الجهاد، وبصم بساعده وسيفه، نتائج كبريات معاركه، به تحقق النصر في بدر، وهو الذي واسى بنفسه النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في أُحد وحنين، وبه كفى الله المؤمنين القتال في الأحزاب وهو الذي أعلى راية الإسلام في ذات السلاسل، وجاء بالنصر المبين، عند فتحه الحصن الأكبر في خيبر، فيما عجز من سبقه إليه ومُني بالهزيمة.

لم يتأخر في موقعة أبداً، عدا واحدة لم تحصل فيها مواجهة، حين استبقاه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على المدينة، تحسباً لحركة المنافقين، وإبطالاً لمؤامرتهم التي خططوا لها، للاستيلاء على المدينة، في غياب المسلمين عنها، وهو دور من الأهمية بمكان، يستحيل على شخص واحد القيام به، وليس له سوى رجل واحد، وهو عليٌّ وكان عند تلك المسؤولية، لكنَّ أصحاب التاريخ والسيرة سكتوا عن تفاصيلها، بل إنَّهم أرادوا التقليل من أهميتها، فنسبوا لعليٍّ كلاماً يُباعد ما بين القارئ وحقيقة الدور، فقالوا إنَّه جاء إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، بعد أنْ عهد إليه بالبقاء في المدينة، أميراً عليها خلفاً له، فقال له: «**أتخلفني في النساء والصبيان؟**» وهو العالم بما يدور فيها، وما هي المهمة الجسيمة التي أوكله النبيُّ صلَّى الله عليه وآله و سلَّم بها، وهي الا ستعداد لإجهاض أيِّ محاولة من المنافقين للاستيلاء على المدينة، وذاك الذي أفسد مخططهم، وجعلهم يصرفون النظر عن تنفيذ ما تمالأوا عليه.

طاقة عليٍّ ومؤهلاته، ظهرت لمن ألقى السمع وهو شهيد، وزكاها الله ورسوله

صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في مناسبات عديدة، كان فيها متفرداً، لم يشاركه فيها غيره، لتباين شخصيته عمّا سواه، وتميزها بما لا يرتاب فيه ذوو البصائر، أمَّا عميان القلوب، فلن يزيدهم حق عليٍّ إلَّا إصراراً على منابذته. لم يتأخر عليٌّ عن واجب مطلقاً، وهو الذي أهّله الوحي، ليكون ربان سفينة الأُمَّة بعد نبيها صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، استغل أصحاب السقيفة من المتخلفين عن جيش أُسامة، انشغاله في تجهيز أخيه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وأداء واجب تجهيزه ووداعه، فعقدوا بيعة لقبها مؤسسها بأنَّها فلتة.

وبلغه من أمر سقيفة بني ساعدة، فسأل مستفسراً: «**ما قالت الأنصار؟**» قالوا: قالت منّا أمير ومنكم أمير. قال: «**فهلا احتججتم عليهم بأنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وصّى بأنْ يحسن إلى محسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم؟**» قالوا: وما في هذا من الحجة عليهم؟ فقال: «**لو كانت الإمارة فيهم، لم تكن الوصية بهم**»، ثمّ قال: «**فماذا قالت قريش؟**» قالوا: احتجت بأنَّها شجرة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقال: «**احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة**»[٣٤٠].

أمسك عليٌّ يده، فلم يبايع لعلمه بأنَّه الأَولى والأَحق بالبيعة، بما امتلكه من دلالات لو كان لغيره معشارها لأشعل بها حرباً ضروساً، قد تأكل مقدرات المجتمع الإسلامي الناشىء، فلم يخرج إلى غزوٍ بعد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وهو الذي كان لواؤه معه، وقائداً غير مقاد، ورئيساً غير مرؤوس، كان بالأمس يتحرك في فلك

النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وبعده لم يكن هنالك مجال، فمن كان قائداً وأميراً، لا يمكنه أنْ يكون مقوداً ومأموراً بمن كانوا تحت إمرته وإمرة من هم دونه، وهو خُسران كبير مُنيت به الأُمَّة، في بداية طريقها الصعب.

وقد أفصح عليٌّ عن مظلوميته في منا سبات عديدة، منها قوله في إحدى خطبه: «**لقد علمتم أنِّي أحقّ الناس بها من غيري، ووالله لأسلمن ما سلمت أُمور المسلمين، ولم يكن فيها جور إلَّا عليَّ خاصة، التماساً لأجر ذلك وفضله، وزهداً فيما تنافستموه من زخرفه وزبرجه**»(٣٤١).

وفي خطبة أُخرى: «**مالي ولقريش؟ والله لقد قاتلتهم كافرين، ولأقاتلنهم مفتونين، وإنِّي لصاحبهم بالأمس كما أنا صاحبهم اليوم، والله ما تنقم منّا قريش إلَّا أنَّ الله اختارنا عليهم**»(٣٤٢).

مرحلة تأويل القرآن

لأنَّ القرآن كتاب صامت، يحتاج إلى من ينطق عنه صدقاً وعدلاً، فإنَّ ذلك الدور وتلك المكانة، لم تكن بمنأى عن بيان وتعيين من الوحي، وحديث الثقلين هو أحد تلك البيانات المهمة، حيث قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنِّي تارك فيكم الثقلين ما إنْ تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً، كتاب الله وعترتي أهل بيتي**»(٣٤٣).

أهل البيت وعليٌّ بعد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم سيدهم ورئيسهم، هم

الذين قال عنهم الله في محكم تنزيله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[٣٤٤].

وهو من أهل البيت المطهّر الذين أعطاهم الله خاصية وملكة مسّ القرآن ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (*) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (*) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾[٣٤٥].

والمس هنا ليس اللمس المادي، لأنَّ القرآن ككتاب، لا يمكنه أنْ يدفع عن نفسه شيئاً من خبث شياطين الإنس، وإنَّما عنى المولى بذلك المسَّ المعنوي، في تناول المعاني المقصودة التي عناها في جميع آياته، وهذا الدور الذي ظهر عليه أئمة أهل البيت عليهم السلام، أكد تلك الحاجة التي بها استمر عطاء القرآن، عبر هؤلاء الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، مصدراً مرتبطاً بالوحي، بواسطة تعليم النبيِّ صلَّى الله عليه وآله و سلَّم لعليٍّ في حياته، وما امتلكه هؤلاء الأطهار من ميزات وخصائص، جعلتهم الأقرب من غيرهم إلى فيوضات الله.

أحاديث النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بخصوص عليٍّ وإخباراته له، لم تقف عند وجوده وحضوره بين يديه، بل استشرف له الغيب، فكان متضمناً دوراً هو من الأهمية، بحيث تعلق بالدين الإسلامي ومستقبله، فقد جاء عن أبي سعيد الخدري، قوله: كنّا جلوساً ننظر رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فخرج إلينا قد انقطع شسع نعله، فرمى به إلى عليٍّ، فقال: «**إنَّ منكم رجلاً يقاتل على تأويل القرآن، كما قاتلت على تنزيله**»، قال أبو بكر: أنا؟ قال: «**لا**». قال عمر: أنا؟ قال: «**لا، ولكن خاصف النعل**»[٣٤٦].

هذا الإخبار الغيبي تحقق فيما بعد، عندما عادت الأُمَّة إلى حضـــن راعيها، مقرّة بأنَّه المنقذ والملجأ، للخروج من دوامة التحريف، الذي طرأ على جهاز الحكم ونظامه.

أمر النبيُّ صـــلَّى الله عليه وآله وســـلَّم علياً بقتال الناكثين والقاســـطين والمارقين

عن أبي سـعيد الخدري وأبي أيوب الأنصـاري قال: أمرنا رسـول الله صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم بقتال الناكثين والقاسـطين والمارقين، فقلنا: يا رسـول الله أمرتنا بقتال هؤلاء فمع من؟ قال: «**مع عليٍّ بن أبي طالب، ومعه يقتل عمار**»(٣٤٧).

ما بين الأمر والعهد، تراوحت الأحاديث التي أنبأ فيها النبيُّ صـــلَّى الله عليه وآله وسلَّم بأنَّ علياً مأمور، أو معهود إليه من طرفه بقتال هؤلاء الأصناف من التحريفيين، نقلها عدد من الرواة والحفاظ نقل المسلَّم بصحتها، وقد تأيدت بواقع ما دوّنه التاريخ، من أحداث رسمت صـــورة عملية لتلك الأحاديث، التي تجنب نقلها من تجنب، انخراطاً منه في سياسة تغييب خصائص الإمام عليٍّ وأهل بيته، عن صدارة الأحداث في الأُمَّة الإسلامية، وطمس سطوع شمس شخصيته التي قال عنها.. أخفى أولياؤه فضائله خوفاً وأخفاها أعداؤه حسداً. .

من هم الذين أمر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم علياً بقتالهم؟

إنَّ الذين أمر رسول الله علياً بقتالهم ثلاث فرق، خرجت عن ميزان الحق، أولهم

الناكثون الذين بايعوا علياً وانقلبوا على بيعته، وهما طلحة والزبير ومن معهما، وقد شقوا صفَّ الأُمَّة، بإخراج حليلة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، إيهاماً للمسلمين بأنَّهم على حق، بينما أخفت صدورهم أطماعاً في الحكم، ورغبة جامحة في تنسم سلطان المسلمين، وكان ما كان من وقعة الجمل الذي ركبته، وقادت به جموع الأعراب، من أجل إسقاط عليٍّ وحزبه، وقد قتل الآلاف نتيجة لذلك.

أمَّا القاسطون فهم حزب الطلقاء من قريش، الذين بسطوا قاعدة حكمهم على الشام، بعد أنْ مكّنهم عمر منها، وقد كانت العشرون سنة التي أداروا فيها رحى جبروتهم وقاعدة طغيانهم، كافية لتحول دون استتباب الأُمور لعليٍّ بعد بيعته من طرف المسلمين، وكانت وقعة صفين كبرى المعارك، التي دارت بين ميزان الحق وميزان الباطل، بين منزلة الإيمان ومنزلة النفاق، وبين حكومة العدل وحكومة الظلم، وبين الإمام العادل المفترض الطاعة، وبين زمرة التمرد على أداة الحكم الإسلامي، طلقاء بني أُمية الذين كانوا حرباً على الله ورسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ولا يزال فكرهم التكفيري الهدام ينخر عظام الأُمَّة ويفتُّ من عضد تماسكها، وهو إلى اليوم جاثم في خلفية البناء العقائدي الموروث، ينضح من سمومه أدعياء، يتكلمون عن الله ورسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وهم أبعد ما يكونون عنهما.

وأمَّا المارقون فهم الذين كانوا مع عليٍّ في جيشه، ثمَّ بدا لهم رأي في الحكم، خرجوا به عنه تمثل إصرارهم على إيقاف القتال، بعد مكيدة داهية العرب عمرو بن

العاص، برفع أهل الشـــام المصـــاحف إيهاماً لجيش عليٍّ القرآني بأنَّهم يريدون تحكيم كتاب الله، ونزول عليٍّ في الأخير إلى مطلبهم، وقد كان قاب قوسين من النصر.

ولّما وقعـت مكيـدة التحكيم، أعلن هؤلاء خروجهم عن عليٍّ وتكفيرهم للفريقين.أمَّا المارقون فهم أولئك الذين أســقطتهم شــبهة فمضــوا بها، ولم يعيدوها إلى الناطق عن كتاب الله ورسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ثقل القرآن وترجمانه، وباب مدينة علم النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وبيان أركانه، وقد اقتضت حكمته أنْ جادلهم بالحسـنى، وقارعهم بالعروة الوثقى، فرجع إليه منهم أغلبهم ولم يصـر على انحرافه منهم ســوى ثلاثة آلاف رجل، قاتلهم في النهروان بعد غاراتهم على الآمنين، ووقوفه أمامهم ناصحاً ومحذراً، لكنَّ صوت عليٍّ كان محكوماً بعامل مهم، كنت أشرت إليه وهو صمم كلِّ أُذن خبيثة عنه، وهو الذي لا يحبه إلَّا مؤمن ولا يبغضـــه إلَّا منافق، ولم ينجُ من الخوارج سوى أقل من عشرة، كما أخبر عنهم بذلك قبل بدء المعركة.

وكان لعليٍّ رأي وحكمة في تلك المعارك التي خاضـــها فلم يبادر بالقتال كلَّ مرّة إلَّا بعد أنْ قتل مناوئوه رجلاً من جيشـــه، وفي ذلك ما فيه من الحكمة والتبصـــر وبعد النظر وإثباتا للحجة.

وقد ردَّ على مقالتهم (لا حكم إلَّا لله) فيما وصــلنا من لطيف كلامه وبديع بيانه قوله: «**كلمة حق أُريد بها باطل، نعم إنَّه لا حكم إلَّا لله، لكنَّ هؤلاء يقولون لا إمرة إلَّا لله، وأنَّه لا بُدَّ للناس من إمام برّ أم فاجر، يعمل في إمرته المؤمن، ويســتمتع فيها الكافر، ويبلغ الله**

فيها الأجل، ويجمع به الفيء، ويقاتل به العدو، وتأمن به السبل، ويؤخذ به للضعيف من القوي، حتى يستريح برٌّ ويستراح من فاجر، أمَّا الإمرة البرة فيعمل فيها التقي، وأمّا الإمرة الفاجرة، فيتمتع فيها الشقي إلى أنْ تنقطع مدّته، وتدركه منيته»(٣٤٨).

وما بين التنزيل والتأويل تنجلي حقيقة قيام عليٍّ عليه السلام، فهو كما وقفت على بيانه المقاتل على التنزيل، كان صاحب الدور على التأويل، وكان منهجه دائماً العمل لله مخلصاً، لا يخاف فيه لومة لائم.

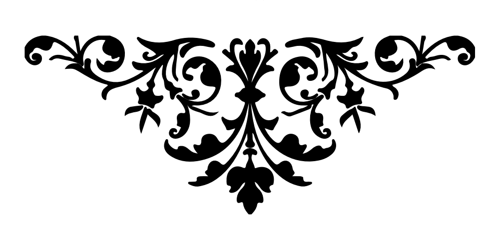
ومن المستهجن أنْ يدّعي مدّع، أنَّ من قاتل علياً خلال فترة حكمه كان مجتهداً مخطئاً وله أجر، بل لقد ذهب من ادّعى إلى توبة هؤلاء المحاربين لله ورسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم «**يا عليُّ سلمك سلمي وحربك حربي**»(٣٤٩)، دون بينة مقنعة على دعواهم، همّهم في ذلك إخراج أوليائهم من ورطة، ليس لها مخرج سوى ادّعاء التوبة، من غير التفات إلى قوله تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾(٣٥٠).

مضى عليٌّ على بصيرة من أمره وهو الذي كان يقول: «**لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً**»، فلم يستوحش في طريق الهدى لقلّة سالكيه، وهو أعلم بما فيه وما عليه، متبعاً أثر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مثلما كان دأبه، عاملاً بما استوصاه به من أمر، لم يتكل فيه على أحد، قطب رحى تدور عليه النعم، وقمة شماء ينحدر منها ما ينفع الناس، فيمكث في الأرض ليخرج بركاهما، في قلوب وعقول عرفت الحق ووالت

أهله، مولاة ليس دون تحققها حائل، ولا بينها وبين صاحبها مانع.

ونقول لمن لم يهتد إلى مقام عليٍّ، وقصـــر عن منزلته الرفيعة عند الله ورســـوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، أنَّه مؤسس دعائم الإسلام بسيفه، في بدء صراع الحق ضدَّ قوى الشـرك والكفر والنفاق، وغارس معالم الدين في عقول، خصـبت مادها وتفتحت زهرها، لتستوعب من باب مدينة علم النبيِّ صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم، ما أمكنها أنْ تحمل، ولولا عليٌّ لما عرف الحق من الباطل، والصواب من الخطأ، والإيمان من النفاق، ليبقى عليٌّ لمن عرفه منجاة واتخذه ملجأ، ولمن جهله مدعاة حســـرة وندامة، يوم يرى المحبون علياً أين يأملون، ويرى المبغضون علياً أين يكرهون والعاقبة للمتقين.

علامة ليلة القدر



إذا ذكرت علياً عليه السـلام، قفز لقب ظل يلاحقه، ويلتصـق باسمه دون غيره، ممن تسـموا خلفاء، بلا اسـتخلاف من صـاحب الحق في التعيين والاسـتخلاف، فلقب الإمام لم يلق بأحد من أولئك إلّا به، ولو قسـته على غيره ممّن غصـب الحكومة، أو أخذها بالمكر والخديعة، لكان مستهجناً له متنافراً معه، الإمام عليٌّ عليه السلام، وصيُّ النبيِّ صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم، وأخوه بالمؤاخاتين، وصـاحب سـرّه ونجواه، وباب علومه، لم يفد أحد الأُمَّة بعد رحيل نبيّها صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم، بقدر ما أفادها هو. وقد يقتنع العاقل بهذه الحقيقة ويلتزم بها، ولو أنَّها ليست ذات بُعد ا ستدلالي كبير، غير أنَّ المؤمن الذي وطّن نفسـه على طاعة الله تعالى، ورسـوله صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم، لا بُدَّ له من الإقرار بحقيقة تلك المقارنة، على المسـتويين النظري الذي سـقناه الآن، والتطبيقي الذي مارسـه أبو الحسـن عليٌّ بن أبي طالب عليه السـلام، كنموذج للمؤمن الكامل، الذي واسى النبيَّ صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم في حياته، وكإمام للأُمَّة بعد وفاته، ومرجعاً أساسياً، آوى إليه المتحيرين من أبنائها، فلم يمنع معينه الصافي، حتى

عن خصــومه الذين عاش بين ظهرانيهم، وأكثر من ذلك كلِّه، بقي عليٌّ عليه الســلام على مدى الدهر، مخزوناً متواصــلاً من العطاء والعلم، من خلال ما ترك لنا من ســيرة وخطب وحكم، وما أعدمه الظالمون وعفا عنه وعاظهم، كان أكثر ممّا وصل إلينا.

وتفرد عليٌّ عليه الســلام في الأُمَّة، كتفرد ليلة القدر في شــهر رمضــان، وفضــيلته تماماً كفضيلتها، وتميّزه كتميزها، عن سائر الليالي المباركة من الشهر الكريم.شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن هدى للناس، وبينات من الهدى والفرقان، هو من نفحات البارئ تعالى التي يسرها لعباده، وفرض صيامه على كلِّ مسلم ومسلمة، وجعل أجره في علمه الذي لم يطلع عليه أحد من خلقه، وكلّف نبيّه بحثِّ المؤمنين على تعهده صــياماً صحيحاً، وعبادة وذكراً وتهجداً مليحاً، ليعتبره من يعتبره تداركاً، ولينظر إليه من ينظر، محطة لتصـحيح المسـار في كلِّ عام، وليتعلق بأطرافه من شـاء أنْ يزداد قرباً، وتواصـلاً بالله سبحانه وتعالى، وسماه شهر الأُمّة، وجعل في العشر الأواخر منه، ليلة هي خير من ألف شـهر، ووصّـى نبيه صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم بالإشـارة إليها دون تحديد، فقال: «**التمسوها في العشر الأواخر**» وزاد توضيحاً عندما أشار إلى أنَّها في الأيام الفردية العدد.

وأخذ عنه أهل بيته عليهم السلام، والمسلمون من ورائهم، فشمروا على ساعد الجدّ والاجتهاد، وعملوا بمقتضى نصيحته، التي لم يألُ لهم فيها جهداً.

إذا جاء شــــهر الأُمَّة بعد شــــهر الله جلَّ جلاله رجب، وبعد شــــهر النبيِّ الأكرم شــــعبان، ليكون المحطة التي يتزود منها المســــافر لرحلته الكبرى، وفي ليلة القدر زينه

بالثقلين: بالكتاب الذي أُنزل فيها، وبالإمامة التي هي اللسان الناطق، والعين الساهرة، واليد المثبتة، والعقل الجامع للعلوم، التي تحتاجها البشرية في بقية مسيرتها.

وتميز ليلة القدر، جاء من خلال أمر غيبيٍّ لا نعلمه، ومن خلال ما أخبرنا به النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، من أنَّ تشريفها، جاء من اختيارها، كزمن تجلّت فيه ألطاف البارئ تعالى بنزول تشريعه، وتحقق سريانه في عناصر، أبت إلَّا أنْ تجعل الله تعالى نصب عقولها وأفئدتها.ولقد كان أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام، النقطة المضيئة والعنصر المثال بعد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، رغم تنكر الأُمَّة له، وانقلابها عليه، فلم يزده ذلك إلَّا إصراراً على المضيِّ قدماً، في إنفاذ وصايا أخيه خاتم الأنبياء والمرسلين صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، حفظاً لبيضة الدين، وصوناً لها من التلف والضياع.

صحب الدنيا ببدن روحه معلقة بالمحلِّ الأعلى، هكذا كان أبو الحسن عليه السلام يتحدث عن المؤمنين من أتباعه، وكذلك كان شخصه ومثاله بين الناس.. إذا أراد أنْ يعرفهم صفة المؤمن بدأ بنفسه، فتحدث عنها كأنَّها صفحة أمامه، بعدما طوعها لذلك العمل، حتى أنست به وتعودت عليه، لأنَّه كما وعى عن سيد الخلق صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وعمل به: «**من عرف نفسه فقد عرف ربّه**».

كان دائماً يعطي من نفسه المثل، ليحذو حذوه العاملون، ويقتفي آثاره الراغبون في نيل الرضا، والقرب من الله سبحانه وتعالى.

عرف عليٌّ عليه السلام الإسلام يافعاً، فلم يخالط عقله من أدناس السوء، ولا لبس من أرجاس الجاهلية شيئاً، فمضى بتلك الطهارة، سالكاً أثر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، مسلكاً لم يسلكه أحد قبله، ولا باستطاعة أحد أنْ يسلكه بعده، وكان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مقابل ذلك الطوع، حيال تلك الإرادة الفذة، يغذوه من عبق الوحي وأريج النبوة، علماً جماً لم يسعه صدر أحد غيره، فتلاقح وفاض بين جوانحه، وكان من فرط انشغاله على ما يحمل يقول: «**إنَّ هاهنا لعلماً جماً لو وجدت له حملة**».

وكان يراوح بين ذلك بقوله: «**سلوني قبل أنْ تفقدوني**»[٣٥١].

بالعلم يكون العمل، ومن الفقه تأتي المعرفة والدراية بالعبادة، وجميع التكاليف التي جاء بها الوحي، وفي هذا المقام كان عليٌّ عليه السلام وحده، لم يتميز عليه غير النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ولو تدبرت سيرته التي حدث عنها الموالي والمعادي، لوجدت تفرداً في شخصيته، وندرة لم تأتِ عن فراغ، وإنَّما جاءت بعد جهد وكدح، لا يطيقه إلَّا من نصب وجهه إلى الله تعالى، ولم تشغله دنيا ومتاع عن المنهاج الذي خطه لنفسه وآخرته.. وعليٌّ عليه السلام كان كما وصفنا وأكثر، من ذلك المعدن الصافي الذي لا يتبدل، والماء المعين الذي لا يتكدر، والقمّة الشماء التي لا يرقى إليها الطير..

عبد الله تعالى مع رسوله الأعظم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، قبل أنْ يعبده الناس بسبع سنين، بعد أنْ عرفه بعقله، وتقرب إليه بفكره، في وقت كان الذين يطلق

عليهم كبار الصحابة عاكفين على أصنامهم، آخذين بأسباب الشرك، منغمسين في الآثام إلى أخمص أقدامهم.تشـــرف بالتوحيد الخالص، وحظي باهتمام ورعاية وتربية وتعليم سيد الخلق، أبي القاسم المصطفى محمّد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فكان الصّدِّيق الأكبر حين لا أحد صدّقه، في فترة امتدّت طوال إنذار عشيرته، وتبليغ قرابته، والسابق إلى الحق بإذن ربِّه، ومباركة أبيه مؤمن آل بني هاشم أبي طالب عليه السلام، الذي أبى إلَّا أنْ يكون الدرع، الذي تكسرت عليه عزائم أبي سفيان وحزبه، في النيل من النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، والناصر لدينه الخاتم، كافل اليتيم الذي تحدث عنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وبقوله: «**سأدخل أنا وكافل اليتيم إلى الجنة كهاتين**» وقرن وسطاه وسبابته.

مثلت العبادة والقرب إلى الله تعالى، حجر الأساس في حياة عليٍّ عليه السلام، وكان فهمه لها غير فهم غيره، ممّن عاصر النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، إلَّا قلّة قليلة ممّن تبعه على فهمه وتربيته، فقد أخذ فيما أخذ عن خاتم الأنبياء والمرسلين صلَّى الله عليه وآله وسلَّم:

«**العبادة سبعة أجزاء أفضلها طلب الحلال**»[٣٥٢].

العبادة ليست حصراً في الصلاة والصيام والحج والجهاد، وغير ذلك من الأحكام، وإنَّما تتعداها إلى كلفة أوجه الحياة، إذ لا معنى للصلاة، إذا لم تكن حركات البدن

منســـجمة مع الروح، وتكون آثارها ظاهرة في أعمال المتعبد، من اســـتقامة وخدمة للناس، وعمل الخير مهما قلَّ أثره.

عبادة الله كما يراها أمير المؤمنين عليه الســـلام، وكما عكف عليها طوال حياته، تبدأ من صــفاء النفس، وصــدق النية، وتنتهي بالحركة الإيجابية، وســط هذا الكون من أجل نشر الخير وقطع دابر الشر.

عرف عليٌّ عليه الســـلام ذلك المعنى، قبل أنْ يطلقه في الناس، وخاض تجربته، قبل أنْ يتفوه به، إيماناً منه بأنَّ من نصب نفسه علماً للناس وهادياً، فليبدأ بتربية نفسه قبل تربية غيره، وأنْ يعطي من نفسـه المثال والقدوة، قبل أنْ يأمر غيره بشـيء لم يتحقق منه، فعليٌّ عليه الســلام كلُّه عبادة، وكلُّه جهاد، وكلُّه علم، وكلُّه عمل، إذا لم يكن له شـغل مع النبيِّ صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم، انطلق إلى عمل آخر يفيد الناس، فقضـى وأصـــلح وعلّم وواســـى، لم يترك باباً من أبواب الخير إلَّا طرقه ودخله، وأخرج فائدته للناس.حفر الآبار، واسـتصـلح الأراضـي، ثمَّ أعطاها للمحتاجين، فأغبر بسـبب ذلك وشـعث، والتصـق التراب ببدنه، حتى لقبه النبيُّ صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم بأبي تراب، وجاء أعداؤه برواية تميّع لقبه، وتوهن ذلك الوســام العظيم الذي منحه النبيُّ صـلَّى الله عليه وآله وســلَّم له، وجاءوا بعدد من الروايات المتناقضــة في هذا الخصــوص، منها ما نقلوه عن سهل بن سعد قال: جاء رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بيت فاطمة فلم يجد علياً في البيت، فقال: أين ابن عمّك؟ قالت: كان بيني وبينه شــيء فغاضـبني،

فخرج فلم يبقَ عندي، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لإنسان انظر أين هو؟ فقال: يا رسول الله هو في المسجد راقد، فجاء رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وهو مضطجع، قد سقط رداؤه عن شقه وأصابه تراب، فجعل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يسمح عنه ويقول: قم يا أبا تراب[٣٥٣].

افتعل المبطلون والمحرفون خصاماً لا أصل له، بين عليٍّ وفاطمة الزهراء عليهما السلام، ليشككوا في عصمة هذين الطاهرين، وليطمسوا السبب الأصلي، الذي دفع بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى تسمية عليٍّ عليه السلام بأبي تراب.

والذين حاولوا خلق غميزة في حياة هذين الزوجين العظيمين، اللذين زوجهما الله سبحانه وتعالى في ملكوته الأعلى، قبل أنْ يزوجهما النبيُّ الأكرم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في مدينته، وبين صحابته - الذين تسابقوا إلى نيل ذلك الشرف، وبذلوا ما بذلوا من أجل تحقيق ذلك، ولكنَّهم خابوا في نهاية المطاف- لم يكونوا قاصدين غير الردِّ على الله تعالى، وتنكراً لآيته الكريمة، التي أظهرت تميز عليٍّ وفاطمة عليهما السلام: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٣٥٤].

لأنَّ من حباهم الله تعالى بتلك الكرامة، وجعلهم خاتمة صفوته، وأفضل عباده المخلصين، لا يمكن أنْ يتخاصموا، ولا أنْ يغضب بعضهم بعضاً، خاصة وهم من طلقوا الدنيا فلم يعد يعنيهم منها، إلَّا بقدر ما يجيزهم بسلام إلى الآخرة، فأين الغضب

الملفق إذن، يا من أمرتم بمحبة أهل البيت عليهم السلام وموالاتهم، وجُعل ذلك فرضاً عليكم، ستحاسبون عنه يوم القيامة، لأنَّه أجر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، في مقابل أدائه الرائع في دينه الخاتم الذي نعيش بركاته؟ من منكم يريد أنْ يبهت النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حقه، في أنْ يأخذ أجره منا؟ ومن يستطيع ذلك؟

آبار عليٍّ موجودة إلى الآن، يحرم منها الحاج القادم من المدينة، إلى بيت الله الحرام، تشهد على أنْ لقب أبي تراب، لم ينله عليٌّ عليه السلام مجاملة ولا ترضية، ولو كان كذلك لما كان له معنى، وإنَّما جاء عن كدٍّ وجهد شديدين، لصالح أولئك المستضعفين، الذين كان يؤازرهم ويؤازرونه، ويألفهم ويألفونه، بقي علامة تشهد على عظمة عليٍّ عليه السلام.

العارف بحقيقة النشأة وعلّة الخلقة، لم يستنكف عن شيء يرضي الله تعالى، فنال لقباً حقق له العبودية الصحيحة لله تعالى، وهو الذي كان يردد: «**لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً**»(٣٥٥).

وكان من دعائه: «**إلهي كفى بي عزّاً أنْ تكون لي ربّاً، وكفى بي فخراً أنْ أكون لك عبداً، أنت كما أحبّ فوفقني لما تحبّ**»(٣٥٦).

«**أفضل العبادة عفّة البطن والفرج**»(٣٥٧).

من هذا المنطلق كانت عبادة عليٍّ عليه السلام، وجاء سلوكه حيال الدنيا

ومتاعها، الذي لم يكن ليستهويه يوماً من الأيام، رغم تمكنه منها، وانقيادها له، واستسلامها لإرادته.عن ضرار بن حمزة الضبائي من حديث له في ذكر عليٍّ قال: فأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وهو قائم في محرابه قابض على لحيته يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين ويقول: «**يا دنيا يا دنيا إليكِ عنّي، أبي تعرضتِ؟ أم اليَّ تشوقتِ؟ لا حان حينك، هيهات غرّي غيري، لا حاجة لي فيك، قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة فيها فعيشك قصير وخطرك يسير وأملك حقير، آهٍ من قلة الزاد وطول الطريق، وبعد السفر، وعظيم المورد**»[٣٥٨].

كان بيت المال يزخر بأنواع المتاع، وكان يمكنه أنْ ينال منها نصيباً، لا يتعارض مع العطاء الذي كان يعطيه لغيره من الناس، لكنَّه لم يفعل ذلك، حتى لحق بالرفيق الأعلى، عفيف النفس، زاهداً عن زينة الحياة الدنيا والطيبات من الرزق، وكان مكتفياً طوال حكمه بأكل الجشب (الشعير ما شابهه من طعام خشن)، وآثر أنْ يأكل من أدون الطعام، حتى لا يكون هناك في الرعية أقلّ حظاً من الدنيا منه.

ومنه عليه السلام أخذ المتصوفة طريقتهم في التعامل مع الدنيا، لكنّهم عموا في أنْ يقتدوا به حقيقة من ناحيتين:

الناحية الأُولى: زهد عليٍّ عليه السلام في الدنيا، لم يدفعه إلى تركها، بل قارعها وتمكن منها حتى استكانت له، ومع ذلك لم يلتفت إليها، ومكّن غيره منها، مفسراً الزهد

بقوله: «**ليس الزهد في أنْ لا تملك شيئاً، ولكنَّ الزهد في أنْ لا يملكك شيء**»(٣٥٩).

الناحية الثانية: شمولية عبادة عليٍّ عليه السلام، والتي لم تقتصر على الذكر والصلاة والصيام الاعتكاف والحج، دون بقية العبادات، المتعلقة بالعلاقات مع الناس من جميع نواحيها، الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.«**ليس العبادة كثرة الصيام والصلاة، وإنَّما العبادة كثرة التفكر في أمر الله**»(٣٦٠).

عبادة عليٍّ عليه السلام لم تكن ليسعها زمانه، ففاضت على العالمين إلى أنْ تقوم الساعة، هو الذي أرسى دعائم الدين بسيفه، وجاهد في الله تعالى حق جهاده، ولم يثنه في ذلك إنْ كان في قلّة أم كان في كثرة، وثبت في مواطن ضاقت الأرض بما رحبت على غيره، وبلغت قلوبهم الحناجر، وفرَّ أكثرهم، فلم يزده ذلك إلَّا إصراراً على المضي قدماً، طلباً لإحدى الحسنيين.«**من أحبَّ لقاء الله، أحبَّ الله لقاءه**»(٣٦١).

لقاء عليٍّ عليه السلام مع الله تعالى، ليس ككلِّ موعد ولقاء، كان يغيب عن الأنظار ليخلو بربِّه ويناجيه، يعبده ويتقرب إليه في السرِّ والعلانية سواء، وفي السلم كما في الحرب، وفي الليل كما في النهار، ذلك دأبه مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وذلك خياره من بعده، والروايات التي تحدثت عن تلك الخلوات، بينت ما تميز به أمير المؤمنين عليه السلام، من نفس عارفة وموحدة، ومدركة لسرِّ الوجود وحقيقة الخلق، ولشفافية نفسه كان مطلعاً على حقائق وعلوم، لم يتشرف بها غيره، ولم يكن من السهل

على الأُمَّة آنذاك أنْ تجاري علياً عليه السلام، في نسقه مع الحياة بتفاصيلها كافة، ولا في معارفه التي لم تدركها العقول القاصرة، وما أكثرها، فمضى وحيداً في قلّة قليلة من خاصته وشيعته، ممّن ربّاهم رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على حبّه وحبِّ من يحبّه، فحبُّ عليٍّ عليه السلام كما عرفه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إيمان، وبغضه نفاق، وتلك حقيقة تفرّد بها عن غيره، وميزة تميز بها على من سواه.

من هنا جاء تناغم روح عليٍّ عليه السلام، وتألفها لذات الله تعالى دون المخلوقات، وجاء نداء البارئ جلَّ وعلا، ليعلن نتيجة ذلك بقوله: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[٣٦٢] وصدع بتعريفه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، عندما قال في غزوة خيبر، وقد استعصت على كلِّ الذين أرسلهم لفتح الحصن الأكبر: «**غداً أبعث الراية مع رجل يحبُّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله**»[٣٦٣].

ولئن استشرف لها من استشرف، وتطاول لها من تطاول، كما تقول الرواية، إلَّا أنَّ الجميع كان يدرك لمن المقام، ويعي من سيكون الفتح على يديه، فعليٌّ عليه السلام لم يغب في حاضر ولا مخيلة أحدهم، ولا هو رجل طلع نجمه فجأة هكذا وبدون مقدمات، كان الحسد وحده هو الذي غيب علياً عليه السلام عن مقامه، والجاهلية التي تبرأ منها النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وعليٌّ عليه السلام وحارباها، هي التي وقفت في وجه عليٍّ عليه السلام، واستفردت به في غفلة من الزمن، وطارق من الأحداث، وحالت دونه ودون إقامة حكومة العدل الإلهي.

ولما يئس عليٌّ عليه السلام من أنْ يعود إليه حقه، التفت إلى الذين يريدون لقاء الله تعالى، فعرفهم الطريق، وأنار لهم الدرب، فتعلموا منه الوجهة والمقصد، وأخذوا عنه معالم دينهم، كما جاء عن أخيه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وتزودوا من خير زاده لرحلاتهم، وكان زاده أكبر من أن ينفد، فتلاقفته الأجيال المؤمنة بولاية أهل البيت عليهم السلام على الأُمَّة، وحملت ثقله حمل مسؤول عارف، وعرفوا حقيقة كيف يتاجرون مع الله سبحانه وتعالى التجارة التي لا تبور.نشأت علاقة عليٍّ عليه السلام مع ليلة القدر، من خلال الأجواء الروحية التي كان يضفيها على جميع أنواع العبادة، بل لقد جعل عليٌّ عليه السلام حياته كلَّها عبادة، تأسياً بأخيه النبيِّ الأعظم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، غير ملتفت إلى الجهد والمعاناة التي كان يلقاها من جراء ذلك، لأنَّ الجهد والمعاناة في سبيل الله تعالى، يتحولان من الألم إلى اللّذة، ومن التعب إلى الراحة، التي تزيد الروح إشراقاً وقرباً.

لذلك فإنَّه ليس غريباً أنْ يكون تأويل سورة القدر، كما كان متداولاً في بداية تحول ما سمي بالخلافة إلى ملك أُموي، من أنَّ الألف شهر هي مدّة الحكم الأُموي، لا تزيد ولا تنقص، وقد ذكر من ذكر من المفسرين ذلك أمثال الطبري والسيوطي(٣٦٤).

أمَّا ليلة القدر، فلم يلتفتوا إلى تأويلها، والتي لا تكون إلَّا البديل المرضي، الذي ميّزه سبحانه وتعالى عن الألف شهر، وهي حكومة عليٍّ والأئمة الأطهار من ولده عليهم السلام، هي الوحيدة التي يمكن أنْ تكون خيراً من ألف بديل غير إلهي دونها،

وإنْ قصرت مدّها وضاق مجالها بسبب خذلان الناس وجهلهم بحقيقتها.دعني أستوقفك أيّها القارئ العزيز لأسألك: بعد أنْ عرفت علياً وبعضاً من خصائصه، هل تزودت من معينه؟إذا كنت على المنهاج المعرفي، فأعتقد أنَّك على درب معرفة ما يختزله الرجل من طاقات ومعارف، خاصة إذا حصلت لديك قناعة أنَّه باب مدينة علوم النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، لذلك فإنِّي أجزم بأنَّك تودّ أنْ تتعرف على بعض مخزونه، وتستفيد من بقية آثاره، التي نجت من براثن الظالمين لحقه، وحق أهل بيته عليهم السلام، في هداية و قيادة الأُمَّة، ولعلَّ دعاءه ومناجاته اللذين بين أيدينا، يدلان على مقامه العالي، فدعاؤه الذي علّمه لكميل بن زياد النخعي[٣٦٥] يبقي تلك الحالة الروحية، التي لم يصلها مؤمن بعد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم غيره. .

وجد أمير المؤمنين كميلاً أهلاً ليحمل دعاءه، فأعطاه إياه، ومضى به كميل، مضي الأمين الواثق بقيمة ما حمله أبو الحسن عليه السلام، واستطاع من خلاله أنْ ينتشر في أوساط المؤمنين، ويتعهدوه جيلاً بعد جيل، إلى أنْ وصل إلينا غضاً طرياً، يحمل بين طياته تقوى وعلم ونفحات عليٍّ عليه السلام.

«أسألك بحقك وقدسك، وأعظم صفاتك وأسمائك، أنْ تجعل أوقاتي في الليل والنهار بذكرك معمورة، وبخدمتك موصولة، وأعمالي عندك مقبولة، حتى تكون أعمالي وأورادي كلُّها ورداً واحداً، وحالي في خدمتك سرمداً، يا سيدي يا من عليه معولي، يا من إليه شكوت أحوالي، يا رب.. يا رب.. يا رب، قوِّ على خدمتك جوارحي، واشدد على العزيمة جوانحي،

وهب لي الجد في خشيتك، والدوام في الاتصال بخدمتك، حتى أسرح إليك في ميادين السابقين، وأُسرع إليك في المبادرين، وأشتاق إلى قربك في المشتاقين، وأدنو منك دنو المخلصين، وأخافك مخافة الموقنين، وأجتمع في جوارك مع المؤمنين...»[٣٦٦].

لقد أعدَّ عليٌّ عليه السلام نفسه للقاء الله تعالى، كأحسن ما يكون الا ستعداد، وتجهز لرحلته خير جهاز، ووطَّن نفسه على السفر الطويل، وتعامل مع ذلك الحدث تعامل المؤمل له في كلِّ لحظة، فطاب كلٌّ منهما لصاحبه، وكما أخبره بذلك النبيُّ الأعظم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، خرج صباح اليوم التاسع عشر من شهر رمضان من سنة ٤٠ هجرية، لصلاة الصبح بمسجد الكوفة، وكانت يد الغدر اللعينة متربصة به، هو يريد عطاءها، وهي تريد الفتك به، في أحد بيوت الله، وفي محراب من محاريب الله، أُريق دم شهادة أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام، فلم يملك نفسه في تلك اللحظة إلَّا أنْ قال: «**فزت ورب الكعبة**»[٣٦٧].

أراد عليٌّ عليه السلام أنْ يعطيهم من نفسه المثال والقدوة، أراد أنْ يمنحهم نهجه الذي ارتضاه لنفسه ورضيه الله تعالى له، فلم يقبلوا منه ذلك، بل أرادوا إنفاذ مشيئتهم وإرادتهم عليه، فكان يصبر على ذلك، امتثالاً لوصية أخيه خاتم الأنبياء والمرسلين صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وفي كلِّ مرّة يمني نفسه بصلاح الأُمَّة، ولّما طال بها أمد التجاهل الاستخفاف، طلب من الله أنْ يستبدله بما هو خير له منها، وكان القضاء على يدي أشقى الأشقياء لعنه الله.

وفي الليلة الحادية والعشرين، عرجت روح أبي الحسن عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام إلى بارئها، راضية مرضية، اختار لها خالقها الرجوع إليه، في ليلة ليست ككلِّ الليالي، في ليلة هي خير من ألف شهر، ليلة القدر التي أُنزل فيها القرآن هدى للناس، وبينات من الهدى والفرقان، وقد كانت قبل شهادته محلّ تساءل وبحث، الليلة المباركة التي ازدانت بروحه الطاهرة، بعدما تشرفت من قبل بنزول الوحي، وتشرف القرآن بأنْ يكون عليٌّ وعاءه الناطق صدقاً وعدلاً، كما أوصى بذلك الوحي، وأخبر به النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**تركت فيكم الثقلين ما إنْ تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً، كتاب الله وعترتي أهل بيتي**»[٣٦٨].

مضى أمير المؤمنين عليه السلام إلى بارئه، والتحق بمن سبقه من الطاهرين، تاركاً للأُمَّة علماً جماً وسيرةً أقامت عرى الدين، ووثقت أواصره، وذرية لقبهم النبيُّ صلَّى الله عليه وآله و سلَّم بريحانتيه، وأخبر أنَّهما سيدا شباب أهل الجنة، وا ستودعهما ميراثه وعلومه.دعني أخيراً أقول لك: هذا عليٌّ عليه السلام وهذا ما ترك، فماذا ترك أولئك الذين أداروا ظهورهم عنه، وقلبوا له أمر الأُمَّة حتى استعصت عليه؟لا أعتقد أنَّ المقايسة ستكون منصفة، لأنَّنا سنظلم علياً عليه السلام عندما نقيسه بنظائر، لا تساوي التراب الذي مشى عليه.

أليس غريباً ومستهجناً على أفراد الأُمَّة، أنْ يجهدوا أنفسهم في طلب ليلة القدر، وتمني موافقتها، ولا يجهدون أنفسهم في التفقه في دينهم، ومعرفة أحكامهم، المكلفون

بتطبيقها تطبيقاً صحيحاً، وعلى وجه الخصوص أكبرها وأعظمها، وهي مسألة القيادة، والبيعة الواجبة لها؟ ألم يقل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية**» وبمعنى آخر: «**من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية**»؟[٣٦٩].

ألا يرون أنَّ هذا التكليف يفوق بقية التكاليف، بل يلغيها عند فقده، وينسبها إلى الجاهلية؟

نحن نرى اليوم، أنَّ أجيالاً كاملة تتعاقب في نسق تنازلي إلى هاوية الجاهلية، بإعراضها وتجاهلها لتكليف معرفة الإمام الواجب طاعته، وأداء البيعة له، فلماذا لا نلتفت إليه كما نلتفت إلى ليلة القدر؟ فنكون بذلك قد جددنا العهد مع الله تعالى، في تثبيت أركان طاعته.

ويبقى الإمام عليٌّ عليه السلام كليلة القدر، مجهولاً عند أكثر الناس، ومعلوماً عند القلة القليلة، ليكون بحق ذلك النبأ العظيم الذي فيه الناس مختلفون.

تراتيل مولوية

من عتمة الليل الداجي جاءت تراتيلك نورانية.. تهافتت الملائكة عليها تهافت النحل على الزهر.. ومن ندى الفجر المتنفس صعوداً.. جاء صوتك ملبياً شجياً.. يحرك الأفئدة.. من عالم الوحشة إلى عالم الأنس.. يا نور يا قدوس.. يا أول الأولين.. و يا آخر الآخرين.. صوت قدسي يأخذ بألباب السالكين إلى الله تعالى، وعبق فاح شذاه وامتدّ أريجه من عالم الناسوت إلى عالم اللاهوت.

ومن محراب المناجاة، فاضت آخر مناجياتك دماً عبقاً روياً، أبى إلَّا أنْ يتآخى ويتحد مع دمعك، المنحدر من مقلتيك الذابلتين الخاشعتين.. فامتزج القربان بالقرب، واتحد الوجدان بالنجوى، والتقى الشاهد والمشهود، وعلى أسى الأُمَّة جاءت مواساتك، وعهدك دائماً مواسياً مفادياً..في الليلة التي هي خير من ألف شهر، أبت روحك الطاهرة الأبية – النصف الآخر من روح سيد المرسلين – إلَّا أنْ تلتحق بصنوها، وتجتمع بمثالها عند الرفيق الأعلى.. يا من دل على ذاته بذاته.. وتنزه عن مجانسة مخلوقاته.. وجلَّ عن ملائمة كيفياته.. يا من قرب من خطرات الظنون.. وبعد عن

لحظات العيون.. وعلم بما كان قبل أنْ يكون.. يا من أرقدني في مهاد أمنه وأمانه.. وأيقظني إلى ما منحني به من مننه وإحسانه.. وكفّ أكف السوء عني بيده وسلطانه.. سيدي يا أمير المؤمنين.. مولاي يا علي.. أيّها الفرقد المهضوم.. والمرصد المظلوم.. لا تثريب على من عرفك فلاذ بجنابك، ولم يأنس لغيرك، ولا حرج على من فقدك أن يستوحش لفقدك، فيبكي عليك العمر كلّه، وينشر لواء الحزن في قلبه، ويبسط رواق التعزية على جنباته، إلى عرصات يوم القيامة.

خسئ المتقولون عليك، وقد خاب رنينهم، وخسرت صفقة المبغضين لك، وشاهت وجوههم، ويل لهم ولإفكهم، وما جنوه على أنفسهم، وعلى الأُمَّة الإسلامية المنكوبة في دينها، والمفرغة من أمثلتها، والمزيف تاريخها، والمموّهة حالها.

متى غبت، وزوي مقامك حتى يبهتوك؟ ومتى كان لغيرك نجم، حتى يقاس بنجمك، فيروه الأكبر والأعلى؟ أفّ لأُمَّة فقدت تمييزها، وعمت بصيرتها، وأفلست في تقديرها، فلم تعد تدرك الحقائق الكلية، ولم تميز بين جواهر الأشياء الصالحة، ومعادنها الحقيقية، بين حقيقة المثال، وبين القيل والقال، وتباً لمجتمع عشت فيه، وعرفك وميزك، ثُمَّ فرّط فيك، رضي بأنْ يركب الضلالة، وينتهج سبيل الغي، ولو اتبعك ذلك الجيل لنزلت عليه بركات السماء والأرض، ولأكلوا من فوقهم ومن تحتهم، ولأمكن لنا من بعدهم أنْ نعيش الأُخوّة، والاعتصام بدين الله، تماماً كما هي مقدرة في كتاب الله، وعلى الوجه الذي أراده الله سبحانه وتعالى، ورضيه رسوله الأكرم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

جاءت كلماتك مطابقة لأعمالك، كأنّهما مترادفان، أو توأمان لا ينفصـــلان، وبقيت آثارك التي خلصـــت من براثن الظالمين والبغاة، عينات ونماذج دالة على مكانتك وشـــخصـــك، وفي الوقت نفســـه أدلة صـــارخة على ما ارتكب في حقك، من بهت وافتراء وتجن.

كنت تفعل ما تقول، وتقول ما تفعل، لم يختل ميزان العلم والعمل لديك يوماً واحداً، أوثقتهما من نفســـك وثاق الوله على الفقد، ينحدر عنك الســـيل، ولا يرقى إليك الطير، فلم يزالا متصـلين بك جسـدين كقلب واحد، ينبض خيرا وبركة، ولمن قرآ كتابك من الأُمَّة المنكوبة، ففهم من معانيه ما ينجيه.

لم يجد جهابذة العلوم بداً من الاعتراف، بأنَّك أصـــل كلِّ علم تفرع في الأُمَّة، فأقروا بذلك إقرار المعترف بالجميل، ناشرين رداء فضلك فيما انتشر من المعارف، وماذا يقدر أنْ يأخذ الواقف على ساحل علمك، سوى غرفة يتسع لها عقله، وقد ملكه سحر هذا المد، وأخذ بلبه عظم هذا الطود، ولقد ســـئل ابن عباس أين علمك من علم ابن عمك؟ فقال: كقطرة في البحر المحيط.

لقد كانت نداءاتك، من على منبر مسجد الكوفة مدوية، لم تترك غافلاً يمضي في غفلته، ولا تائهاً يسـتغرق في متاهته.. سـلوني قبل أنْ تفقدوني.. وترتفع يدك لتضـرب بقوة على صدرك، وتعود قائلاً: «**إنَّ هاهنا لعلماً جماً، لو وجدته له حملة**.. أسفي يا سيدي، أنَّ هذا العصر لم أكن معك في ذلك الزمن، ولو كان معك لنصر نهجك، ولأخذ عنك،

فإنَّ فيه من العقول التي تستطيع حمل بعض أماناتك، وكنت أنت الدليل في كلِّ ذلك.لم تزل آثارك تخرق الزمن، وتجتاز عقبات الظالمين، حتى وصلت إلينا، متحدية من راهن على اندراسها، وسعى لطمسها بكلِّ ما توصل إليه من دهاء وحيلة.

وها هي البشرية اليوم تنهل معين فيضك، رياً روياً، سائغاً للواردين، وسلسبيلاً للشاربين، وإنْ غاب عنّا ما غاب، فقد وجدنا في بقيتك المتبقية غنى وكفاية.

عرفت ربّك حق معرفته، ثمَّ دللتنا عليه، بمقالاتك التي لا تكاد تخلو من ذكره، والثناء عليه مبتدئاً ومختتماً: «**الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون**.. ولا يحصي نعماءه العادون.. ولا يؤدي حقه المجتهدون.. الذي لا يدركه بُعد الهمم.. ولا يناله غوص الفطن.. الذي ليس لصفته حدٌّ محدود.. ولا نعت موجود.. ولا وقت معدود.. ولا أجل ممدود...أول الدين، معرفته.. وكمال معرفته، التصديق به.. وكمال التصديق به، توحيده.. وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له، نفي الصفات عنه.. لشهادة كلِّ صفة أنَّها غير الموصوف.. وشهادة كلِّ موصوف أنَّه غير الصفة.. فمن وصف الله فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثنّاه، ومن ثنّاه فقد جزّأه، ومن جزّأه فقد جهله..».

ألفت المؤمنين وألفوك، فأحبّوك حبّاً كسر أطواق المرجفين، وأحببتهم وحنوت عليهم، وكنت الساهر على شؤونهم، والقائم بأُمورهم، وكان شعار محبيك، موالاتك ودخول حصن ولايتك، فعنوان صحائفهم حبّك، لم يثنهم عن عزمهم شيء، فقدموا

من أجل ذلك أرواحهم وكلَّ ما يمتلكون، في منتهى الرضـــا والتســـليم، لمعرفتهم بأنَّ الضريبة التي تدفع من أجل ولاية عليٍّ عليه السلام، هي أغلى الضرائب.

أذهلت البلغاء ودوخت الفصــحاء، فلم يروا بُداً من الإقرار بالعجز أمام بيانك، فعكفوا عليه ينسجون، ومن معينه ينهلون، فكان ذلك في بلوغ مآربهم، في حسن البيان وفصــــل الخطاب، وقد قال منهم من قال: كلام أمير المؤمنين دون كلام الله وفوق كلام البشر.

تميزت يا مولاي اسماً ومســـمى، وظهرت في مجتمعك فلم يحجبك شـــيء، واســـتطلت على الزمن فلم يرَ بُداً من أنْ يفرغ لك خزائنه، لتملأها علماً وعملاً ومواقف، وجاءك الجميع للشهادة، وأقروا عند أعتاب مقامك بالعجز والتقصير دونك، لكنْ كبر عليهم أنْ تتقدم عليهم، لأنَّهم لم يوطّنوا أنفسهم على الزامها بالحق، فجمحت بهم فرسها في مهبط الأمر بالسوء ونكران الحق، فسقط أغلبهم في مستنقعه، مستبدلين حظهم الأوفى بالأدنى، وكان لهم ما كان.

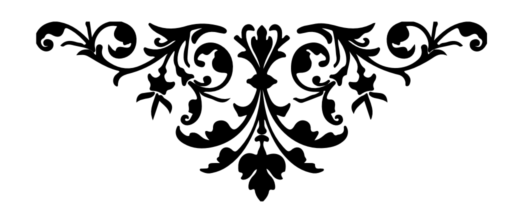
ذهب جملة من العلماء - وابن أبي الحديد المعتزلي منهم - إلى تأصيل علوم اللغة والشريعة، فوجدوها متصلة بك ومن عقلك فاضت على الناس، وجميع هؤلاء عيال عليك.. استغنيت عن الكلِّ، قابله من جهة أُخرى احتياج الجميع إليك، ومع ما قابلوك به من هضم وجحود، أبيت إلّا أنْ تدفع بالسيئة الحسنة، وهذا شأنك وأهل بيتك الذين اصــطفاهم الله، وجعلهم هداة الأُمَّة، وســفينة نجاتها من الضــلال.لقد كان محلك من

الحكم بعد أخيك خاتم الأنبياء صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، محلّ القطب من الرحى، كما قلت في إحدى خطبك البليغة، ينحدر عنك السيل ولا يرقى إليك الطير، فلم يمنعك من حجب أداته عنك من أداء دورك الآخر، في تقديم النصح وتعليم المسلمين وبيان مشكلاتهم، في حركة هداية لم يستطيعوا حجبها عنك، ولم يسجل التاريخ عنك شائنة، يلجئ إليها أعداؤك بالمعابة والتشويه، ومضيت مثلما بدأت طاهراً مطهراً نقياً على المحجة البيضاء، وقد أُثر عن الخليل بن أحمد الفراهيدي أنَّه سئل: ما الدليل على إمامة أمير المؤمنين عليٍّ؟

فلم يحتج بأيِّ دليل نقلي على توفره وكثرته، بل أجاب بدليل عقلي لا يمكن ردّه، فقال: استغناؤه عن الكلِّ واحتياج الكلِّ إليه دليل على إمامته.

فالسلام عليك يا سيدي ويا مولاي يا أمير المؤمنين يوم ولدت، ويوم مضيت إلى بارئك شهيداً مظلوماً، ويوم تبعث حياً، رجلاً من رجال الأعراف الاثني عشر، ذابّاً عن حوض أخيه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم زمر النفاق والضلال.

سيد الفصحاء وأمير البلغاء



إنْ ســـألت عنه من لم يتحير فيه، أجابك دون تردد، إنَّه تلميذ النبيِّ الأنجب، وصاحبه الأقرب، ووصيه الأترب، صاحب الصبر الأعجب، والصدر الأرحب، عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام.

وأنْ أردت أنْ تغامر، وترى موقعه في قلوب من ادّعى محبة النبيِّ صــلَّى الله عليه وآله وســلَّم، وأهل بيته الطاهرين عليهم الســلام، ظهر على ألســنتهم ما لا ينطبق في قلوبهم، ادّعاء بغير مدّعى، وغطاء لا يغني عن الحرّ والقرّ شـــيئاً، فمن لم يردف الإقرار بالعمل، والحبَّ بالاتباع، لا يراه القرآن محباً، ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾، وموالاة عليٍّ بعد النبيِّ صــلَّى الله عليه وآله وســلَّم ومحبته انحصــرت في الاتباع فقط، فمن أحبّ علياً امتثالاً لأمر الله في مودة قربى نبيه صــلَّى الله عليه وآله وســلَّم، فعليه أنْ يتبعه، كما فعل ذلك عمار بن ياسر، عندما عمل بنصيحة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وســلَّم، فســلك طريق عليٍّ، لعلمه بعد واجب الطاعة، ويقينه أنَّه لن يخرجه من هدى، ولن يرديه في ردى، حتى في عرف المحبين، لا يعني الإقرار بالحبِّ غير انخراط في

اتباع الحبيب، وكيف يطلب ودّ من أعلن اسمه، وهو بعيد عنه بلا وصل؟

فمن اتبع علياً في منهاجه الذي خطه الله ورسوله له، فقد هُدي إلى صراط مستقيم، ومن وقف عند دعوى المحبة، المجردة من الفعل الخالية من الأثر، وقد قدم عليه من لا يقاسون بخلّص أصحابه، كعمار بن ياسر، وأبي ذر الغفاري، وسلمان، الذين وقع تأخيرهما وإسقاط مقامهما، وهما السابقان إلى الاسلام، فهو أبعد ما يكون عن مقام المعرفة التي قصدها الوحي.

بعد ترافقنا في فسحة روحية، إلى خصائص أمير المؤمنين عليه السلام الظاهرية دون الباطنية، التي لا يعلمها إلّا القليل، وجرت بنا سفينة معرفتها بريح رخاء، أرستنا على ساحل درر حكمه، ومستصفى كلامه، ليكون مسك الختام في هذا الكتاب، مبيناً جانباً آخر خصّه الله تعالى به، فانفرد دون غيره بمنطق البلاغة والبيان، وتميز عمن سواه، بلسان فصيح، خرست دونه الألسن، وخضعت لترادف معانيه، ودقة أوصاف بناة أفكاره، أعناق من كانوا بأزمّة اللغة ممسكون، وبرحالها وترحالها الآمرون الناهون، فبخعوا للهج عباراته، وحطوا أسفارهم على أعتاب آثاره، وإذا الجميع عيال عليه، قد انفتحت صدفات عقولهم عن جوهرة من جواهره، كلّما غاصوا في عميق بحر بيانه، استخرجوا مزيداً من عجائب إسهامه ومساهماته، في لغة لم تخر من خيلائها ساجدة لغير الله، ولم تجنح من فرط ترادف معانيها وتنظم مفرداتها، إلّا لمن براها بعقله بري القلم النادر، وفك غرائب إرهاصات عتاة كلماتها، فرسان الكلم ورواد الضاد في الترادف

والأضداد، من قالوا عن منطقه، بأنَّه دون كلام الخالق، وفوق كلام المخلوق..

انتشـر تراث الإمام عليٍّ عليه السـلام بين أهل العلم ودواوين المعرفة، ولم يكن صعباً تمييز كلامه عن كلام غيره، بسبب ما اختص به من بلاغة في اللفظ، وتسلسل في الفكرة وعمق في المعنى، وقد دأب ذوّاقو لغة الضـاد على التفريق بين شـعر هذا وذاك، من كبار شعراء العرب، فلم يختلط شعر المتنبي بشعر أبي فراس، ولا امتزجت تصابيات بشار، بغزل كثير عزّة، حتى صار جبلة فيهم.

ولم تعرف العرب بعد القرآن، كتاباً جامعاً لفنون البلاغة، والعلوم المنطقية والطبيعية، والمباحث الفلسـفية، والمعارف الإسـلامية، والمواعظ والحكم، ولطائف الأوصاف، ودقيق الفكر غير هذا الذي جمعه الشريف الرضي، من خطب الإمام عليٍّ بن أبي طالب عليه السـلام من مدونات الحفاظ، وأسـفار المؤرخين الذين سـبقوه، في التقاط درر أمير الفصـحاء وسـيد البلغاء، فكان بحق تحفة جامعة لفنون شـتى، وجوهرة من جواهر رباني آل محمد، الذي فات الأجيال الإسلامية ممّا لقفته منه الكثير، وإنْ عتبنا على أحد عتب حسـرة وملامة، فإنَّنا لا نلقيه إلَّا على هؤلاء الذين عاصـروه وعاشـوا معه، لتفريطهم في مخزون علم، لو اجتمعوا على أنْ يحاكوه في باب من أبوابه المتنوعة، ما اسـتطاعوا إلى ذلك سـبيلاً، مع إهمالهم لما فاض من جوانبه، وعزوفهم عن طلب العلم، من بابه الذي أمر النبيُّ صـلَّى الله عليه وآله وسـلَّم أنْ يؤتى منه، رغم كثرة ترديده على الملأ: «**سـلوني قبل أنْ تفقدوني**» لم يلتحق بركبه إلَّا القليل، ممّن عرف حق

عليٍّ، وكانت له أُذن واعية.ولم يكن الاهتمام بكلام عليٍّ بما يستحقه، بل كان هو الآخر ضحية مؤامرات حيكت ضدَّه، عندما كان لسانه يلهج بفكره وحسن منطقه، وبعد ذلك جاء من أخذ الإحنة، ووطّن حياته بالجفاء، ليرمي تراث عليٍّ ومنزلته، بسهام الشك والريبة، التي لم تصب من حقيقة عليٍّ شيئاً، لمن ألقى السمع وهو شهيد، وإنَّما أصابت أفئدة مريضة، لم يسعها أنْ تتحمل هذا الذي تعلق بعليٍّ زخماً متتابعاً، فأسقطها ضيق أُفقها وبُعده عن عليٍّ، في معسكر محاربيه من حزب النفاق، الذي عرف ببغضه له.تحدث المؤرخ المسعودي عن تراث الإمام عليٍّ فقال: حفظ الناس من خطبه وسائر مقاماته، أربعمائة ونيف وثمانين خطبة، يوردها على البديهة، وتداول الناس ذلك عنه قولاً وعملاً[٣٧٠].

وقد اجتهد الرضي في جمعه لخطب الإمام عليٍّ، فلم يتمكن من جمع غير نصف الخطب(٢٣٩ خطبة).

وليس جامع نهج البلاغة، سوى ذلك العالم الفاضل، الذي عرفه الثعالبي بقوله: هو اليوم أبدع أبناء الزمان، وأنجب سادات العراق، يتحلى مع محتده الشريف ومفخره المنيف، بأدب ظاهر وفضل باهر، وحظ من جميع المحاسن وافر[٣٧١].

ذكر الشيخ محمّد عبده في مقدمة شرحه كتاب شرح نهج البلاغة فقال: فتصفحت بعض صفحاته، وتأملت جملاً من عباراته، من مواضع مختلفات، ومواضع متفرقات، فكان يخيل لي في كلِّ مقام، أنَّ حروباً شبت، وغارات شنت، وإنْ البلاغة

دولة، والفصاحة صولة... وإنَّ مدبّر تلك الدولة، وباسل تلك الصولة، هو حامل لوائها الغالب أمير المؤمنين عليٌّ بن أبي طالب، بل كنت كلّما انتقلت من موضع إلى موضع أحسّ بتغير المشاهد وتحول المعاهد(٣٧٢).

تحدث الشريف الرضي عن جمعه لكلام أمير المؤمنين فقال: ومن عجائبه التي انفرد بها، وأمن المشاركة فيها، أنَّ كلامه عليه السلام الوارد، في المواعظ والتذكير والزواجر، إذا تأمله المتأمل وفكر فيه المفكر، وخلع من قلبه أنَّه كلام مثله، ممّن عظم قدره، ونفذ أمره وأحاط بالرقاب ملكه، لم يعترضه الشك، في أنَّه كلام من لاحظ له في غير الزهادة، ولا شغل له في غير العبادة، قد قبع في كسر بيت، أو انقطع إلى سفح جبل، لا يسمع إلَّا حسّه، ولا يرى إلَّا نفسه، ولا يكاد يوقن بأنَّه كلام من ينغمس في الحرب مصلتاً سيفه، فيقطّ الرّقاب، ويجدّل الأبطال، ويعود به ينطف دماً ويقطر مهجاً، وهو مع تلك الحال، زاهد الزهاد، وبدل الأبدال، وهذه من فضائله العجيبة، وخصائصه اللطيفة، التي جمع فيها بين الأضداد، وألف بين الأشتات، وكثيراً ما ذكر الإخوان بها، واستخرج عجبهم منها، وهي موضع العبرة بها والفكر فيها(٣٧٣).

كما عبر الشهيد مرتضى مطهري عن إعجاب وإكبار، بما تضمنه نهج البلاغة من قيم فقال: إنّ الإمام مع أنَّه إنَّما تكلم حول المعاني الحقة والواقعية، بلغ ببلاغته الرائعة أوج العظمة والكمال، إنَّ الإمام لم يتكلم في الفخر أو الخمر أو الشعر، وهي مساحات واسعة للخيال وللوصف الفصيح، ولم يقل ما قاله ليكون مقالاً جميلاً يضرب به

الأمثال، فيبدي بذلك مهاراته الفنية في الكلام، كلا إذ لم يكن الكلام هدفاً له، بل وسيلة إلى أهدافه، إنَّه لم يرد أنْ يخلف لنا بمقاله أثراً فنياً، أو يبدي عبقرية أدبية، وأكثر من هذا، إنّ كلامه عام غير محدود بحدود الزمان أو المكان أو الأشخاص بشكل خاص، بل هو يخاطب الإنسان، ولذلك فكلامه لا يعرف حدّاً للزمان أو المكان[٣٧٤].

اجتمعت في كلام، ومواعظ، ورسائل، وخطب أمير البلغاء، مطالب عدّة، أراد إبلاغها لمن فتح عقله وقلبه، فلم يشغله مبحث عن آخر، ولا أنساه استغراقه في مجال دون الرجوع إلى مستطرده، فكان للتوحيد لديه مقام رفيع، وللعبادات نفس بالمعرفة صريع، وللزهد في الدنيا وللحكم والإدارة والأخلاق وتهذيب النفس والملاحم والمغيبات و شأن أهل البيت وانتقاد الناس والتشكي منهم والقرآن والإ سلام مقام وفن بديع، تسامت عباراته، وتبخترت رناته في آذان الذواقين، فالتقطوها إيماناً بتفردها وتميزها عن باقي كلام الناس، فحفظها من حفظها لتكون له ذخيرة في فن الكلام، وزاداً يتزود منه في مجال الخطابة والبلاغة، والنسج على المنوال بعد الحفظ، يدفع صاحبه إلى التفرد في المقال، والسمو في ذلك المجال، وقد أقرَّ بذلك عدد ممّن وعى خطب سيد البلغاء، فتفتقت قرائحهم وتنامت فكرهم، ووجدوا أنفسهم في مقام الأُدباء والخطباء، وليت المسلمين اليوم، يعيرون هذا الكتاب الجليل ما يستحق من عناية واهتمام، دفعاً باللغة العربية لغة القرآن إلى النمو، في عصر لم تجد فيه مقاماً حتى بين أهلها، الذين تغربوا عنها، معتمدين غيرها من اللغات، فقصرت عن مجاراة الزمن، وبعدت بفعل

الإهمال عن أداء دورها في حياة أهلها، وما نشـــهده اليوم غبن للغة العربية، وغبن للقرآن، وغبن لنهج البلاغة، مصدراً لفهم ما تعلق بالدين والحياة.

ولو تأملت ما تضـــمنته خطب مواعظ الإمام عليٍّ، لوجدته قد ركز على حث الناس على الزهد في الدينا، بعدما انفتحت الأمصار على المسلمين، وقدمت إليهم منها الغنائم الهائلة، وظهور طبقة من الأثرياء، في مجتمع دينه ينبذ الثراء الفاحش، ويرفض التملك المشـــبوه، فلم يترك فرصـــة تمرّ به دون أنْ يحذر الناس من الدنيا وغرورها، فلا تكاد تخلو خطبة من خطبه، من التحذير من تبعات الانجرار وراء المتاع الزائل، واتخاذه مغنماً ومغرماً.

ففي أسمى المطالب وهو التوحيد لم ينطق ســـيد الفصـــحاء بكلام إلّا وقد افتتح بالتوحيد بابه وأماط من حركات لســـانه حجابه، مســـتدفعاً وهم الاعتقاد فيه بالتصـــور والخيال، فقال فيما قال:

«الحمد لله الذي لا بلغ مدحته القائلون ولا يحصي نعماءه العادون ولا يؤدي حقه المجتهدون، الذي لا يدركه بُعد الهمم، ولا يناله غوص الفطن، الذي ليس لصـــفته حدٌّ محدود، ولا نعت موجود، ولا وقت معدود، ولا أجل ممدود، فطر الخلائق بقدرته، ونشر الرياح برحمته، ووتد بالصخور ميدان أرضه.

أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصـــديق به، وكمال التصـــديق به توحيده، وكمال

توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كلِّ صفة أنَّها غير الموصوف، وشهادة كلِّ موصوف أنَّه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثنّاه، ومن ثنّاه فقد جزّأه، ومن جزّأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه، ومن قال فيمَ فقد ضمّنه، ومن قال علامَ فقد أخلى منه، كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم، مع كلِّ شيء لا بمقارنة، وغير كلِّ شيء لا بمزايلة، فاعل لا بمعنى الحركات والألة، بصير إذ لا منظور له من خلقه، متوحّد إذ لا سكن يستأنس به ولا يستوحش لفقده»[٣٧٥].

وفي موضع آخر قال:

«الحمد لله الذي بطن خفيّات الأُمور، ودلّت عليه أعلام الظهور، وامتنع على عين البصير، فلا عين من لم يره تنكره، ولا قلب من أثبته يبصره، سبق في العلو فلا شيء أعلى منه، وقرب في الدنو فلا شيء أقرب منه، فلا استعلاؤه باعده عن شيء من خلقه، ولا قربه ساواهم في المكان به، لم يطلع العقول على تحديد صفته، ولم يحجبها عن واجب معرفته، فهو الذي تشهد له أعلام الوجود، على إقرار قلب ذي الجحود، تعالى الله عمّا يقول المشبهون به والجاحدون له علواً كبيراً»[٣٧٦].

وعن مصيبة ازاحته عن قيادة الأُمَّة وحكومتها بعد رحيل النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال:

«أما والله لقد تقمصــها أبن أبي قحافة وإنَّه ليعلم أنَّ محلّي منها محلُّ القطب من الرحى، ينحدر عني الســيل ولا يرقى إليَّ الطير، فســدلت دونها ثوباً وطويت عنها كشــحاً، وطفقت أرتأي بين أنْ أصــول بيد جذاء، أو أصــبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشــيب فيها الصـغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربَّه، فرأيت أنَّ الصـبر على هاتا أحجى، فصـبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجا، أرى تراثي نهباً، حتى إذا مضـــى الأول لسبيله، فأدلى بها إلى فلان بعده، فيا عجاب بينما هو يسـتقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته، لشــدّ ما تشــطرا ضرعيها، فصيرها في حوزة خشناء يغلظ كلامها، ويخشن مسها، ويكثر العثار فيها والاعتذار منها، فصـاحبها كراكب الصـعبة، إنْ شـنق لها خرم، وإنْ أسـلس لها تقحم، فمني الناس لعمر الله بخبط وشــماس، وتلوّن واعتراض، فصـبرت على طول المدّة وشـدّة المحنة، حتى إذا مضى لســبيله، جعلها في جماعة زعم أنِّي أحدهم، فيا لله ويا للشــورى، متى اعترض الرّيب فيَّ مع الأول منهم، حتى صرت أُقرن إلى هذه النظائر، لكني أســففت إذ ســفّوا، وطرت إذ طاروا، فصــغى رجل منهم لضــغنه، ومال الآخر لصــهره، مع هن وهن، إلى أنْ قام ثالث القوم نافجاً حضنيه، بين نثيله ومعتلفه، وقام معه بنو أبيه، يخضمون مال الله، خضمة الإبل نبتة الربيع، إلى أنِ انتكث فتله، وأجهز عليه عمله، وكبت به بطنته، فما راعني إلّا والناس كعرف الضــبع إليَّ، ينثالون عليَّ من كلِّ جانب، حتى لقد وطئ الحسـنان، وشـق عطفاي، مجتمعين حولي كربيضـة الغنم، فلمّا نهضــت بالأمر، نكثت طائفة، ومرقت أُخرى، وقســط آخرون، كأنَّهم لم يســمعوا كلام الله حيث يقول: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَـادًا

﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ بلى والله لقد سمعوها ووعوها، لكنَّهم حليت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها.

أمَا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء، أنْ لا يقاروا على كظة ظالم، ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت كأس آخرها بكأس أولها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز»(٣٧٧).

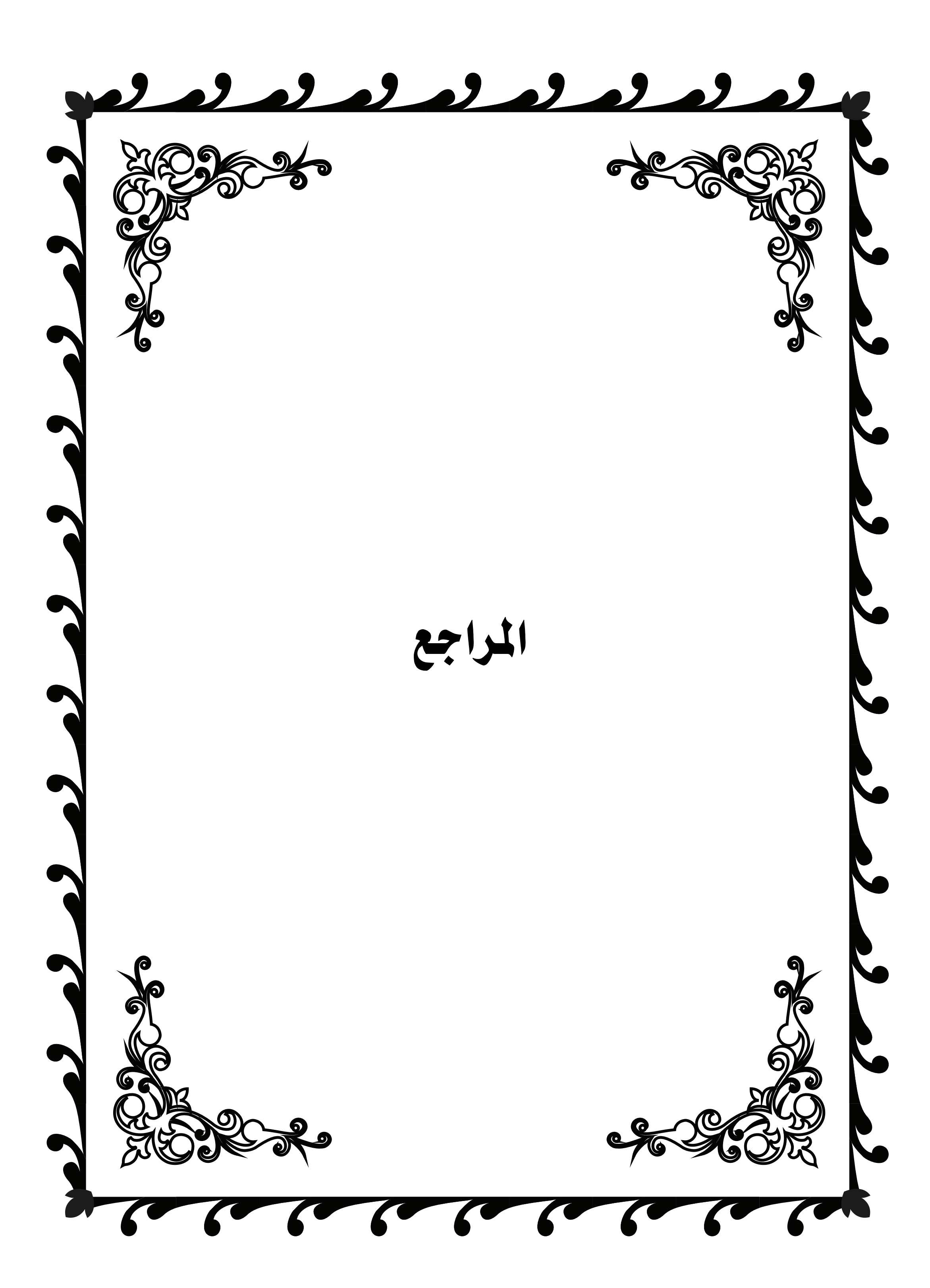
أمَّا في ما تعلق بمقام أهل البيت عليهم السلام فقد تناولهم في إشارات لطيفة واختصارات ظريفة، اختزلت منزلتهم الرفيعة، فقد قال:

«هم عيش العلم وموت الجهل، يخبركم حلمهم عن علمهم، وصمتهم عن حكم منطقهم، لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه، هم دعائم الإسلام وولائج الاعتصام، بهم عاد الحق في نصابه، وانزاح الباطل عن مقامه، وانقطع لسانه عن منبته، عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية لا عقل سماع ورواية، فإنَّ رواة العلم كثر ووعاته قليل»(٣٧٨).

مجموع خطب أمير المؤمنين على تنوعها ودسامة ألفاظها وعمق معانيها، لم تجد العناية التي تستحق، فما أعطاها بعض حقها إلَّا القليل ممّن تصدوا لحفظها وتدوينها ورفع اللبس عن غريب ألفاظها ووقفوا عند ذلك الحدِّ دون بلوغ الغاية من أعماقها العلمية والفلسفية، ونحن اليوم ندعو أصحاب الفكر الإنساني المستنير، إلى إيلاء كتاب

نهج البلاغة، ما يســـتحق من اهتمام، حتى تنتفع العقول برفيع كلام أنجب تلاميذ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وترفع من تدني مستوى اللغة العربية بين أهلها.

ويبقى كتاب نهج البلاغة موسوماً بالرفعة، موصوفاً بالتناسق اللفظي والمعنوي، متناغماً في مواضيعه، متفقاً في أدائه، محاكياً سيرة عليٍّ عليه السلام في السلم والحرب، ومتألفاً عقله الذي انفرد بمخزون علوم، لم تكن ليستوعبها غير عقل عليٍّ.. ليبقى عليٌّ في مقامه العلوي متعالياً منفرداً.. كنفس النبيِّ صـــلَّى الله عليه وآله وســـلَّم في انفراده عن مجتمعه.



المراجع

١ - نهج البلاغة الشيخ محمد عبده ج٣ص١٧٦ رقم ١٠٩ باب المختار من حكم أمير المؤمنين.

٢ - سورة البقرة الآية ١٤٣.

٣ - نهج البلاغة ج٢ص١١ رقم ١٢٣.

٤- مستدرك الصحيحين للحاكم ج٣ص ٤٨٣ / الفصول المهمة لابن صباغ المالكي ص٣٠.

٥ - مستدرك الصحيحين للحاكم ج٣ص٥٥٠ ح٦٠٤٤ / نور الأبصار للشبلنجي ص٧٦ / الفصول المهمة لابن الصباغ ص٢٩ / أعيان الشيعة ج١ص٣٢٣/٣٢٤.

٦ - السيرة الحلبية ج١ص٢٦٨.

٧ - فرائد السمطين ج٢ آخر المجلد مقتل الحسين للخوارزمي ج١ص٩٥ ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص٤٨٦.

٨ - فرائد السمطين.

٩ - المستدرك على الصحيحين ج٣ص١٤٠ح٤٦٤٥ / جامع الأحاديث للسيوطي ج١٦ص٢٣٦ح٧٧٨٦ / تاريخ بغداد ج٤ص١٩٥/ أسد الغابة ج٤ص١٢٧/

المعجم الكبير للطبراني ج٣ص٥٧ح٢٦٧٥ وج٤ص١٧١ ح٤٠٤٦.

١٠ – أسـد الغابة ج٤ص١١٢ /فردوس الأخبار للديلمي ج٥ص٣١٥ح٨٣٠٠ /كنوز الحقائق للمناوي ص.

١١ – سورة يس الآية ١٢.

١٢ – أعيان الشيعة ج١ص٣٧٤ يقصد بذلك البخاري ومسلم، وقد ألَّف كتابه المستدرك وتتبع فيه الأسانيد الصحيحة التي أسقطها كلٌّ من الشيخين.

١٣ – أسد الغابة لابن الأثير ج٣ص ٦١٢/٦١٣.

١٤ – أسـد الغابة لابن الأثير ج٥ص٥٩ ترجمة الإمام عليّ/ فرائد السمطين ج١ص٢٤٢ح١٨٧ / المعجم الكبير للطبراني ج٦ص٢٦٩ ح٦١٨٤ / المستدرك على الصحيحين ج٣ص١٢١ ح٤٥٨٥ /سنن النسائي ج٥ص١٠٧ح٨٣٩٦.

١٥ – السيرة الحلبية ج١ ص٢٧٥.

١٦ – سورة الشعراء: الآية ٢١٤.

١٧ – المستدرك ج٣ص١٣٦ /السيرة الحلبي ج١ص٢٧٥/الاستيعاب لابن عبد البر ج٢ص٤٥٧.

١٨ – السيرة الحلبية ج١ص٢٧٠/٢٧١.

١٩ – سورة الرعد الآية ١٦.

٢٠ – سنن النسائي ج٥ص١٤٢ح٨٥٠٧ /مستدرك الحاكم ج٢ص٣٩٨ح٣٣٨٧ / مسند أحمد ج١ ص ١٣١ ح٦٤٥ وص٢٤٤ح١٣٠٤ / خصائص النسائي ص٣١ /تاريخ بغداد ج١٣ص٣٠٢ح٧٢٨٣.

٢١ – سيرة المصطفى ص١٣٨.

٢٢ – سورة يونس الآية ٨٧.

٢٣ – سورة النور الآيات٣٦/٣٧/٣٨.

٢٤ – أسد الغابة لابن الأثير ج٣ص٥٩٦.

٢٥ – سورة طه الآية ١٣٢.

٢٦ – سورة الأحزاب الآية ٣٣.

٢٧ – أخرجه ابن جرير، والسيوطي، وأحمد، والترمذي، والحاكم، وابن أبي شيبة، والطبراني، وابن مردويه، وغيرهم. أعيان الشيعة ج١ص٣٠٩.

٢٨ – الحافظ أبو نعيم في حلية الأولياء باب فضائل الصحابة/البزار في مسنده ج٢ص٣١٨ ح٧٥٠ /السيوطي في جمع الجوامع كما صرّح به صاحب كنز العمال ج١٣ ص١٧٥ ح٣٦٥٢٢ الحلبي في سيرته ج٣ص٣٧٤ الهيثمي في مجمع الزوائد ج٩ص١١٥/ تاريخ دمشق لابن عساكر ترجمة عليّ بن أبي طالب في ج ٢، ص٣١٢ إلى ٣١٤ بأربعة أسانيد مختلفة تحت الرقم ٨١٦ إلى الرقم ٨١٩.

٢٩ – سنن الترمذي ج٥ص٥٩٩ ح٣٧٣٢ /أخرجه النسائي كما ذكره السيوطي في جامع الأحاديث ج١٦ص٢٧٤ ح٧٩٣٤.

٣٠ – مسند أحمد مسند الكوفيين ح١٨٤٨٤ البزار في مسنده ج٢ص١٤٤ ح٥٠٦ وج٢ص٣١٨ح٧٥٠.

٣١ – الطبراني في معجمه الكبير ج١٢ص١١٤ ح١٢٧٢٢/الهيثمي في مجمعه ج٩ص١١٥ /الحلبي في سيرته ج٣ص٣٤٦.

٣٢ – سورة النساء الآية ٦٥.

٣٣ – سورة الأحزاب الآية ٣٦.

٣٤ – الترمذي كتاب المناقب ح٣٦٦٥/أحمد مسند بني ها شم ٢٩٠٣ النسائي في خصائصه ص٦٤ ح٤٣ /ابن حجر في فتح الباري ج٧ص١٥ /القسطلاني في إرشاد الساري ج٨ص١٦٧ /الحاكم في المستدرك ج٣ص١٢٥ /السيوطي في جمع الجوامع /كنز العمال للمتقي الهندي ج٦ص١٥٢–١٥٧/ البزار في مسنده ج٢ص١٤٤ح٥٠٦.

٣٥ – مسند أحمد مسند العشرة ح١٤٢٩/ الدرّ المنثور للسيوطي ج٧ص٦٤٢ تفسير فوله تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى﴾ / سنن النسائي ج٥ص١١٩ح ٨٤٢٧/ حلية الأولياء لأبي نعيم ج٤ص١٥٣ / مسند أحمد ج٢ ص١٠٤ح٤٧٨١.

٣٦ – فتح الباري ج٧ص١٥ /إرشاد الساري ج٨ص ١٦٧.

٣٧ – نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ج١١ص٤٤.

٣٨ – سنن الترمذي ح٣٦١١.

٣٩ – سنن الدارمي المقدمة ح٨١.

٤٠– صحيح البخاري كتاب الصلاة ح٤٤٦.

٤١ – صحيح البخاري كتاب الآذان ح٦٤٦.

٤٢ – سنن الترمذي ج٥ص٥٩٨ ح٣٧٢٧ /سنن البيهقي ج٧ص٦٦/ كنز العمال ج١١ص٥٩٩ ح٣٢٨٨٥ / مصابيح السنة للبغوي ج٤ص١٧٥ ح٤٧٧٤.

٤٣ – سورة البقرة الآية ١٨٩.

٤٤ – تاريخ الخلفاء للسيوطي ص١٧١ / الاستيعاب لابن عبد البر القسم الثالث ١١٠٤رقم ١٨٥٥ الحاكم في المستدرك ج٣ص١٣٧ح٤٦٣٧ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج١١ص٤٨ح٥٧٢٨.

٤٥ – الاستيعاب لابن عبد البرج٣ص٤٠ الرياض النضرة ج٣ص١٤١ مطالب السؤول ص٣٠.

٤٦ – تاريخ الخلفاء للسيوطي ص١٧١.

٤٧ – أخرجه بطرق وألفاظ متعددة كلٌّ من: البغوي في مصابيح السنة ج٤ص١٧٤ح٤٧٧٢ أبو نعيم في حلية الأولياء ج١ص٦٤ كنز العمال للمتقي الهندي ج١١ص٦١٤ح٣٢٩٨١ الصواعق المحرقة لابن حجر ص١٢٢ونص على صحة

الحديث كلٌّ من يحيى بن معين، ذكره الخطيب البغدادي والمزي وابن حجر في صواعقه ص١٢٢ وابن جرير الطبري في تهذيب الآثار ص١٠٥ح١٧٣ والحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ج٣ص١٣٧ح٤٦٣٧/٤٦٣٨ السيوطي في جمع الجوامع وفي تاريخ الخلفاء ص١٧٠/ المتقي الهندي في كنز العمال ج١٣ص١٤٨ ح٣٦٤٦٣/٣٦٤٦٤. ..

٤٨ - أخرجه الترمذي في جامعه ج٥ ص٥٩٦ح٣٧٣٢ حلية الأولياء لأبي نعيم ج١ص٦٤ مصابيح السنة للبغوي ج٤ص١٧٤ح٤٧٧٢.

٤٩ - أخرجه أحمد في مسنده ج٥ص٦٦٢ح١٩٧٩٦.

٥٠ - مصابيح السنة للبغوي ج٤ص١٨٠ح٤٧٨٧ ابن حجر في فتح الباري ج٨ص١٦٧.

٥١- نهج البلاغة /محمد عبده /الخطبة القاصعة ج٢ص٣٣٨.

٥٢ - أعيان الشيعة ج١ص٣٧٣ نقلاً عن مستدرك الحاكم.

٥٣ - أعيان الشيعة ج١ص٢٣٦/٢٣٧.

٥٤ - نقلاً عن أعيان الشيعة بتصرف ج١ص٢٣٧.

٥٥ - الثعلبي في تفسيره سورة البقرة الآية ٢٠٧/ إحياء علوم الدين للغزالي ج٣ص٢٣٨/الشبلنجي في نور الأبصار ص٨٦ ابن صباغ المالكي في الفصول المهمة ص٣٣ / تاريخ اليعقوبي ج٢ص٣٩/٤٠.

٥٦ – تفسير الثعلبي أورد نزولها في عليٍّ بخمس طرق/ تفسير الدر المنثور للسيوطي الآية/ تفسير الميزان ج١ص ١٠٠/ مجمع البيان ج١ص ٥٧ عن السدي عن ابن عباس.

٥٧ – سورة التوبة الآية٢٥/٢٦.

٥٨ – سورة التوبة الآية٤٠.

٥٩– سورة الحجرات الآية ١٠.

٦٠ – ابن عبد ربه في الدرر ص٩٠ / السيرة الحلبية ٢ / ٢٣/ سيرة ابن هشام ٢ / ١٠٩.

٦١ – السيرة الحلبية ج٢ص٩٠.

٦٢ – الترمذي كتاب المناقب ج ٥ص٥٩٥ ح٣٧٢٠/ المستدرك على الصحيحين ج٣ص١٢٠ ح٤٥٨٤و ٤٢٨٨ / طبقات ابن سعد ج٣ص٢٢ / سنن النسائي ج٥ص١٢٦ح٨٤٥٢ /تاريخ الطبري ج٢ص٣١٠/تاريخ الخلفاء للسيوطي ص١٧٠.

٦٣ – الإصابة في تمييز الصحابة ترجمة الإمام عليٍّ عليه السلام. مصابيح السنة للبغوي ج٤ص١٧٣ ح٤٧٦٩– مسند أحمد ج١ ص٢٣٠ – سيرة ابن هشام ج٢ص١٠٩.

٦٤ – صحيح البخاري ج٤ ص٤٢ و ج٥ ص٣/صحيح مسلم ج٤ ص١٨٧.

٦٥ – سورة طه الآيات ٢٩/٣٢.

٦٦-

٦٧ - ثواب الأعمال ص٤٠٩ لعلي محمّد علي دخيل.

٦٨ - أعيان الشيعة ج١ ص٣٧٧ تاريخ الخلفاء للسيوطي.

٦٩- صحيح البخاري كتب الصلح ح٢٥٠١، كتاب المناقب أول مناقب الإمام عليٍّ، كتاب المغازي ح٣٩٢٠ - سنن الترمذي، كتاب المناقب ح ٣٦٤٩ - مسند أحمد بن حنبل، كتاب مسند العشرة ح ٨١٥ و ح ٨٨٧.

٧٠ - سورة آل عمران الآية ٣١.

٧١ - سورة آل عمران الآية ٦١ - أخرجها كلٌّ من الرازي في تفسيره ج٢ص٦٩٩ - تفسير البيضاوي ص٧٦ - الزمخشري في تفسير الكشاف ج١ص١٤٩ - السيوطي في الدر المنثور ج٢ص٣٩ - تفسير روح البيان ج١ص٤٥٧ تفسير الجلالين ج١ص٣٥ مصابيح السنة للبغوي ج٢ ص٢٠١. ..

٧٢ - سورة آل عمران الآية ٦١.

٧٣ - سورة محمد الآية ٢٤.

٧٤ - نهج البلاغة ص٣٧٦ آخر الخطبة ١٩٢ المسماة بالقاصعة.

٧٥ - سورة القلم الآية ٤.

٧٦ - أسد الغابة لابن الأثير ج٣ص٥٩٦ / مجمع الزوائد للهيثمي ج٩ص١٤.

٧٧ – شرح نهج البلاغة ج ١١ص٤٨.

٧٨ – حق اليقين ج١ص٢١٠.

٧٩ – مستدرك الحاكم ج٣ص١١٠ –سنن الترمذي كتاب مناقب الإمام عليٍّ مسند أحمد ج٤ص ٤٣٧ و ج٥ص٣٥٦ كنز العمال للمتقي الهندي ج٦ ص١٥٢/١٥٤ و٤٠٠ الصواعق المحرقة لابن حجر ص ٧٥ تاريخ الخلفاء للسيوطي ص٦٦ تاريخ الطبري ج٣ص٧ الكامل لابن الأثير ج٢ص٦٣.

٨٠ – حق اليقين ج١ص٢١٠/٢١١.

٨١ – صحيح البخاري كتاب الإيمان والنذور ح٦١٤٢.

٨٢ – صحيح البخاري ج٤ ص٤٢ و ج٥ ص٣/صحيح مسلم ج٤ ص١٨٧.

٨٣ – سورة طه الآيات ٢٩/٣٤.

٨٤ – سورة الأعراف الآية١٤٢.

٨٥ – سنن الترمذي كتاب المناقب حديث٣٦٥٤.

٨٦ – صحيح مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة ح٨٢٧.

٨٧ – أحمد مسند العشرة ح١٢٣٠– مسند أحمد باقي مسند المكثرين ح١٣٥٠٨ و ح ١٢٧٣٧.

٨٨ – أحمد مسند العشرة ح٤.

٨٩ – صـحيح البخاري كتاب الجزية والموادعة ح ٢٩٤١ وكتاب تفسـير القرآن ح٤٢٩٠ – صـحيح مسـلم كتاب الحج ح ٢٤٠١ – سـنن أبي داود كتب المناسك ح١٦٦٢.

٩٠ – مسـلم كتاب فضـائل الصـحابة ح ٤٤٢٠ –الترمذي كتاب المناقب ح ٣٦٥٨.

٩١ – مسند أحمد بن حنبل باقي مسند الأنصار ح ٢٤٥٢٣.

٩٢ – سنن الترمذي كتاب المناقب ح ٣٦٤٥.

٩٣ – فضائل أمير المؤمنين لابن عقدة ص٢٥/٢٦.

٩٤ – صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين ح١٣٠٢.

٩٥– تذكرة الحفاظ للذهبي/ الطبقات الكبرى ابن سعد.

٩٦ – سير أعلام النبلاء للذهبي.

٩٧ – مسند أحمد ج١ص٣٦٣.

٩٨ – سنن الترمذي ج٥ص ٤٤٠ ح ٣٨٢٨ و٣٨٢٧.

٩٩ – شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي المجلد ٣ صفحة ٥٩٥ ـ ٥٩٦.

١٠٠ – كنز العمـال للمتقي الهنـدي ج١١ص٦١٢ح٣٢٩٦٤ / ابن حجر في الإصـابة: ٤/١٧٠، وضـعفه بدون حجة، وكذا فعل ابن كثير في البداية والنهاية

ج ٧ص٣٤٨.

١٠١ - سنن النسائي ج٥ص١٠٦ح٨٣٩٥ /سنن ابن ماجة ج١ص٤٤ ح١٢٠ / مستدرك الصحيحين ج٣ص١٢١ح٤٥٨٤ /تاريخ الطبري ج٢ص٣١٠ / ذخائر العقبى للمحب الطبري ص٦٠ / الرياض النضرة لابن صباغ ج٣ص٩٦/.

١٠٢ - العزيزي في السراج المنير: ٢/٤٠٢ / كنز العمال: ١١/٦١٦.

١٠٣ - الطبراني عن سلمان وأبي ذر معاً، والبيهقي، وابن سعد، عن حذيفة.الاستيعاب لابن عبد البر، ج ٢ ص ٦٥٧/ الإصابة في معرفة الصحابة لابن حجر آخر ج ١١ عن ابن عدي/ كنز العمال للمتقي ج ١١ ص ٦١٢ نقله عن الحافظ أبي نعيم/ مسند البزار ج ١ ص ٣٨/ مجمع الزوائد للهيثمي ج ٩ ص ٢٩، نقله عن المعجم الكبير للطبراني. تاريخ دمشق لابن عساكر ترجمة الإمام عليٍّ ج ١ ص ٨٧ حديث ١١٩، وفي ج ١ ص ٧٦. حديث ١٢٢.

١٠٤ - رواه الطبراني والبزار عن أبي ذر وحده.

١٠٥ - أخرجه كلٌّ من ابن حجر في الصواعق المحرقة باب ٩. فصل ٢ / ٣٠، ٣١ وأخرجه أحمد بن حنبل في فضائل الصحابة ١٠٧٢،٦٢٧ : ٢ و ٦٥٥ / ١١١٧. الديلمي في الفردوس ٣٦٨١/ج٢ ص٥٨١/ ابن عساكر كما تاريخه ترجمة الإمام عليّ ج١ص٩١-١٢٦/ ابن المغازلي الشافعي في المناقب/ أخطب خوارزم في المناقب ص٢١٩ / السيوطي في الجامع الصغير ٢ : : ١١٥، / ٥١٤٨، ٥١٤٩، والمتقي في الكنز ١١ /

٣٢٨٩٧ / المحب الطبري في ذخائر العقبى: ٥٨، السيرة الحلبية ١: ٤٣٥، شواهد التنزيل ٢: ٢٢٣ / ٩٣٨ - ٩٤٢. أقرّه الذهبي في (مختصر المنهاج) (ص٣٠٩ ذكره السيوطي في (الجامع الصغير) ابن عساكر عن ابن أبي ليلى ولم يتكلم عليه شارحه المناوي بشيء.

١٠٦ - شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ج١ ص ١٨١/١٧٨.

١٠٧ - المستدرك على الصحيحين للحاكم ج٣ص١١١/ تاريخ الطبري ج٢ص٣١٠ /سنن ابن ماجة ج١ص٤٤ح١٢٠ /سنن النسائي ج٥ص١٠٦ح٨٣٩٥ /الرياض النضرة ج٣ص٩٦ /ذخائر العقبى ص٦٠.

١٠٨ - سيرة ابن هشام / السيرة الحلبية.

١٠٩ - نهج البلاغة/ محمد عبده/ الخطبة القاصعة ج٢ص ٣٣٨.

١١٠ - سورة الشعراء الآية ٢١٤.

١١١ - مجمع الزوائد ج ٥ / ٥١ وذكر القصة كلٌّ من: الحكيم الترمذي في نوادر الأُصول ص ٦٦، وابن حجر في الإصابة ج ٤ / ٢٢، وابن حجر في فتح الباري ج ١٠ / ٣٠، والعيني في عمدة القاري ج ١٠ / ٨٢ / سيرة ابن هشام ج ١ باب ذكر الإسراء والمعراج.

١١٢ - شرح النهج لابن أبي الحديد ج٤ص٩٦.

١١٣ - السيوطي تاريخ الخلفاء ص ١٦٤.

١١٤ – سورة البقرة الآية ١٨٩.

١١٥ – السيوطي في الدر المنثور الآية/وأخرجها عن ابن عدي عن ابن عباس، وابن مردويه عن عليٍّ عليه السلام، ورواها ابن حجر في صواعقه نقلاً عن الدارقطني/ سورة البينة الآية٧.

١١٦ – الصواعق لابن حجر/ الدر المنثور للسيوطي الآية

١١٧ – كنز العمال للمتقي الهندي ج١١ ص٦٠٥ ح٣٢٩٢٦ وج١٣ ص١٣٥ ح٣١٤٢٣.

١١٨– السيرة الحلبية ج٢ص٥٥.

١١٩ – السيرة الحلبية ج٢ص٥٣.

١٢٠ –السيرة الحلبية ج٢ ص٥٣.

١٢١ – أعيان الشيعة ج١ص٢٥٧.

١٢٢ – أعيان الشيعة ج١ ص٢٣٨.

١٢٣ – سورة آل عمران الآيات١٩٠/١٩٥.

١٢٤– كنز العمال للمتقي الهندي ج٥ص٧١٧ ح١٤٢٤٢ / ذخائر العقبى للمحب الطبري ص٧٤ الرياض النضرة ج٢ص٢٢٥ وج٣ص١٣٧ /تاريخ دمشق لابن عساكر ج١ص١٥٨ ح١٩٧/ تاريخ الطبري ج٢ص١٩٧ / الدر المنثور للسيوطي تفسير

قوله تعالى : ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾ . سورة ص الآية ٢٨.

١٢٥ ـ أسد الغابة لابن الأثير ج٣ص٥٩٢.

١٢٦ ـ أعيان الشيعة ج١ص٢٥٢.

١٢٧ ـ أعيان الشيعة ج١ص٢٥٣.

١٢٨ ـ سورة الأنعام الآية ٥٠.

١٢٩ ـسورة الحشر الآية ٧.

١٣٠ ـ السيرة الحلبية ج٢ص٢٢١.

١٣١ ـ السيرة الحلبية ج٢ص٢٢٢ /أعيان الشيعة ج١ص٢٥٤/٢٥٥.

١٣٢ ـ أعيان الشيعة ج١ص٣٥٥.

١٣٣ ـ السيرة الحلبية ج٢ص٢٢٦.

١٣٤ ـ سورة آل عمران الآية ١٥٢.

١٣٥ ـ السيرة الحلبية ج٢ص٢٢٧ أعيان الشيعة ج١٢ص٢٥٧.

١٣٦ ـ سورة آل عمران الآية ١٣٧,١٤٤ ـ السيرة الحلبية ج٢ص٢٢٨.

١٣٧ ـ أعيان الشيعة ج١ص ٣٨٨/٣٨٩.

١٣٨ ـ أعيان الشيعة ج١ص ٣٨٩/٣٨٨.

١٣٩ ـ تاريخ الطبري ج٢ص١٩٧ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٤ص٢٥١/٢٥٠ سيرة ابن هشام ج٢ص١٠٠.

١٤٠ ـ أعيان الشيعة ج١ص٣٨٩.

١٤١ ـ أسد الغابة لابن الاثير ج٣ص٥٩٣.

١٤٢ ـ السيرة الحلبية ج٢ص٢٥٥.

١٤٣ ـ السيرة الحلبية ج٢ص٢٥٥.

١٤٤ ـ السيرة الحلبية ج٢ص ٢٥٥.

١٤٥ ـ كنوز الحقائق للمناوي بهامش الجامع الصغير للسيوطي ج٢ص٧٥/ينابيع المودة ج٢ص٦٧/٨٠.

١٤٦ ـ إعلام الورى بأعلام الهدى ج١ص١٦١/الرياض النضرة ج٢ص١٨٣ /ذخائر العقبى ص٢٩ / الصواعق المحرقة ص١٤١/تاريخ دمشق لابن عساكر ج١ص٢٥٨/٢٤٨ /المرقاة في شرح المشكاة ج١٠ص٤٧٦ ح٦١٠٤ / السيرة الحلبية ج٢ص٢٠٦/سنن النسائي ج٦ص٦٢/ مستدرك الحاكم ج٢ص١٦٧.

١٤٧ ـ أعيان الشيعة ج١ص٣٠٩ نقلاً عن البحار.

١٤٨ ـ السيرة الحلبية ج٢ص٢٠٦.

١٤٩ ـ أعيان الشيعة ج١ض ٣١١ نقلاً عن الصدوق في عيون أخبار الرضا.

١٥٠ ـ أعيان الشيعة ج١ص ٣١١ نقلاً عن الاستيعاب لابن عبد البر.

١٥١ ـ كنز العمال للمتقي الهندي ج١١ص٦٠٠ح٣٢٨٩١ و١٣ص٦٨٤ ح٣٧٧٥٣ / المعجم الكبير للطبراني ج٢٢ص٤٠٨ح١٠٢٠ /الصواعق المحرقة ص١٢٤ /فيض القدير للمناوي ج٢ص٢١٥ح١٦٩٣ /تاريخ دمشق لابن عساكر ج١ص٢٥٦ح٣٠٠/ذخائر العقبى ص٣٢/ مجمع الزوائد ج٩ص٢٠٤.

١٥٢ ـ سنن الترمذي ج٥ص٦١٩ ح٣٧٨١ / مسند أحمد ج٦ص٥٤١ ح٢٢٨١٨ /حلية الأولياء لأبي نعيم ج٤ ص١٩٠ / وقريب من لفظه: صحيح البخاري ج٣ص١٣٢٦ح٣٤٢٦ وج٥ ص٢٣١٧ ح٥٩٢٨/ صحيح مسلم ج٥ص٥٦ح٩٨ / سنن ابن ماجة ج١ص٥١٨ح١٦٢١ / سنن أبي داود ج١ص١٩٦ ح١٣٧٣. ..

١٥٣ ـ سورة الأحزاب الآية ٣٣/ أورد نزولها في أصحاب الكساء عدد من مفسري الفريقين.

١٥٤ ـ الصواعق المحرقة ج٢ص٤١٩ الحقائق من الصواعق ص٩٥/٩٦.

١٥٥ ـ تفسير القرطبي الآية.

١٥٦ ـ أعيان الشيعة ج١ص ٣١١.

١٥٧ ـ صحيح مسلم كتاب الإيمان ج١ص١٢٠ح١٣١ /سنن الترمذي ج٥ص٦٠٢ح٣٧٣٦ / سنن النسائي ج٥ص١٣٧ح٨٤٨٥ / سنن ابن ماجة ج١ص٤٢

ح١١٤/ مسند أحمد ج١ ص١٣٥ح٦٤٣ وص١٥٣ح٧٣٣ وص٢٠٧ح١٠٦٥ /حلية الأولياء لأبي نعيم ج٤ص ١٨٥.

١٥٨ – سورة الحشر الآية ٩.

١٥٩ – سورة الإنسان الآية ٨.

١٦٠ – أعيان الشيعة ج١ص٣٨٠.

١٦١ – السيرة الحلبية ج٢ص٢٠٦.

١٦٢ – السيرة الحلبية ج٢ص٢٠٦.

١٦٣ – سورة النور الآيات ٣٦/٣٧/٣٨.

١٦٤ – رواه الطبراني والبزار عن أبي ذر وحده/ والبيهقي، وابن سعد، عن حذيفة/ مجمع الزوائد للهيثمي ج ٩ ص ٢٩، نقله عن المعجم الكبير للطبراني / الاستيعاب لابن عبد البر ج ٢ ص ٦٥٧/ الإصابة في معرفة الصحابة لابن حجر آخر ج ١١ عن ابن عدي/كنز العمال للمتقي ج ١١ ص ٦١٢ نقله عن الحافظ أبي نعيم/ مسند البزار ج ١ ص ٣٨.

١٦٥ – المستدرك للحاكم ج ٣ ص ١٢٢تهذيب الخصائص ص ٨٨/ فضائل الصحابة ج٢ص٦٢٧ / مسند الإمام أحمد (بعدة طرق) ج ٣ص ٨٢/ در السحابة للشوكاني ص ٢٢٥/ مصابيح السنة للبغوي ج١٠ص٣٣ / حلية الأولياء لأبي نعيم ج ١ص ٦٧/ البداية والنهاية لابن كثير ج٧ص٣٠٥/ أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن

الأثير ج٣ص٤٢٩/ الخصائص الكبرى للسيوطي ج٢ص١٣٨/الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ج٢ص٣٩٢./ كنز العمال للمتقي الهندي ج٦ص٣٩٠/الرياض النضرة للمحب الطبري ج٢ص٢٥٢/ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٣ص٢٠٧/ مجمع الزوائد للهيثمي ج٥ص١٨٦. ..

١٦٦ – صحيح مسلم كتاب الإيمان ج٢ص٥٧ ح٧٨، صحيح الترمذي ج ٢ ص ٣٠١، سنن النسائي ج٢ص٢٧١، خصائص النسائي ص ٦١، صحيح ابن ماجة ص ١٢، مسند ابن حنبل ج١ص ٨٤ /٩٥ / ١٢٨، تاريخ بغداد ج٢ص ٢٥٥ وج٨ ص ٤١٧ وج ١٤ ص٤٢٦ كنز العمال ج٦ص٣٩٤.

١٦٧ – الجامع الكبير للترمذي كتاب الفضائل ج٦ص٨٢ ح٣٧١٧ /أنساب الأشراف ج٢ص٣٥٠ مسند أحمد بن حنبل كتاب فضائل الصحابة ج٢ص٥٧٩ ح٩٧٩ تاريخ ابن عساكر ج٤٢ص٢٨٥ / الرياض النضرة ج٣ص١٦٣ ح ١٥٤٠/ ذخائر العقبى للمحب الطبري ص٩١.

١٦٨ – سورة محمد الآية٣٠ / الدر المنثور ج٦ص٥٤ الآية/ شمس الدين الجزري مناقب أسد الله الغالب ص١٩.

١٦٩ – الإصابة لابن حجر ج٧ص٢٩٤ الاستيعاب لابن عبد البر ج٤ص٣٠٧/ وقريب من لفظه الطبراني في المعجم الكبير ج٦ص٢٦٩ ح٦١٨٤ /تاريخ دمشق لابن عساكر ترجمة الإمام علي.

١٧٠ ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٤ص٣٤٤.

١٧١ ـ الكنجي في كفاية الطالب ص٢٥٣، وتاريخ ابن عساكر ج٢ص١٢٠/ مستدرك الصحيحين للحاكم ج٣ص١٣٤ح٤٦٢٨ /فيض القدير للمناوي ج٤ص٣٥٦ح٥٥٩٤ /كنز العمال للمتقي الهندي ج١١ص٦٠٣ح٣٢٩١٢ / نور الأبصار ص٨٠ / الجامع الصغير للسيوطي ج٢ص١٧٧ وتاريخ الخلفاء ص١٦٢.

١٧٢ ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج١٣ص١٨٦.

١٧٣ ـ تاريخ الأُمم والملوك للطبري ج٢ ص٥٦٢ / الطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ ص٢٧٠ / تاريخ دمشق لابن عساكر- ج٤ ـ ص٥١ رقم الحديث ٩٤٤١.

١٧٤ ـ سورة يس الآية ١٢.

١٧٥ ـ سنن أبي داود في كتاب الأقضية باب كيف القضاء ج٣ص٣٠١ح٣٥٨٢ /سنن ابن ماجة ج٢ص٧٧٤ح٢٣١٠ / المستدرك للحاكم ج٣ص١٤٦ح٤٦٥٨ /مسند أحمد ج١ص١٣٥ح٦٣٧ /سنن النسائي ج٤ص١١٦ ح٨٤١٧ /سنن البيهقي ج١٠ص٨٦ /فتح الباري ج٨ص٥٣/ تاريخ الخلفاء للسيوطي ص١٧٠.

١٧٦ ـ الرياض النضرة ج٢ص١٤٨ /المناقب للخوارزمي ص٨١ / ذخائر العقبى ص٨٣ /فتح الباري ج٧ص٦٠ / تاريخ الخلفاء للسيوطي ص١٧٠.

١٧٧ ـ أسد الغابة لابن الأثير ج٣ ص٥٩٦ / تاريخ الخلفاء للسيوطي ص١٧٠/ الاستيعاب لابن عبد البر ج٣ص١٠٣.

١٧٨ – نهج البلاغة الشيخ محمد عبده ج٣ص١٠٤/١٠٥ الخطبة ٥٣.

١٧٩ – أسد الغابة لابن الأثير ج٣ص٥٩٦ / الاستيعاب لابن عبد البر ج٣ص١١٠٢/١١٠٣ / تاريخ الخلفاء للسيوطي ص١٧١ /مستدرك الصحيحين للحاكم ج١ص٦٢٨ح١٦٨٢ /صحيح البخاري ج٢ص٥٧٩ح١٥٢٠ / التفسير الكبير للرازي ج٣٢ص١٠ /الدر المنور للسيوطي ج٣ص٦٠٥ /إرشاد الساري للقسطلاني ج٤ص١٣٥ح١٥٩٧ / عمدة القاري ج٩ص٢٤٠ /عمر ابن الخطاب لابن الجوزي ص١١٥.

١٨٠ – صحيح مسلم كتاب التيمم ج٣ص٥٤ ح١١٢ وح١١٣/٣٦٨.

١٨١ – صحيح مسلم ج٣ص٥٢/٥٣ ح١١٠/٣٦٨ / صحيح البخاري كتاب التيمم ج١ص١٠٤ ح٣٤٦.

١٨٢ – سير أعلام النبلاء للذهبي / البيهقي في شعب الإيمان / تاريخ دمشق لابن عساكر ترجمة عمر.

١٨٣ – تاريخ الطبري ج٢ص ٣٠٠ /المغازي للواقدي ج٢ص٦٥٣.

١٨٤– صحيح البخاري كتاب المغازي باب صلح الحديبية ج٥ص٧٩/٨٠ ح٤١٧٧.

١٨٥ – صحيح البخاري كتاب المرضى ج٧ص١١/١٢ ح ٥٦٦٩ / صحيح مسلم ج٢ص١٢٥٩ كتاب الوصية ح٢٢ / المصنف لعبد الرزاق ج٥ ص٤٣٩ ح٩٤٥٧

/ سنن النسائي ج٤ص٣٦٠ ح٧٥١٦ /مسند أحمد ج١ص٦٩٥ -٦٩٦ ح٢٩٩٢ و١٩٣٥ و٣١١١ / طبقات ابن سعد ج٢ص٢٤٣ /السنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص٣٤٩ ح ١٨٧٤٧ / الكامل لابن الأثير ج٢ص ٣٢٠ حوادث سنة ١١.

١٨٦ - صحيح البخاري كتاب التفسير ج٨ص ١٨٤ ح٧٣٠٢.

١٨٧ - تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج١٤ص٣٢١ /فرائد السمطين ج١ص١٧٧ ح١٤٠/ مناقب الخوارزمي ص١٧٧/ قريب من لفظه الطبراني في معجمه الكبير ج٢٣ص١٢٩ح٧٥٨.

١٨٨- مستدرك الصحيحين للحاكم ج٣ص١٣٤ح٤٦٢٨ /فيض القدير للمناوي ج٤ص٣٥٦ ح٥٥٩٤/كنز العمال للمتقي الهندي ج١١ص٦٠٣ح٣٢٩١٢ / نور الأبصار ص٨٠ / الجامع الصغير للسيوطي ج٢ص١٧٧ وتاريخ الخلفاء ص١٧٣ / الكنجي في كفاية الطالب ص٢٥٣، وتاريخ ابن عساكر ج٢ص١٢٠.

١٨٩ - تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج١٣ص١٨٦.

١٩٠ - نهج البلاغة الخطبة٢٣٣.

١٩١ - نهج البلاغة ج٢ص ٣٨٥/٣٨٦ الخطبة ٢١٦.

١٩٢ - الاستيعاب لابن عبد البر ج٣ص٤٦ تاريخ الخلفاء للسيوطي.

١٩٣ - الا ستيعاب لابن عبد البر ج٣ص٤٦ تاريخ الخلفاء للسيوطي ص١٧٩ / ذخائر العقبى ص١٩٣, ٨٤ - بحار الأنوار ج٤ص٢٢٦ /قضاء أمير المؤمنين ج٣ص١١٦.

١٩٤ - مناقب ابن شـــهرآشـــوب ج٣ص٣٦٥ / بحار الأنوار ج٤٠ص٢٥٢ / عجائب أحكام أمير المؤمنين ص٥٩/٦٠.

١٩٥ -الفصول المهمة لابن صباغ المالكي ص٣٤/ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ج١ص٢٢٨.

١٩٦ - مناقب ابن شـــهرآشـــوب ج٢ص٣٥٩/٣٦٠ / الســـنن الكبرى للبيهقي ج٨ص٢٣٦ / الريـاض النضـــرة ج٣ص١٦٣ /١٦٤ كنز العمـال للمتقي الهنـدي ج٥ص٤٥٦ ح١٣٥٩٦.

١٩٧ - تاريخ الكامل لابن الأثير ج٢ص١٢٨ ذكر غزوة خالد إلى بني جذيمة/ سيرة ابن إسحاق ج٤ص٧٢/٧٣/ سيرة ابن هشام ج٤ص٦٣.

١٩٨ - تاريخ الطبري ج ٢ ص٥٠٣ ذكر وقعة البطاح.

١٩٩ - سورة إبراهيم الآية ٢٤.

٢٠٠ - سورة إبراهيم الآية ٢٦.

٢٠١ - أعيان الشيعة ج١ص٢٤٦.

٢٠٢ - سورة الأنفال الآية ٦.

٢٠٣ - الســـيرة الحلبيـة ج٢ص١٤٩/١٥٠- البخـاري كتـاب تفســـير القرآن ح ٤٢٤٣

٢٠٤ – مسند أحمد باقي مسند المكثرين ح١١٥٨٤.

٢٠٥ – السيرة الحلبية ج٢ص١٥٠.

٢٠٦ – مسلم كتاب الجهاد والسير ح٣٣٣٠ مسند أحمد بن حنبل باقي مسند المكثرين ح١٢٨١٩.

٢٠٧ – السيرة الحلبية ج٢ص١٤٧.

٢٠٨ – السيرة الحلبية ج٢ص١٥٥/ سيرة ابن هشام ج٤ص٢٢٤.

٢٠٩ – اجتهاد الرسول ص٣٦٠/٣٦١.

٢١٠ – المسودة ص ٥٠٧.

٢١١ – سورة الأنفال الآية ٣٣.

٢١٢ – أعيان الشيعة ج١ص٢٤٧.

٢١٣ – تاريخ الطبري ج٢ص١٣٨ ذكر غزوة بدر.

٢١٤ – سورة الأنفال الآية٩.

٢١٥ – سورة الأنفال الآية٦١.

٢١٦ – أعيان الشيعة ج١ص٢٤٨.

٢١٧ – سورة المجادلة الآية ٢٢ /سورة المائدة الآية ١١٩/ سورة البينة الآية ٨.

٢١٨ – سورة آل عمران الآية ٣١.

٢١٩ – سورة المائدة الآية ٥٤.

٢٢٠ – تاريخ الطبري ج٢ص ٣٠٠.

٢٢١ – الكامل لابن الاثير ج٢ص ١٠١ غزوة خيبر/أعيان الشيعة ج١ص٢٧٠.

٢٢٢ – تاريخ الطبري ج٢ص ٣٠٠ /الكامل لابن الأثير ج٢ص ١٠١ غزوة خيبر أعيان الشيعة ج١ ص ٢٧٠.

٢٢٣ – الكامل لابن الأثير ج٢ص ١٠١ غزوة خيبر أعيان الشيعة ج١ص٤٠٢.

٢٢٤ – صحيح البخاري كتاب المناقب ح ٣٤٢٦ وكتاب المغازي ح ٣٨٨٧ / مسلم كتاب فضائل الصحابة ح ٤٤٢٤.

٢٢٥ – صحيح البخاري كتاب الإيمان والنذور ح٦١٤٢ / مسند أحمد مسند الشاميين ح١٧٣٥٥ مسند الكوفيين ح ١٨١٩٣.

٢٢٦ – أعيان الشيعة ج١ص٢٧١/٢٧٠.

٢٢٧ – أعيان الشيعة ج١ص٤٠٥.

٢٢٨ – سورة الأعراف الآية ٤٦.

٢٢٩ – سورة الأعراف الآية ٤٨/٤٩.

٢٣٠ – حق اليقين ج١ص٢٩٥.

٢٣١ – سورة آل عمران الآية٣١.

٢٣٢ – صحيح مسلم كتاب الإيمان ح٧٨.

٢٣٣ – سورة الأحزاب الآية ٣٣.

٢٣٤ – سورة الشورى الآية٢٣.

٢٣٥ – سنن الترمذي كتاب المناقب ح ٣٦٦٦.

٢٣٦ – صحيح البخاري كتاب المناقب ح٣٣٨٩ وكتاب المغازي ح٤٠١٠– صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة ح٤٣٩٦ – سنن الترمذي كتاب المناقب ح٣٨٢٠.

٢٣٧ – سنن الترمذي كتاب المناقب ح٣٨٠٣.

٢٣٨ – سورة النساء الآية ٨٢.

٢٣٩ – تاريخ دمشق لابن عساكر ج٢ص١٣١ ح٦٣٩ ج٢ص١٢٨ ح٦٣٥٥ وج٢ص١٣٢ ح٦٤٢البداية والنهاية لابن كثيرج ٧ص٣٥٤وص٣٨٨ الترمذي كتاب المناقب ح٣٦٥٥، خصائص النسائي ص٤ الحاكم في المستدرك ج٣ ص١٣٠ كنز العمال ج٦ص٤٠٦ سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص ص٢٣.

٢٤٠ – فضائل أمير المؤمنين عليه السلام لابن عقدة الكوفي ص٧٥/٧٤.

٢٤١ – أخرجه مسلم ج١ص٥٧ ح٧٨ كتاب الإيمان/ سنن الترمذي

ج٥ص٦٠١ح٣٧٣٦ سنن ابن ماجة ج١ ص٤٢ح١١٤ خصائص النسائي ص١١٨ ح١٠٠ السنن الكبرى للبيهقي ج٥ص٤٧ ح٨١٥٣ مصابيح السنة للبغوي ج٤ص١٧١ ح٤٧٦٣ مسند أحمد ج١ص١٥٣ ح٧٣٣ وغيرها. ٢٤٢ - سنن الترمذي ج٥ص٥٩٣ح٣٧١٧ / مسند أحمد في المناقب ص١٤٣ ح٣٠٨/ ابن عبد البر في الاستيعاب القسم الثالث ١١١٠ رقم ١٨٥٥/ ابن الأثير الجزري في أسنى المطالب ص٥٦.

٢٤٣ - السيرة الحلبية ج٢ص٣١٣/٣١٤/المغازي للواقدي ج٢ص٤٤٧/السيرة النبوية لابن كثير ج٣ص١٩٢ تاريخ الطبري ج٢ص٢٢٥ / البداية والنهاية ج٤ص٩٩ /الكامل لابن الأثير ج٢ص١٧٩.

٢٤٤ - السيرة الحلبية ج٢ص٣١٣.

٢٤٥ - أعيان الشيعة ج١ص٣٩٦.

٢٤٦ - السيرة الحلبية ج٢ص٣١٩ كنز العمال للمتقي الهندي ج١٠ص٤٥٦ح٣٠١٠٥ج ١١ص٦٢٣ ح٣٣٠٣٤/المناقب للخوارزمي ص١٤٣/١٦٦.

٢٤٧ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ج٤ص٣٤٤.

٢٤٨ - كنز العمال للمتقي الهندي ج١٢ص٢١٩ / مستدرك الحاكم ج٣ص٣٢ /السيرة الحلبية ج٢ص٣٢٠.

٢٤٩ - السيرة الحلبية ج٢ص٣٢٠.

٢٥٠ – سورة الأحزاب الآيات ١٠/١١/١٢.

٢٥١ – أعيان الشيعة ج١ص٣٩٦ نقلاً عن مصادر عدة.

٢٥٢ – سورة الأحزاب الآية ٢٥.

٢٥٣ – السيرة الحلبية ج٢ص٣٢٤.

٢٥٤ – الغدير للعلامة الأميني ج١، ص ٩ – ١٢/ سورة المائدة الآية ٣.

٢٥٥ – الخوارزمي المناقب ص ١١١.

٢٥٦ – صحيح مسلم كتاب الإيمان ج٢ص ٥٧ ح٧٨ / تاريخ الخلفاء للسيوطي ص١٧٠/ نهج البلاغة محمد عبده باب المختار من حكم أمير المؤمنين ج٣ص١٦٣ رقم ٤٥.

٢٥٧ – مسند أحمد بن حنبل ج ٤ص٢٨١.

٢٥٨ – حلية الأولياء لأبي نعيم ج١ص٦٦.

٢٥٩ – تاريخ الخلفاء للسيوطي ص١٧١.

٢٦٠ – تاريخ الخلفاء للسيوطي ص١٧١.

٢٦١ – أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ترجمة عمر / الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ترجمة عمر.

٢٦٢ – صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة/باب فضائل خديجة أُمِّ المؤمنين

ج١٥ص١٦٠/١٦١ ح ٢٤٣٠ وح٢٤٣٢ و٢٤٣٣و٢٤٣٤و٢٤٣٥/ الترمذي كتاب المناقب باب فضل خديجة (رض) ج٥ص٤٦٨ح ٣٩٠٢ وح٣٩٠٣ و٣٩٠٤.

٢٦٣ – سيرة ابن إسحاق ج١ص٣٦٤/أعيان الشيعة ج١ص٣٩٢ السيرة الحلبية ج٢.

٢٦٤ – المغازي للواقدي ج١ص٤٠٤ /٤٠٥/٤٠٦/ سيرة ابن هشام ج٣ص٣٠٣.

٢٦٥ – المغازي للواقدي ج٢ص٤٠٤/٤٠٧/ أعيان الشيعة ج١ص ٣٨٦ نقلاً عن السيرة الحلبية.

٢٦٦ – أعيان الشيعة ج١ص٤٠١.

٢٦٧ – المغازي للواقدي ج٢ص٥٦٢/ أعيان الشيعة ج١ص٤١٢/٤١٣/ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٥ص٤.

٢٦٨ –السيرة النبوية لأحمد زيني دحلان بهامش السيرة الحلبية ج٢ص٣٥٦/ أعيان الشيعة ج١ص ٤١٠.

٢٦٩ – سنن ابن ماجة ج٢ص٧٧٤ ح٢٣١٠/ سنن أبي داود ج٣ص ٣٠١ ح٣٥٨٢ / مستدرك الصحيحين ج٣ص١٤٦ ح ٤٦٥٨ /مسند أحمد ج١ص١٣٥ ح٦٣٧ وص ٢٢٠ح١١٤٩/حلية الأولياء لأبي نعيم ج٤ص٣٨١ /السنن الكبرى للنسائي ج٥ص١١٦ح٨٤١٧ /السنن الكبرى للبيهقي ج١٠ص٨٦ / مصنف ابن أبي

شيبة ج٧ص٤٩٥ح٥ /أعيان الشيعة ج١ص٤١٠.

٢٧٠ - سنن الترمذي ج٥ص٥٩٧ ح٣٧٢٦ / كنز العمال للمتقي الهندي ج١١ص٥٩٩ ح٣٢٨٨٢ / المعجم الكبير للطبراني ج٢ص ١٨٦ ح١٧٥٦ /أسد الغابة لابن الأثير ج٤ص١٠٧.

٢٧١ - أعيان الشيعة ج١ص٤١٤.

٢٧٢ - أعيان الشيعة ص٤١٨.

٢٧٣ - سورة يونس الآيات٤٠/٤٤.

٢٧٤ - أسد الغابة لابن الأثير ج٣ص٦١٢.

٢٧٥ - سورة المائدة الآية ٥٤.

٢٧٦ - نهج البلاغة ج١ص٦٣ الخطبة رقم ٢٦.

٢٧٧ - نهج البلاغة ج١ص٢٣٣.

٢٧٨ - صحيح البخاري كتاب الفضائل ج٤ص٢٥٠ ح٣٧٠٦ / سنن الترمذي ج٥ص٤٠٧ ح ٣٧٤٥ وص ٤١٠ ح ٣٧٥١ و٣٧٥٢/ صحيح مسلم كتاب الفضائل ج ١٦ص١٤١ / ١٤٢/١٤٣ ح ٢٤٠٤ بخمس طرق/ مستدرك الحاكم ج٢ص٣٣٧ / مسند أحمد ج١ص١٧٣/١٧٥/١٨٢/١٨٤/٣٣١/ مصابيح السنة للبغوي ج٤ص١٧٠ح٤٧٦٢/ تاريخ الخلفاء ص١٦٨.

٢٧٩ – سنن الترمذي ج٥ص ٤٠١ ح٣٧٤٠.

٢٨٠ – نهج البلاغة باب المختار من حكم أمير المؤمنين.

٢٨١ – سورة المائدة الآية ٦٧.

٢٨٢ – سورة الذاريات الآية ٥٥.

٢٨٣ – صحيح البخاري ج٦ص٢٦٤٠ح٦٧٩٦/مسلم كتاب الإمارة ج٤ص١٠٠٤٣٤/سنن الترمذي ج٤ص٢٢٢٣/ مسند أحمد ج٦ ص٩٤ح٢٠٣٢٥ وص٩٧ ح٢٠٣٤٩ وص ٩٣ح٢٠٣١٩.

٢٨٤ – صحيح مسلم كتاب الإمارة.

٢٨٥ – سنن الترمذي ج٦ص٥٩١ ح٣٧١٣ /سنن النسائي ج٥ص١٣٠ ح٨٤٦٤ / سنن ابن ماجة /تاريخ الخلفاء للسيوطي ص١٦٩ / ج١ص٤٣ح١١٦ /مسند أحمد ج٥ص٣٥٥ح١٨٠١١ /مصنف ابن أبي شيبة ج١ص٥٠٣ح٥٥ /ذخائر العقبى ص٦٧ /الرياض النضرة ج٣ص١١٤ / موسوعة الغدير للأميني ج١ص٣٤/٣٦.

٢٨٦ – مسند أحمد مسند الكوفيين ح١٧٧٤٩/ أسد الغابة لابن الأثير ج٣ص٦٠٥ /تاريخ الخلفاء للسيوطي ص١٦٩.

٢٨٧ – مسند أحمد مسند الكوفيين ح١٨٥١٩.

٢٨٨ – سورة المائدة الآية٣.

٢٨٩ ـ أبو نعيم الأصبهاني ما نزل من القرآن في عليٍّ ص٥٦ /السيوطي في الدر المنثور ج٣ص١٩ /الأربلي في كشف الغمة ج١ص٣٣٠.

٢٩٠ ـ كنز العمال للمتقي الهندي ج١٥ص٤٨٢ح٤١٩٠٩/ أبو داود الطيالسي في مسنده ص٢٣ح١٥٤/ نور الأبصار للشبلنجي ص٥٨.

٢٩١ ـ مصنف ابن أبي شيبة ج١٢ص٧٨ح١٢١٦٧ /مسند أحمد بن حنبل ج٥ص٣٥٥ح١٨٠١١/ابن حجر في الصواعق ص٤٤ /الثعلبي في تفسير الكشف والبيان ص١٨٠ /أبو حامد الغزالي في سر العالمين ص٢١/الفخر الرازي في تفسيره ج١٢ص٤٩ ابن الأثير في أسد الغابة ج٤ص١٠٨ح٣٧٨٣.

٢٩٢ ـ موسوعة الغدير للأميني ج٢ ص ٣٤.

٢٩٣ ـ موسوعة الغدير للأميني ج٢ ص ١٨١/١٨٠.

٢٩٤ ـ أخرجه كلٌّ من أبي يعلى الموصلي في مسنده ج١ص٢٩٣ح٣٥٥/ابن أبي شيبةج١٢ص٨٠ ح١٢١٧٠ البغوي في مصابيح السنة ج٤ص١٧٢ح٤٧٦٦.

٢٩٥ ـ سنن الترمذي ج٥ ص٥٩٠ح٣٧٣٢ خصائص النسائي ص١٠٩ح٨٩ سنن البيهقي ج٥ص١٣٢ح٨٤٧٤ مستدرك الحاكم ج٣ص١١٩ح٤٥٧٩ كنز العمال للمتقي الهندي ج١١ص٥٩٩ح٣٢٨٨٣.

٢٩٦ ـ أبو داود في مسنده ص٣٦٠ ح٢٧٥٢ البداية والنهاية لابن كثير ج٧ص٣٨١ الترمذي في جامعه ج٥ص٥٩٠ح٣٧١٢ خصائص النسائي ص١٠٩

المستدرك للحاكم ج٣ص١١٩ ح٤٥٧٩ كنز العمال للمتقي الهندي ج١١ص٥٩٩ح٣٢٨٨٣ /٣٢٩٤٠ أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء عن ابن أبي شيبة وابن جرير ج١٢ ص٨٠ ح١٢١٧٠ المحب الطبري في الرياض النضرة ج٣ص١١٦ البغوي في مصابيح السنة ج٤ص١٧٢ح٤٧٦٦ السيوطي في جامع الأحاديث ج٤ص٣٥٢ ح١٢١٠١.

٢٩٧ - حلية الأولياء لأبي نعيم ج١ص٨٠ / المعجم الكبير للطبراني ج٥ص١٩٤ح٥٠٦٧/جامع الأحاديث للسيوطي ج٧ص٢٢٩ح٢٢٠٩٢.

٢٩٨ - أخرج أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره وأبو بكر الرازي في أحكام القرآن الطبرسي في مجمع البيان الآية/ المحب الطبري نقلاً عن الواقدي في ذخائر العقبى ص١٠٢ /ابن كثير في تفسيره نقلاً عن الحافظ الصنعاني ج٢ص٧١/الإسكافي في رسالته نقض العثمانية ص٣١٩/النسائي في سننه/ الطبري في تفسيره بعدة طرق ج٦ص١٨٦/ السيوطي في أسباب النزول ص٨١/الطبراني في المعجم الأوسط ج٧ص١٣٠ ح٦٢٢٨/الجصاص في أحكام القرآن ج٢ص٤٤٦/الثعلبي في تفسيره/الواحدي في أسباب النزول ص١٣٣/الزمخشري في تفسيره الكشاف ج١ص٦٤٩/ السيوطي في تفسيره الدر المنثورج٣ص١٠٥.

٢٩٩ - سورة المعارج الآيات ١/٣ الكشف والبيان ص٢٣٤ سورة المعارج/القرطبي في جامعه ج١٨ص٢٧٨ /الحلبي في سيرته ج٣ص٢٧٤.

٣٠٠ – أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه ج٨ص٢٩٠ /سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص/ وابن كثير في تاريخه البداية والنهاية.

٣٠١ – الزبيدي لقط اللآلي المتناثرة في الأحاديث المتواترة ص٢٠٥/٢٠٦.

٣٠٢ – ينابيع المودة ج١ص٣٤ الباب الرابع.

٣٠٣ – تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص٦٢ /صحيح البخاري ج ٤ص٤٩٠ باب جوائز الوفد ح ١٢٢٩ وباب قول المريض قوموا عني ج٧ص٩ /صحيح مسلم ج١١ص٨٩ وآخر كتاب الوصية ج٥ص٧٥ /مسند أحمد ج١ص٣٥٥ وج٤ص٣٥٦ / طبقات ابن سعد ج٢ص٣٦ /شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٣ص ١١٤ / الكامل لابن الأثير ج٢ص٣٣٤ / تاريخ أبي الفداء ج١ص٢٢٠.

٣٠٤ – مسند أحمد باقي مسند الأنصار ح٢٢٤٦١.

٣٠٥ – مسند أحمد باقي مسند الأنصار ح٢٢٠٦٢ /مسند الكوفيين ح١٨٥٢٢.

٣٠٦ – مسند أحمد مسند الكوفيين ح١٨٤٩٧.

٣٠٧ – أنساب الأشراف للبلاذري ج٢ص١٥٦ ح١٦٩ / وفيات الأعيان ج٥ص٣٥١ح٧٥٤.

٣٠٨ – شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٩ص٢١٧ الغدير ج٢ص٣٨٧.

٣٠٩ – مسند أحمد مسند الكوفيين ح١٨٤٧٦/ ابن ماجة المقدمة ح١١٣/

الترمذي المناقب ح٣٦٤٦.

٣١٠ – سنن ابن ماجة المقدمة ح ١١٨.

٣١١ – سنن الترمذي ج٥ص٦٣٢ ح٣٧١٢ / سنن النسائي ج٥ص٤٥ ح٨١٤٧ / خصائص النسائي ص١٠٦ ح٧٣ / سنن ابن ماجة ج١ ص٤٤ ح ١١٩ / مسند أحمد ج١ ص ٣١٦ ح١٢٨٦ وج١ص ٣١٨ ح ١٢٩٦ وج٦ ص١٦٣ ح١٧٥١٨ /أعيان الشيعة ج١ص٤١٦.

٣١٢– سنن النسائي كتاب مناسك الحج ح٢٩٤٣.

٣١٣ – حديث المنزلة أخرجه كلٌّ من: صحيح البخاري ج٤ص ١٦٠٢ ح ٤١٥٤ /صحيح مسلم ج٤ص١٧٨ ح١٨٧١ كتاب فضائل الصحابة الأحاديث ٣٢/٣٠ / سنن ابن ماجة ج١ص٤٥ المقدمة ح١٢١ / المستدرك على الصحيحين للحاكم ج٤ص٧١ ح٤٦٣٢ و٤٧٠٨ / كنز العمال للمتقي الهندي ج١١ ص٥٩٩ ح٣٢٨٨٦.

٣١٤ – سورة القصص الآية٣٤.

٣١٥ – سورة عبس الآية ٣١.

٣١٦ – سورة التوبة الآية ٢.

٣١٧ – مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ج١٧ص٣٣٣ ترجمة الإمام عليٍّ بن أبي طالب/الدر المنثور للسوطي ج٤ص/١٢٤ فتح الباري لابن حجر ج٨ص٣١٨.

٣١٨ ـ سنن الترمذي كتاب تفسير القرآن ح٣٠١٥.

٣١٩ـ سنن النسائي كتاب مناسك الحج ح ٢٩٠٩.

٣٢٠ ـ سورة التوبة الآية ٣٢. ـ مستدرك الحاكم النيسابوري ج٣ص١١٦ ح٤٥٧٢ /الاستيعاب لابن عبد البر ج٣ص٥١ الصواعق لابن حجر ص١٢٠ / الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري ج١ص٩٧ / نور الأبصار للشبلنجي ص٨١.

٣٢٢ ـ سورة غافر الآية ٥١.

٣٢٣ ـ سورة النحل الآية ١٢٠.

٣٢٤ ـ سنن الترمذي ج٤ص٤٧٨ ح٣٧٢٦ /كتاب المناقب/باب مناقب علي بن أبي طالب (رض)/تحقيق محمد محمود حسن نصار / أسد الغابة لابن الأثير ج٣ص٦٠٣ / تحفة الأحوذي ح٣٨١٠ ج١٠ص٢٣١ و٢٣٢.

٣٢٥ ـ صحيح مسلم ج٧ص١٢١ كتاب فضائل الصحابة/ باب فضائل الإمام علي/صحيح البخاري ج٧ص٥٤٤ ح٤٢٠٩/٤٢١٠ / خصائص النسائي ج١ص٢٥١ و٢٥٢ / طبقات ابن سعد ج٣ص١٥٦ / دلائل النبوة للبيهقي ج٤ص٢٠٥/ البداية والنهاية لابن كثير ج٤ص١٨٤و١٨٥ النهاية لابن الأثير الجزري ج٢ص٤٢٠.

٣٢٦ ـ لسان العرب لابن منظور ج١٤ ص٢٠٥.

٣٢٧ ـ سورة مريم الآية٥٢.

٣٢٨ – حديث المنزلة: قول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لعليٍّ عليه السلام: «**أما ترضى أنْ تكون منّي بمنزلة هارون من موسى، غير أنَّه لا نبيَّ بعدي**». صحيح البخاري/كتاب فضائل الصحابة/ باب فضائل عليّ بن أبي طالب/ صحيح مسلم/كتاب فضائل الصحابة/ باب فضائل علي بن أبي طالب/مسند أحمد/مسند العشرة المبشرين بالجنة/مسند باقي المبشرين بالجنة/سنن ابن ماجة/ كتاب المقدمة / أبواب في فضائل أصحاب النبيِّ.

٣٢٩ – سورة المجادلة الآية ١٢.

٣٣٠ – سورة المجادلة الآية ١٣.

٣٣١ – تفسير الطبري ج١٤ص٢٠ الآية/ أسباب النزول للواحدي ص٢٧٦/ تفسير الكشاف للزمخشري ج٤ص٧٦ الآية/ كنز العمال للمتقي الهندي ج٥ص٧٢٦ ح١٤٢٤٣.

٣٣٢ – خصائص النسائي ص٢١٤ح١٥٥.

٣٣٣ – حلية الأولياء لأبي نعيم ج١ص٦٨.

٣٣٤ – أسد الغابة لابن الأثير ج٣ص٥٩٧.

٣٣٥ – أسد الغابة لابن الأثير ج٣ص ٥٩٦ / مستدرك الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٣ص١٢٦ / كنز العمال للمتقي الهندي ج٦ص١٥٦ و٤٠١ / فيض القدير للمناوي ج٣ص٤٦ / كنوز الحقائق للمناوي ص٤٣/ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي

ج٢ص٣٧٧ /وذكره ابن حجر في الصواعق ص٧٣ عن البزار والطبراني في الأوسط عن جابر، والحاكم والعقيلي وابن عدي عن ابن عمر، والترمذي والحاكم عن عليٍّ عليه السلام، قال: «وفي رواية **فمن أراد العلم فليأت الباب**».

٣٣٦ – صحيح الترمذي ج٢ص٢٩٩.

٣٣٧ – مستدرك الصحيحين ج٣ص١٢٤/ مجمع الهيثمي ج٩ص١٣٤/ الصواعق المحرقة لابن حجر ص ٧٥/ فيض القدير للمناوي ج٤ص٣٥٦/ كنز العمال للمتقي الهندي ج٦ص١٥٣ / وأخرجه الشبلنجي في نور الأبصار ص٧٢ نقلاً عن الطبراني في الأوسط.

٣٣٨ – البخاري في صحيحه كتاب التفسير باب قوله ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها﴾/ الحاكم في المستدرك ج٣ص ٣٠٥ أحمد في المسند ج ٥ص١١٣/ سنن ابن ماجة باب فضائل أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم/ سنن البيهقي ج١٠ص٢٦٩ /أسد الغابة ج٣ص٥٩٦ / حلية الأولياء لأبي نعيم ج١ص.٦٥

٣٣٩ – نهج البلاغة الخطبة الشقشقية.

٣٤٠ – نهج البلاغة للإمام عليٍّ ص١١٧ الخطبة ٦٦.

٣٤١ – نهج البلاغة /صبحي الصالح/ الخطبة ٧٤ ص ١٠٢.

٣٤٢ – نهج البلاغة للإمام عليٍّ ص٩٠ الخطبة ٣٢.

٣٤٣ – حديث الثقلين.

٣٤٤ ـ سورة آل عمران الآية.

٣٤٥ ـ سورة الواقعة الآية.

٣٤٦ ـ سنن النسائي ج٥ ص١٥٤ ح٨٥٤١/المستدرك للحاكم ج٣ص١٣٢ح٤٦٢١/ مسند أحمد بن حنبل ج٣ص٤٢٠ ح١٠٨٩٦ وص٥٠١ح١١٣٦٤ /أسد الغابة ج٣ص٤٢٩ الإصابة لابن حجر ج١ص٢٥/حلية الأولياء ج١ص٦٧ / الاستيعاب لابن عبد البر ج٢ص٤٢٣ / كنز العمال للمتقي الهندي ج٦ص١٥٥ و٣٩٠ و٣٩١.

٣٤٧ ـأسد الغابة لابن الأثير ج٣ ص٦١٠ /مستدرك الحاكم ج٣ص١٥٠ح٤٦٧٤ /تاريخ دمشق لابن عساكر ترجمة الإمام عليٍّ ج٣ص٢١٢. ح١٢١٦/ أسد الغابة لابن الأثير ج٣ص٦١٠/ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج٨ص٣٤٠ وج ١٣ص ١٨٦/ الدر المنثور للسيوطي/ تفسير سورة الزخرف/ الآية: ٤١ ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾/ كنز العمال للمتقي الهندي ج٦ص ٧٢و٨٢ و٨٨ و٢١٥و٣١٩و٣٩٢ / الهيثمي في مجمعه ج ٧ص٢٣٨ وج٩ص٢٣٥.

٣٤٨ ـ نهج البلاغة الخطبة ٤٠ ص٧٩.

٣٤٩ـ

٣٥٠ـ سورة المائدة الآية ٣٢.

٣٥١ـ نهج البلاغة ج٢ص١٥٣ خطبة ١٨٤.

٣٥٢ ـ نهج البلاغة باب المختار من حكم أمير المؤمنين.

٣٥٣ ـ كنز العمال للمتقي الهندي ج١٣ص١٠٦ ح٣٦٣٤٨ /المعجم الكبير للطبراني ج٦ص١٤٩ح٥٨٠٨ / تاريخ دمشق لابن عساكر ج١ص٣٢ ترجمة الإمام عليّ.

٣٥٤ ـ سورة الأحزاب الآية ٣٣ أخرج أحاديث نزولها في أصحاب الكساء أغلب المفسرين من الفريقين، بل إنَّ أقدرهم على ردِّ ذلك لم يستطع تقديم بينة على دعواه، وخضع لتظافر الروايات التي رجحت كفة أهل البيت عليهم السلام وأعني بهم محمداً وعليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً عليهم الصلاة والسلام.

٣٥٥ـ نهج البلاغة باب المختار من حكم أمير المؤمنين.

٣٥٦ـ نهج البلاغة باب المختار من حكم أمير المؤمنين.

٣٥٧ـ نهج البلاغة باب المختار من حكم أمير المؤمنين.

٣٥٨ ـ نهج البلاغة ج٣ص١٦٦/١٦٧ باب المختار من حكم أمير المؤمنين رقم ٧٧.

٣٥٩ ـ نهج البلاغة باب المختار من حكم أمير المؤمنين.

٣٦٠ ـ نهج البلاغة باب المختار من حكم أمير المؤمنين.

٣٦١ ـ نهج البلاغة باب المختار من حكم أمير المؤمنين.

٣٦٢ ـ سورة المائدة الآية ٥٤.

٣٦٣ ـ حديث الراية: صحيح البخاري ج٣ص١٠٨٦ ح ٢٨١٢ وص١٣٥٧ ح٣٤٩٨ و٣٤٩٩/صحيح مسلم كتاب الفضائل باب فضائل الإمام عليّ/سنن البيهقي ج٦ص٣٦٢ / سنن الترمذي ج٥ص٥٩٧ ح٣٧٢٥ وج٤ ص١٨٠ح١٧٠٤/سنن النسائي ج٥ص١١٠ح٨٤٠٣ /مسند أحمد ج٦ص٤٥٥ح٢٢٣١٤ وج٣ص٨٦ح٨٢٦٤ /المعجم الكبير للطبراني ج٦ص١٥٢ح٥٨١٨/ مسند أبي داود ج١ص٣٢٠ ح٢٤٤ / طبقات ابن سعد ج٢ص١١٠.

٣٦٤ ـ راجع تفسير الطبري وتفسير الدر المنثور للسيوطي سورة القدر.

٣٦٥ ـ كميل بن زياد النخعي: قيل إنَّه أدرك النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وقيل خلاف ذلك، ولا أرى أنَّ من سعى إلى نفي صحبته، قصد من ورائها التقليل من مقامه، وهو الذي كان مع عليٍّ وأهل بيته، فلازمه وأخلص له ومن بعده ابنه الإمام الحسن، ذكره الذهبي بقوله: كان شريفاً مطاعاً ثقة عابداً، قليل الحديث، قتله الحجّاج. ولم يذكر سبب قتله وهو أنَّ الحجاج الثقفي كان يتتبع شيعة عليٍّ تحت كلِّ حجر ومدر، تنكيلاً وتقتيلاً، وموالاة عليٍّ جريمة عند طغاة بني أُمية والحجاج يدهم الباطشة وسيف باطلهم على الحق، وأنَّى للباطل أنْ يطفئ نور الحق وإنْ طال به الزمن واجتمعت له القوة.

٣٦٦ ـ من آخر الدعاء الذي علمه أمير المؤمنين كميل بن زياد النخعي / مفاتيح

الجنان ص٨٠.

٣٦٧ ـ الاستيعاب لابن عبد البر ج٣ص٣١٨ / مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني ص٤٨.

٣٦٨ ـ صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة/باب فضائل الإمام عليٍّ ج٥ص٢٦/٢٢ ح٢٤٠٨/ مسند أحمد ج٥ص٤٩٢ح١٨٧٨٠ /كنز العمال للمتقي النهدي ج١ص١٧٨ح٨٩٨ وج١٣ص٦٤١ح٣٧٦١٩ و٣٧٦٢٠/سنن الترمذي ج٥ص٦٢٢ح٣٧٨٨وص٦٢١١ح٣٧٨٦/ أسد الغابة لابن الأثير ج٢ص١٣ / الدر المنثور ج٧ص٣٤٩ /المعجم الكبير للطبراني ج٥ص١٧٠ح٤٩٨١ / ونقل المناوي في فيض القدير ج٣ص١٤ عن السمهودي عشرين صحابياً رووا حديث الثقلين، وقد ذكر ابن حجر في الصواعق تعدد طرق حديث الثقلين ص٩٠ قائلاً: سميا ثقلين لثقل وجوب رعاية حقوقهما، ثمّ الذين وقع الحث عليهم منهم إنَّما هم العارفون بكتاب الله وسنة رسوله إذ هم الذين لا يفارقون الكتاب إلى الحوض، ويؤيده الخبر السابق: «**لا تعلموهم فإنَّهم أعلم منكم**». وتميزوا بذلك عن بقية العلماء لأنَّ الله أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وشرفهم بالكرامات الباهرة والمزايا المتكاثرة.

٣٦٩ ـ مسند أحمد ٩٦/٤، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٤٩/٧ ح ٤٥٥٤، حلية الأولياء لأبي نعيم ٣/ ٢٢٤، كنز العمال للمتقي الهندي١٠٣/١ ح ٤٦٤، المستدرك على لصحيحين للحاكم ١١٧/١، مجمع الزوائد للهيثمي ٢١٨/٥ و٢٢٤ و٢٢٥، الدر المنثور للسيوطي ج٢٨٦/٢ عند الآية ١٠٣ من سورة آل عمران.وقريب

منه: «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية» صحيح مسلم ١٤٧٨/٣ ح ٥٨، السـنن الكبرى للبيهقي ٨ / ١٥٦ ، جامع الأُصـول ٤٦٣/٤ ح ٢٠٦٥، مجمع الزوائد ٢١٨/٥، تفسير ابن كثير ١/ ٥٣٠.

٣٧٠ - مروج الذهب ج٢ص٤٣١.

٣٧١ - يتيمة الدهر ج٣ص ١٣٦.

٣٧٢ -المقدمة ص٢.

٣٧٣ - نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١ص٤٩ / نهج البلاغة للشيخ محمد عبده ج١ص١٢/١٣.

٣٧٤ - في رحاب نهج البلاغة ص٢٩.

٣٧٥ - نهج البلاغة الخطبة الأُولى.

٣٧٦ - نهج البلاغة للشيخ محمد عبده ج١ ص٩٨/٩٩.

٣٧٧ - نهج البلاغة لمحمد عبده ج١ص٣١/٣٧.

٣٧٨ - نهج البلاغة للشيخ محمد عبده ص٤٦٧.

مطالب الكتاب